المحصول

الجامع لشروح ثلاثة الأصول

ح دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المرشدي، فهد بادي

المحصول الجامع لشروح ثلاثة الأصول /

فهد بادي المرشدي، الرياض، ١٤٣٨هـ

٤٨٨ ص؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٨-٣٨-٨١٩٠-٦٠٣-٩٧٨

١. التوحيد ٢. العقيدة الإسلامية أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٣٨/١٦٤٥

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٦٤٥هـ

ردمك: ٨-٣٨-٨١٩٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

ص.ب ٢٧٢٦١ الرياض ١١٤١٧

هاتف: ٤٩١٤٧٧٦ – ٤٩٦٨٩٩٤

فاكس: ٤٤٥٣٢٠٣

Kounouz Eshbelia
For Publishing &
Distribution
Kingdom of Saudi Arabia
P.O. Box 27261 Riyadh
11417
Tel.: +96611 4914776
+96611 4968994
Fax.: +966114453203

E-mail eshbelia@hotmail.com

المحصول

الجامع لشروح ثلاثة الأصول

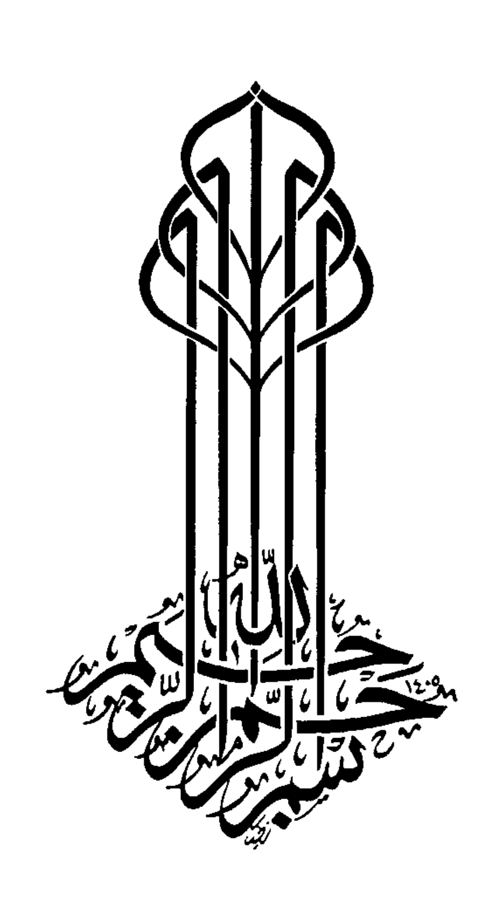
تحقيق وشرح لرسالة: "ثلاثة الأصول وأدلتها"

للإمام المصلح المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-

تأليف

د. فهد بن بادي المرشدي





مقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، صلَّى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليما كثيرا.

أما بعد: فإن الله عز وجل خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له، وأرسل الرسل إلى العباد لبيان هذه الحكمة والدعوة إليها، وبيان ما يضادها؛ ليُعرِّفوهم هذا الحق، ويعلموهم ما يجب عليهم، وما يحرم عليهم، حتى لا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير؛ فلهذا دعت الرسل عليهم الصلاة والسلام جميع الأمم إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له سبحانه وتَعَالى، وترك عبادة ما سواه، فتوحيد الله عز وجل، وترك الإشراك به هو أهم الواجبات، وهو أصل الدين، وهو دين الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى خاتمهم، لا يقبل الله من أحد دينا سواه، وهو أول فريضة، وهو أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، ولا بد مع توحيد الله والإيمان به من تصديق رسله، فمن وحدَّ الله جلَّ جلاله، ولم يُصدِّق الرسل عليهم الصلاة والسلام فهو ليس بمؤمن، ومن صدَّقهم ولم يوحد الله جل وعلا فليس بمؤمن، فلا بد من الأمرين: توحيد الله، وتصديق رسله عليهم الصلاة والسلام، ولا تزول قدما العبد بين يدي الله حتى يُسأل عن مسألتين: ما ذا كنتم تعبدون؟ وما ذا أجبتم المرسلين؟ وجواب الأولى بتحقيق "لا إله إلا الله" معرفة وإقراراً وعملاً؛ وجواب الثانية بتحقيق "أن محمداً رسول الله" معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة [1]؛

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية (١/ ٣٤)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الثالثة عشر:

«فحقيق لمن نصح نفسه وأحب سعادتها ونجاتها أن يتيقظ لهذه المسألة علماً وعملاً وحالاً، وتكون أهم الأشياء عنده، وأجلَّ علومه وأعماله؛ فإن الشأن كله فيها والمدار عليها، والسؤال يوم القيامة عنها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، قال غير واحد من السلف: هو عن قول: "لا إله إلا الله"، وهذا حق، فإن السؤال كله عنها وعن أحكامها وحقوقها وواجباتها ولوازمها، فلا يُسأل أحد قط إلا عنها وعن واجباتها ولوازمها وحقوقها، قال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟ فالسؤال عمّاذا كانوا يعبدون هو السؤال عنها نفسها، والسؤال عمَّاذا أجابوا المرسلين سؤال عن الوسيلة والطريق المؤدية إليها: هل سلكوها وأجابوا الرسل لما دعوهم إليها، فعاد الأمر كله إليها؛ وأمرٌ هذا شأْنه حقيقٌ بأن تنعقد عليه الخناصر، ويعض عليه بالنواجذ، ويقبض فيه على الجمر، ولا يؤخذ بأطراف الأنامل، ولا يطلب على فضله، بل يجعل هو المطلب الأعظم، وما سواه إنما يطلب على الفضلة، والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه"[2]؛ ولما كان توحيد الله عز وجل، والإيمان به، وبرسله عليهم الصلاة والسلام، أهم الواجبات وأعظم الفرائض، والعلم بذلك أشرف العلوم وأفضلها؛ ولما كانت الحاجة إلى هذا الأصل الأصيل داعية إلى بيانه بالتفصيل، ولجهل الناس وغفلتهم وإعراضهم عما خُلقوا له؛ فقد تصدى أئمة

١٤٠٦هـ.

(١) سورة الحجر، الآيات [٩٢- ٩٣].

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية (٢٩٧)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط. الثانية: ١٣٩٤هـ.

الدين لبيان هذا الأصل العظيم، ومن أولئك الدعاة المصلحين، والأئمة المجددين لما اندرس من الدين، الذين قيضهم الله للدفاع عن دينه، ووفقهم لبيان المعتقد الصحيح: الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-، فقد وهبه الله جل وعلا حسن التصنيف، ودقة الترتيب، وقوة الاستدلال مع جزالة اللفظ وجمال البيان، ومن أنفع المتون التي ألفها في بيان أصول الدين رسالة **"ثلاثة الأصول وأدلتها"**، وقد جاءت شاملة لذلك؛ ففيها الأصول الواجب على الإنسان معرفتها، من معرفة العبد ربه، وأنواع العبادة التي أمرَ الله بها، ومعرفة العبد دينه، ومراتب الدين، وأركان كل مرتبة، ومعرفة النبي ﷺ في نبذة من حياته، وبيان الحكمة من بعثته، وفيها الإيمان بالبعث والنشور، وفيها بيان ركني التوحيد وهما الكفر بالطاغوت والإيمان بالله [(١)]؛ ولهذا تلقاها طلبة العلم والعامة بالحفظ والمدارسة؛ لكونها قاعدة في العقيدة؛ وقد قال عنها حفيد المصنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن -رحمه الله تعالى-: «فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى» [(٢)].

وهذه الرسالة كتبها المصنف -رحمه الله تعالى- لعامة المسلمين؛ لأنها متعينة التعلم على كل فرد من المسلمين، واقتصر فيها المصنف على الأمور المهمة التي لا يجوز للمسلم أن يجهلها، مقرونة بأدلتها من الكتاب وصحيح السنة، بأسلوب سهل ميسر لكل قارئ، كما اقتصر فيها على الأدلة الواضحة الجلية التي يمكن لكل أحد أن يعرفها، وتعلمها متعين؛ وقد كان المصنف يلقنها الطلبة

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن بن محمد القاسم (٧)، الناشر: بدون، ط. الثانية: ١٤٢٩هـ.

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٣٣٨/٤)، ط. الخامسة: ١٤١٣هـ.

والعامة ؛ ليدرسوها ويحفظوها ؛ ولتستقر في قلوبهم ؛ لكونها رسالة فيها أصول العقيدة[١]، وكان يأمر جميع أهل البلدان من أهل النواحي يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول: معرفة الله ؛ ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه، وما ورد عليها من الأدلة من القرآن؛ ومعرفة محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول ما دعا إليه وهي: شهادة التوحيد: لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، ويُسأل عنه الناس ويلزمون بتعلمه كل على قدر مستواه[٢].

وقد كتب الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- رسالة للإمام فيصل بن تركي -رحمه الله تعالى- ؛ مذكراً إياه بما كان عليه العمل عند أسلافه أنهم: «في كل وقت يبعثون الدعاة لله إلى كل بلدة يجددون لهم دينهم، ويسألونهم عن ثلاثة الأصول، والقواعد، وغير ذلك من كتب الأصول»[٣] ؛ وذكر الشيخ محمود شكري الألوسي -رحمه الله تعالى- أنه: «كان -أي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب -من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يُعلِّمُ الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات، وقد جد في تعليم الناس وحَثَّهم على الطاعة، وأَمَرَهم بتعلم أصول الإسلام، وشرائطه، وأحكام الصلاة، وأركانها، وواجباتها، وسننها،

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (٢١)، اعتنى به: علي بن صالح المري، وأحمد ابن عبدالعزيز بن باز، الناشر: دار الفتح، المدينة المنورة، ط. الأولى: ١٤١٦هـ.

(٢) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: صالح بن عبد الله العبود (٨٩١/٢)، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

(٣) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (٢٥٢)، الناشر: دار الهداية للطباعة والنشر والترجمة، ط. الأولى: ١٤١١هـ.

وسائر أحكام الدين، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح، وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى، ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه وما ورد عليه من الأدلة، ومعرفة النبي محمد ﷺ، ونسبه، ومبعثه، وهجرته، وأول ما دعا إليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغي إلا لله تعالى؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، والخوف، والرجاء، والخشية، والرغبة، والتوكل، والإنابة، وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك إلى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم، وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة»[١]؛ وكانت رسالة "ثلاثة الأصول" تُقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالى- ويشرحها كل يوم[٢].

ولأهمية رسالة: "ثلاثة الأصول"، وعظيم نفعها، ولمسيس الحاجة إليها؛ أحببتُ أن انتخب من مجموع الشروح المبسوطة عليها، شرحاً يفسر مسائلها، ويقرب دلائلها، ويتم مقاصدها، متوسطاً بين الإيجاز والإطناب، والإخلال والإسهاب؛ فاستخرت الله تعالى، وأجمعتُ ذلك راجياً من الله سبحانه تحقيقَ محمود الأمل، وإخلاصَ صالح العمل، والإعانة على الإبانة، والهداية إلى الدراية، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما توفيقي إلا بالله، عليه

---

(١) تاريخ نجد، تأليف: محمود شكري الألوسي (١١٤)، عنى بتحقيقه: محمد بهجة الأثري، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٢) ينظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٢)، جمع وترتيب وتحقيق: محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم، الناشر: مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط. الأولى: ١٣٩٩هـ.

توكلت وإليه أنيب[١]، وقد أسميت الشرح المجموع بـ"**المحصول الجامع لشروح ثلاثة الأصول**".

وبعد: فيا أيها القارئ له، والناظر فيه، والمقتبس من معانيه، أحسن بجامعه الظن، وإن لم يكن من أهل هذا الفن، فلك من تأليفه غنمه، وعلى مؤلفه غرمه، لك ثمرته، وعليه تبعته، فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال، وما وجدت فيه من خطأ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة، ولكن يأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال[٢]، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه؛ فمن عثر على شيء مما طغى به القلم، أو زلَّ به العقل، فليبادر إلى النصيحة، ويعفو ويصفح عن عثرات الضعاف، ويحضر بقلبه أن الإنسان مهما كان فهو محل الخطأ والنسيان، والضعف والنقصان[٣]، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه[٤]، والكريم يعادل بالسيئات الحسنات، ويقضي على كل بحسبه من الأحوال والمقامات؛ لاسيما أنَّ جامعه إنما قصَدَ بهذا العمل نفع نفسه أولاً، ونفع إخوانه المسلمين؛ ليعرفوا ربهم، ويعرفوا حقه، ويعبدوه حق عبادته، وليعرفوا رسوله الكريم ويعرفوا حقه، ويطيعوه، وليعرفوا دينهم؛ ليسيروا على الصراط المستقيم، ويفوزوا برضى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) مقدمة شرح العمدة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١/٣)، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، جدة

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية (٣/٤٨٢)؛ ومقدمة كتاب غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، لمحمد بن أحمد بن سالم السفاريني.

(٣) موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري (١/٣٠).

(٤) القواعد، لابن رجب (١/٣).

وختاماً: أسأل الله تعالى بمنه وكرمه وتوفيقه وإحسانه أن يوفقني لحسن القصد، وإصابة الحق، وأن يمنَّ عليَّ بالقبول، وسائر المسلمين، والله أعلم، وبه المستعان، وعليه التكلان، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجمعه
راجي عفو ربه المفتقر إليه
فهد بن بادي المرشدي
البريد الإلكتروني
fahad-badi@hotmail.com

* * * * *

منهج شرح الرسالة

يتلخص المنهج المتبع في جمع هذا الشرح وفق الخطوات الآتية:

أولاً: ضبط متن رسالة "ثلاثة الأصول":

لضبط متن رسالة "ثلاثة الأصول"؛ اعتمدت المتن الذي حققه د. عبدالمحسن بن محمد القاسم، في كتابه: "متون طالب العلم"[1]، وجعلته أصلاً للمقابلة على بقية النسخ؛ فجعلتُ هذا المتن المحقق هو النسخة الأصل، وقابلته على النسخ الأخرى، وأَثْبَتُّ في الحاشية الفروقات بين النسخ الأخرى ونسخة الأصل، وهذه النسخ التي تم مقابلتها على نسخة الأصل، هي:

١) نسخة "ثلاثة الأصول"، التي حققها: سمير بن بشير البرايجي الجزائري، في كتابه: الشرح الممتع على ثلاثة الأصول، واعتمد في تحقيق المتن على: مخطوطة جيدة بخط واضح، ورمزتُ لها بـ (خ).

٢) نسخة "ثلاثة الأصول"، المطبوعة ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى- (١/١٨٣-١٩٦)، وقد تم تصحيحها ومقابلتها على عدة نسخ أهمها: المخطوطة ٨٦/٢٦٩، في المكتبة السعودية بالرياض. ورمزتُ لها بـ (م).

٣) نسخة "ثلاثة الأصول"، المطبوعة ضمن كتاب: "الدرر السنية" (١/١٢٥-١٣٦)، ورمزت لها بـ (د).

---

(١) وقد اعتمد في تحقيقه المتن وضبطه على خمس نسخ خطية، وهي: نسخة خطية بمركز الملك فيصل، برقم (٥٢٥٨)، تاريخ نسخها: ١٣٠٧هـ؛ ونسخة خطية بمركز الملك فيصل، برقم (٥٢٦٥)، تاريخ نسخها: ١٣٣٨هـ؛ ونسخة خطية بجامعة الملك سعود، برقم (٢٣٢٨)؛ ونسخة خطية بجامعة الملك سعود، برقم (٣٩٧٩)؛ ونسخة خطية بمكتبة الشيخ: عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بالقصيم.

٤) نسخة "ثلاثة الأصول"، المطبوعة ضمن كتاب: "مقررات برنامج مهمات العلم"، للشيخ: صالح بن عبدالله العصيمي، والمتن فيها بالإسناد يرويه عن شيخه: عبدالعزيز بن صالح بن مرشد -رحمه الله تعالى-[1]، قِراءَةً عليه، قال: أخبرنا: (عبدالله بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب) عن جده إجازة إن لم يكن سماعاً، عن جده المصنف -رحمه الله تعالى-[2]. ورمزتُ لها بـ (ص).

٥) نسخة "ثلاثة الأصول"، المطبوعة ضمن حاشية ثلاثة الأصول، للشيخ المحقق عبدالرحمن بن محمد بن قاسم -رحمه الله تعالى-.

ثانياً: طريقة شرح رسالة "ثلاثة الأصول":

إن الغرض الأساس من شرح أي كتاب هو بيان ما اشتمل عليه من الألفاظ والمعاني؛ ولذا فإن الضابط في الشرح هو البيان؛ وما كان خارجاً عن حد البيان، بحيث يُفْهَمُ المعنى المراد بدون ذكره، فهو من متممات الشرح، لا من صلبه وأصله؛ وعليه اقتصرت في هذا الشرح على القدر الذي يتحقق به بيان كلام المصنف -رحمه الله تعالى-، وإيضاح معانيه؛ والعلمُ في الشرع إنما يُحمد إذا كان للنفع والانتفاع، لا للبسط والاتساع، وهذا الرسالة مع وجازة لفظها، وصغر حجمها، تضمنت أصولاً عظيمة، ينبغي للقارئ أن يعمل على تفهمها؛ لذا فإن حاجة الناس إلى فقه هذه الرسالة، واستخراج الأصول اللازمة لهم في كل معرفة من المعارف الثلاث أولى من إضاعة الوقت في الاستطراد في

---

(١) ذكر عنه الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي أنه: «كان رحمه الله تام الضبط للمتداول من المتون المشهورة لإمام الدعوة مصنف المتن رحمه الله».

(٢) ذكر الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي هذا الإسناد ضمن تسجيل بعنوان: "منح المكرمات لإجازة طلاب المهمات".

بيان ما هو خارج عن ذلك، وأكثر المتأخرين في بيان المتون صاروا يشتغلون ببيان ظواهر الألفاظ لا حقائق المعاني[١]، وقد اطلعت – ولله الحمد- على جميع الشروح المنشورة لهذه الرسالة، سواء المطبوع منها، أو المُفرَّغ من الدروس الصوتية [٢]، ثم جمعت من تلك الشروح ما يحصل به بيان المعنى المراد للألفاظ الواردة في الرسالة، مع الانتقاء، والترتيب، والتهذيب، والاختصار، والتوثيق؛ وبيَّنت محل الشاهد في النصوص الشرعية التي أوردها المصنف، ووجه الاستشهاد منها، وأضفت إلى ذلك بعض الإضافات النافعة؛ لبيان معنى كلام المصنف، مع إيراد أقوال العلماء في بعض المسائل إذا اقتضى الأمر ذلك؛ وكانت الطريقة التفصيلية المتبعة في شرح الرسالة على النحو الآتي:

١) تم تقسيم متن الرسالة إلى سبعة مقاطع، وأوردت تحت كل مقطع القَدْر من كلام المصنف المراد شرحه، وصدَّرته بكلمة: (قال المصنف: ...).

٢) قمت بشرح كلام المصنف شرحاً إجمالياً مختصراً؛ لإعطاء التصور الأوليّ لمعنى كلام المصنف الوارد في المتن.

٣) أتْبَعْتُ الشرح الإجمالي لكلام المصنف بشرح موضوعي تفصيلي؛ يتضمن تأصيل المسائل الواردة في المتن، والتعريج على بعض ألفاظ المتن بشيء من التوسع في الشرح، وبيان الألفاظ المشكلة؛ وذلك من أجل بناء الملكة العلمية التي يتمكن بها المتلقي من فهم المسائل العلمية التي أوردها المصنف، وارتباط بعضها ببعض.

ثالثاً: التوثيق والاقتباس:

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٠).

(٢) سيأتي ذكر الشروح: ص (٣١)؛ وهذه الشروح منها ما هو مطبوع على هيئة كتاب، ومنها ما هو منشور على الشبكة العنكبوتية.

١) أَثْبَتُّ الآيات القرآنية الواردة في البحث برسم المصحف، وقمت بعزوها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في الحاشية.

٢) خرَّجتُ الأحاديث النبوية من مصادرها المعتمدة؛ وذلك بذكر من خرَّج الحديث من الأئمة، واسم الكتاب، والباب، ورقم الحديث، وقد استغنيت بذلك عن ذكر الجزء والصفحة.

٣) التزمت ذكر درجة كل حديث وَرَدَ ذكره؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بذلك بدءاً بالبخاري، ثم مسلم؛ وإن لم يكن في أحدهما ذكرت درجته معتمداً ما تيسَّر من أقوال أهل العلم في هذا الشأن.

٤) عند النقل للعبارة بنصِّها، فإني أذكر المرجع في الحاشية بدون كلمة (انظر)، وإذا كان المقصود الإحالة فقط كتُب في الهامش (انظر).

٥) إذا وجَدْتُ أخطاء مطبعية في بعض النصوص المنقولة، فإني أُغيِّر المضمون بالصواب الذي أراه، وأُشير في الهامش إلى ذلك.

٦) عند ذكر المرجع لأول مرة في الهامش، فإني أسجل بياناته كاملة (اسم المؤلف، والمحقق، وبيانات النشر – إن وجدت–)، وبعد ذلك أكتفي بالإحالة إليه بذكر اسم الكتاب والمؤلف.

وقد قدمت بن يدي شرح الرسالة بتمهيد اشتمل على أمرين:

الأول: ترجمة مختصرة للمصنف –رحمه الله تعالى–.

والثاني: دراسة مختصرة عن الرسالة: "ثلاثة الأصول"، وتضمنت الآتي:

١) تسمية الرسالة.

٢) وصفٌ عام للرسالة.

٣) دراسة موضوع الرسالــة.

٤) مميزات الرسالة.

٥) عناية العلماء برسالة "ثلاثة الأصول".

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

ترجمة مختصرة للمصنف

-رحمه الله تعالى-[(١)].

هو: **محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي المشرفي الوهيبي التميمي النجدي الحنبلي**.

ولد -رحمه الله تعالى- عام (١١١٥هـ) في العيينة، وهي بلدة قريبة من الرياض، وتلقى فيها علومه الأولية، ورحل في طلب العلم إلى الحجاز واليمن والبصرة، فحاز علوماً وحفظ متوناً، وقد تأثر الشيخ -رحمه الله تعالى- في دعوته وفي أسلوبه وفي كلامه في التوحيد بإمام المفسرين محمد بن جرير الطبري -رحمه الله تعالى-، وأخذ بمدرسته في التفسير بالمأثور[(٢)]؛ وحصَّل كثيراً من كتب شيخ الإسلام: أحمد بن تيمية، وتلميذه العلامة: شمس الدين ابن القيم، واستفاد منها كثيراً؛ وقرأ كتب الحديث وأُجيز بكثير منها؛ وكان الشيخ -رحمه الله تعالى- كثير الذكر لله، قلَّ ما يفتر لسانه من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر؛ وكان لين الجانب لطالب العلم، والسائل، وذي الحاجة، وكان من بيت علم في آبائه وأعمامه وبني أعمامه، واتصل العلم في بنيه وبني بنيه، ومحاسنه أكثر من أن تُحصر، وكفى بفضله شرفاً ما حصل بسببه من تجديد الدين بعد دروسه، وقلع أصل الشرك من غروسه، والشيخ -رحمه الله تعالى- لم يكن صاحب دنيا أو شهرة، وإنما هو صاحب دعوة؛ ولذا حرص أن يكون تصنيفه فيما ينفع عامة الناس، فهو لا

---

(١) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري (١/١٩٨-٢٠٣)، مطابع الحميضي، الرياض، ط. الثالثة: ١٤٣٣هـ.

(٢) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦/٤١٥)، جمعها: عادل مرسي رفاعي، الناشر: مكتبة دار الحجاز، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ.

يُطنب في التأليف ولا يستطرد؛ لأن دعوته كانت للتوحيد، وهذا ليس علماً خاصاً بفئة من الناس، ولهذا كان يختصر في تقرير التوحيد بالدليل من الكتاب والسنة؛ ليكون المتلقي لهذا المنهج معه الدليل الواضح البين من الكتاب والسنة، وليس معه تفصيلُ كلامٍ يُذهب قوة الاستدلال [١].

وقد صنَّف الشيخ مؤلفات كثيرة في التوحيد، واهتم اهتماماً بالغاً في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد، وتحقيقه، والتحذير عن الشرك؛ ومن كتبه النافعة: كتاب التوحيد، والرسالة محل الشرح "ثلاثة الأصول"، وكشف الشبهات، وأصول الإيمان، ومسائل الجاهلية، وله مؤلفات أخرى: في الفقه، والتفسير، والحديث، والسيرة؛ وقد جُمعت مؤلفاته من قبل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وطبعتها في اثني عشر مجلداً، عدا الكشافات التي وقعت في ثلاثة مجلدات.

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله تعالى- عقيدته بقوله: «أُخبركم أني -ولله الحمد- عقيدتي، وديني الذي أدين الله به، مذهب أهل السنة والجماعة، الذي عليه أئمة المسلمين؛ مثل: الأئمة الأربعة، وأتباعهم إلى يوم القيامة، لكني بيَّنت للناس: إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأنبياء، والأموات من الصالحين، وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يُعبد اللهُ به، من الذبح، والنذر، والتوكل، والسجود، وغير ذلك مما هو حق لله، الذي لا يشركه فيه مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل؛ وهو الذي دعت إليه الرسل، من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة» [٢].

توفي -رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته- أواخر سنة (١٢٠٦هـ)، وله من

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٥٠٦/٦).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٤/١).

العمر نحو (٩٢) سنة، وكان قد ثَقُل في آخر عمره، فكان يخرج إلى الصلاة مع الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يُقام في الصف، ومات ولم يُخلف ديناراً ولا درهماً، فلم يُوزعُ بين ورثته مال ولم يُقسم، -رحمه الله تعالى- وجزاه عن التوحيد وأهله أحسن الجزاء وأوفاه.

* * * * *

دراسة مختصرة عن الرسالة: "ثلاثة الأصول"

أولاً: تسمية الرسالة:

عُنونت هذه الرسالة بعناوين تختلف بترتيب ألفاظها، وبالألفاظ ذاتها، وبالاختصار والطول، فمرة بعنوان: "ثلاثة الأصول"؛ وأخرى بعنوان: "ثلاثة الأصول وأدلتها"؛ وثالثة بعنوان: "الأصول الثلاثة"؛ وغير ذلك؛ ويظهر أن العنوان الأول: "**ثلاثة الأصول**" هو أول ما عُنونت به هذه الرسالة، فإذا لاحظنا طبعاتها الأولى؛ نجد أن عنوانها هكذا، فمثلاً طبعتها ضمن مجموعة نشرها عيسى بن رميح سنة (١٣٣٨هـ)، وطبْعَتُها سنة (١٣٤٠هـ) بمطبعة المنار، وطبعتها سنة (١٣٤٥هـ) بالمطبعة السلفية بالقاهرة ضمن مجموعة متون، كلها بهذا العنوان[١]؛ **فالأقرب تسميتها بـــ "ثلاثة الأصول" لأمور:**

الأولى: اعتمد هذه التسمية لجنة جمع مؤلفات الشيخ[٢].

الثانية: سمَّاها بهذا الاسم بعض المؤرخين؛ كابن بشر[٣].

الثالثة: اعتمد هــذه التسمية جمــاعة مــن العلماء، منهم: الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمــد بن عبد الوهاب[٤]؛ والشيخ سليمان بن

---

(١) ينظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: صالح بن عبد الله العبود (١/٢١١)، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط. الثانية: ١٤٢٤هـ.

(٢) مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (١/١٨٣)، قام بالتصحيح والمقابلة على عدة نسخ: المشايخ: ناصر بن عبدالله الطريم، وسعود بن محمد البشر، وعبدالكريم بن محمد اللاحم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: د. محمد بن ناصر الشثري (١/٢٠١).

(٤) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (٢٥٢).

سحمان[١]؛ والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم [٢]، وغيرهم [٣].

والمصنف -رحمه الله تعالى- له رسالة أخرى بعنوان: "الأصول الثلاثة"، وهي رسالة صغيرة أقل من هذه الرسالة علماً؛ ليعلمها الصبيان والصغار [٤]، ففرقٌ بين الرسالتين، فهما وإن كان بينهما اشتراك كبير في مسائلهما، وفي المقاصد الكلية؛ لكن إحداهما، وهي: "الأصول الثلاثة" مختصرة جداً؛ بخلاف رسالة " ثلاثة الأصول" فإنها أبسط في العبارة، وأكثر في الأدلة [٥]؛ وربما قيل لهذه الرسالة: "الأصول الثلاثة"، لكن تسميتها المعروفة أنها: "ثلاثة الأصول وأدلتها"، أو "ثلاثة الأصول" [٦]؛ فغلب عليها هذا الاسم حتى صار علماً عليها، وهذا التركيب (ثلاثة الأصول) صحيحٌ فصيح[٧]، قال المبرد: «تقول: هذه ثلاثة أثوابٍ؛ كما تقول: هذا صاحب ثوبٍ، فإن أردت التعريف قلت: هذه ثلاثة الأثواب، كما تقول: هذا صاحب الأثواب؛ لأن المضاف إنما يعرفه

---

(١) منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، تأليف: سليمان بن سحمان، تحقيق: عبدالسلام بن برجس العبد الكريم (١/٩٥)، الناشر: مكتبة الفرقان، ط. الثالثة: ١٤٢٢هـ.

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٧)، الناشر: بدون، ط. السابعة: ١٤١٧هـ.

(٣) مشاهير علماء نجد وغيرهم، تأليف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد الوهاب (٢٤)، الناشر: طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط. الأولى: ١٣٩٢هـ.

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل بن محمد رفاعي (١١)، الناشر: مكتبة دار الحجاز، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

(٥) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٦).

(٦) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١).

(٧) شرح ثلاثة الأصول وأدلتها، عبدالعزيز بن داخل المطيري (٢٧).

ما يضاف إليه، فيستحيل هذه الثلاثة الأثواب؛ كما يستحيل هذا الصاحب الأثواب، وهذا محال في كل وجه؛ ألا ترى أن ذا الرمة لما أراد التعريف قال:

أمنزلتي مي سلامٌ عليكما هل الأزمن اللائي مضين رواجع

وهل يرجع التسليم أو يدفع البكا ثلاث الأثافي والرسوم البلاقع

وقال الفرزدق:

ما زال مذ عقدت يداه إزاره ودنا فأدرك خمسة الأشبار

فهذا لا يجوز غيره»[١].

وذكر الحريري في أوهام الخواص أنهم يقولون: «ما فعلت الثلاثة الأثواب، فيعرفون الاسمين ويضيفون الأول منهما إلى الثاني، والاختيار: أن يعرف الأخير من كل عدد مضاف، فيقال: ما فعلت ثلاثة الأثواب، وفيم انصرفت ثلاثمائة الدرهم»[٢].

والمصنف لم يكتب هذه الأصول الثلاثة مرة واحدة؛ بل كتبها أكثر من مرة، فكرَّر تأليف رسالة "ثلاثة الأصول" مراراً؛ وقد وردت رسالة "ثلاثة الأصول" في كتاب الدرر السنية، في أربعة مواضع:

الموضع الأول: (١/١٢٥-١٣٦)، وفيه ذُكرت الرسالة كاملة، وهي الرسالة المتداولة المشهورة المنشورة باسم "ثلاثة الأصول"، والرسائل الأخرى عدا هذه الرسالة خلت من المقدمات الثلاث؛ التي تتحدث الأولى: عن العلم،

---

(١) المقتضب، المؤلف: محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (٢/١٧٥).

(٢) درة الغواص في أوهام الخواص، المؤلف: القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري (١/١١١).

والعمل، والدعوة، والصبر، وتتحدث الثانية، والثالثة عن أصول مهمة تتعلق بالتوحيد.

الموضع الثاني: (١/١٣٧-١٤٣)، وهي أقل من الرسالة الأولى، وفيها زيادة ونقص عن الرسالة المشهورة، فزاد فيها ذكر نوعي التوحيد (الربوبية والألوهية) باختصار، ولم يذكر فيها: أدلة أنواع العبادة، ولا مسائل الطاغوت، والهجرة، ومسائل اليوم الآخر: (الإيمان بالبعث والحساب).

الموضع الثالث: (١/١٤٧-١٥١)، وهذه الرسالة كتبها متأخرا في الدرعية بطلب من الأمير: عبد العزيز بن محمد بن سعود -رحمه الله تعالى-؛ حيث طلب من الشيخ المصنف، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الدين، فكتب له الشيخ هذه الرسالة الموجزة مقتصراً على الأصول الثلاثة، وأرسلها الأمير: عبد العزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها.

الموضع الرابع: (١/١٥١-١٥٨)، وهي مختصرة، بدأها بقوله: (إذا قيل لك: من ربك؟).

ثانياً: وصفٌ عامٌ للرسالة:

تشتمل الرسالة على مقدمة لثلاثة الأصول تضمنت ثلاث رسائل متعددة، وبعد ذلك ذِكْرُ موضوع الرسالة، وهو: ثلاثة أصول؛ ثم بعد ذلك خاتمة الرسالة عن اليوم الآخر وبعض المسائل، فهذه الرسالة عبارة عن ثلاثة أقسام:

١) المقدمة:

وتشتمل على ثلاثة مواضيع هامة، كل موضوع منها ابتدأه المصنف بكلمة: "اعلم رحمك الله".

الموضوع الأول: في وجوب تعلم أربع مسائل، وهي: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه.

الموضوع الثاني: في وجوب تعلم ثلاث مسائل والعمل بهن: (توحيد الربوبية، والألوهية، والولاء والبراء).

الموضوع الثالث: في بيان ملة إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وبيان التوحيد، وأهميته، وضده.

٢) صلب الموضوع:

وهو في الحديث عن الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها، وهي: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمداً ﷺ، وبيَّن فيها المصنف: أن العلم بهذه الأصول فريضة على كل ذكر وأنثى، وأن العلم قَبْلَ العمل ومُقدّمٌ عليه، ويريد بالعلم، العلم بما أمر الله به ونهى عنه، أي: معرفة الله، ومعرفة نبيه محمد بن عبد الله ﷺ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، والعمل بتلك المعرفة، ومفتاح العلم في ذلك هو الدليل؛ كما بيَّن فيها ما يجب معرفته فيما يتعلق: بالله عز وجل، وهي: معرفة الله تعالى بآياته ومخلوقاته الدالة على ربوبيته وإلهيته، كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والسحاب المسخر بين السماء والأرض وما عليها من الأدلة من القرآن؛ ومعرفة معنى الإسلام وأَنه تسليم الأمر لله بالانقياد لأمره، وترك مناهيه، ومعرفة أركانه الخمسة التي بُني عليها، وما عليها من الأدلة من القرآن؛ ومعرفة النبي ﷺ بمعرفة اسمه ونسبة ومبعثه وهجرته، ومعرفة أول ما دعا إليه، وهي: (لا إله إلا الله)، وأَكْثَرَ المصنفُ من ذكر الأدلة في ثنايا هذه الرسالة المباركة، ليتبين بذلك أن ما يدعو إليه منبثق من الكتاب

والسنة معتمداً عليهما[١].

٣) نهاية وخاتمة الكتاب:

وضمَّنها المصنف بعض قضايا الإيمان باليوم الآخر، ومنها: الإيمان بالبعث والحساب، وأنَّ من أنكره أو شكَّ فيه فهو كافر، ثم ذكر قضية مهمة وهي: وجوب الكفر بالطاغوت، وذكر معناه، ورؤوسه الخمسة.

ثالثاً: دراسة مَوضُوع الرِّسَالَة[٢]:

موضوع هذه الرسالة: المسائل الثلاث التي يُسأل عنها العبد في قبره: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟؛ ولذا تحدث المصنف عن ثلاثة أصول، وهي: معرفة العبد ربّه، ودينه، ونبيّه، وقد جاء في بداية حاشية الشيخ عبد الرحمن بن قاسم نقلٌ عن مصنف الرسالة، وهو قوله: «قرّرت ثلاثة الأصول: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة دين الإسلام؛ ولكن قف عند هذه الألفاظ، واطلب ما تضمنت من العلم والعلم؛ ولا يمكن العلم إلا أنك تقف عند كل مسمى منها»[٣].

---

(١) ينظر: عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: صالح بن عبد الله العبود (١/٢٨٠) و (٢/٨١٥)؛ وكتاب: مشاهير علماء نجد وغيرهم، تأليف: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد الوهاب (٢٤).

(٢) مجمل مادة هذا المبحث منقولة بشيء من التصرف والإضافة من كتاب: المدخل لشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن سعد بن محمد أبا حسين (١٥-١٦، ٢٠-٢٣)، أعده للنشر: عبدالحق آل أحمد الجزائري، ط. الأولى: ١٤٢٩هـ.

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٥). وقد نقل كلام المصنف بتصرف يسير، ينظر: الدرر السنية (١/١١٧).

وقد جعل المصنف هذه الأصول الثلاثة وسيلة لتقرير التوحيد، فإذا تأمل القارئ كلامه عن هذه الأصول الثلاثة، وجد أن بينها موضوع مشترك، وهو: تقرير توحيد الإلهية، وتعليم مهمات الدين، فموضوع الرسالة المشترك هو: **تقرير التوحيد.**

ووجه مناسبة **الأصل الأول**، وهو: معرفة العبد ربه، لهذا الموضوع المشترك: أنّ الذين خاطبهم المصنف كانوا يُقرّون بتوحيد الربوبية، فابتدأ المصنف بتقريره، واستدلَّ به على توحيد الإلهية، فقرّر أن الربّ الخالق الرازق المحيي المميت هو: المعبود؛ ولهذا أتى بكلام الحافظ ابن كثير: "الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"، ومن كلام المصنف في بعض رسائله: "فاعلم: أن أهم ما فرض الله على العباد: معرفة أن الله رب كل شيء ومليكه، ومدبره، بإرادته؛ فإذا عرفت هذا، فانظر ما حقُ من هذه صفاته عليك بالعبودية، بالمحبة، والإجلال، والتعظيم، والخوف، والرجاء، والتأله، المتضمن: للذل والخضوع، لأمره ونهيه، وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة؛ ولذلك يُعَرِّف عباده، بتقرير ربوبيته، ليرتقوا بها إلى معرفة إلهيته، التي هي مجموع عبادته على مراده، نفيا وإثباتا، علما وعملا، جملة وتفصيلا" [1]، ثم بعد أن قرَّر المصنف توحيد الربوبية، واستدلّ به على توحيد الإلهية: انتقل إلى تقرير توحيد الإلهية، فذكر أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والاستغاثة، والخوف، والرجاء، واستدل على وجوب إفراد الله تعالى بكل عبادة من هذه العبادات؛ فهذا هو وجه مناسبة إدخال

---

(١) الدر السنيّة: (١/ ١١٩).

الأصل الأول بتفاصيله في رسالة ثلاثة الأصول، والتي موضوعها تقرير توحيد الإلهية.

أما **الأصل الثاني**، وهو معرفة العبد دينه، فقد عرّفه المصنف بأنه: دين الإسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله؛ ومن خلال هذا التعريف تتضح المناسبة بين هذا الأصل وموضوع الرسالة المشترك؛ إضافةً على أنّ المصنف استطرد في هذا الأصل لَّما جاء الكلام على شهادة أن لا إله إلا الله، وكون هذه الشهادة من أركان الإسلام؛ حيث بيّن معناها بما يُفهم حقيقة الإسلام.

أما **الأصل الثالث**، وهو: معرفة العبد نبيه ﷺ؛ فمناسبته لموضوع الرسالة، يتّضح بقول المصنف: «بَعَثَه الله: بالنِّذَارة عن الشّركِ، ويدعو إلى التَّوحيد»، وقوله: «لا خَيْرَ إلا دَلَّ الأمة عليه، ولا شَرَّ إلا حَذَّرَهَا منه، والْخَيْرُ الذي دَلَّ عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذَّر منه: الشرك، وجميع ما يكرهه ويأباه»، وجاء في نسخة من رسالة ثلاثة الأصول عند كلام المصنف عن الرسل، قال: «وأعظم ما أمروا به: توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وأعظم ما نهوا عنه: الشرك في العبادة»[1]، وجاء في بعض رسائل المصنف: «ويكون عندك معلوماً: أنّ أساس الأمر، ورأسه، ودعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والنهي عن عبادة من سواه»[2].

---

(١) الدر السنيّة: (١/ ٦١).

(٢) الدر السنيّة: (١/ ١٤٣).

رابعاً: مميزات الرسالة [(١)]:

وهب الله جل وعلا الإمام محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله تعالى-: حسن التصنيف، ودقة الترتيب، وقوة الاستدلال، مع جزالة اللفظ وجمال البيان؛ ولذا تميزت هذه الرسالة في التأليف بميزات كثيرة، منها:

١) سهولة الأسلوب:

تميزت هذه الرسالة بالوضوح، فهي لا تحتاج إلى كثير من الشرح؛ ولذا كانت تُقرأ في المساجد على عوام الناس، فيفهمون محتواها بدون شرح، وقد كتبها المصنف في أوائل دعوته السلفية؛ نصحًا للناس، وإصلاحًا لأحوالهم، ورحمة بهم، فلم يُشدِّد في العبارة، ولم يُقعِّر في الكلام؛ بل ساق المراد بما يناسب أحوال المخاطبين على اختلاف مداركهم، ولذلك فَهِمَ هذه الرسالة العظيمة كل من قرأها أو سمعها أو دُرّست له؛ فإن كان مريدًا للحق مقدمًا له اعتقد ما فيها من التوحيد والإسلام [(٢)].

٢) براعة التصنيف، ومن ذلك:

(أ) الإجمال ثم التفصيل: فالمصنف -رحمه الله تعالى- يجمل أولاً بعض المسائل ثم يفصلها؛ كما في قوله: «فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه ﷺ»، فذكر أولاً هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم أوردها بعد ذلك مفصلة أصلاً أصلاً؛ لأن النفوس إذا عرفت الشيء إجمالاً تطلعت إلى معرفته تفصيلاً، فإذا عرفها مجملة

---

(١) ينظر: عون الرب الوهاب في شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، أعده: إيهاب بن عبدالجليل بن عباس (٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن سعد بن محمد أبا حسين (٦).

وعرف ألفاظها بقي متشوقاً إلى معرفة معانيها، وهذه من الطرق العلمية الجيدة.

(ب) إيصال المعلومة بطريقة السؤال والجواب: وهو من الأساليب النافعة جداً في ضبط المعلومة، وطريقة السؤال والجواب طريقة سلكها المصنف -رحمه الله تعالى- في كثير من رسائله، وهي طريقة نافعة في تقرير المعلومات وسرعة فهمها؛ لأن المُخاطَب إذا طُرِحَ عليه السؤال استعد وتهيأ لفهم الجواب، وهذه طريقة في التعليم استقاها المصنف من هدي النبي ﷺ، فقد كان يسأل أصحابَه؛ حتى تتهيأ أذهانُهم للجواب، ثم يجيبهم.

٣) حسن الترتيب:

وهذا ظاهر في جميع مراحل الرسالة، ومن حسن الترتيب أنه ذكر المسائل الأربع مرتبة، فالعلم أولاً، ثم العمل، ثم الدعوة، ثم الصبر؛ ومن جميل الترتيب ذكره الإنابة بعد الخشية؛ لأن الذي يخشى الله لابد أن يخاف عقابه، وغير ذلك.

٤) التلطف مع المخاطب، والشفقة عليه، والدعاء له:

ينبغي على المعلمين أن يكونوا متلطفين بالمتعلمين؛ لأن التلطف والتعامل معهم بأحسن ما يجد المعلم يجعل قلبَ المتعلم قابلاً للعلم، مُنفتحاً له، مُقبلاً عليه، وكثيراً ما يجمع المصنف -رحمه الله تعالى- بين الدعاء للطالب مع ما قرره ووضَّحَه، وهذا من حسن مسلكه، ومحبته، ورحمته بالمسلمين؛ ومن ذلك قوله: (اعلم رحمك الله)، و(اعلم أرشدك الله لطاعته)، ولما حذَّر من الشرك حذَّر منه بعبارة تدل على اللطف والمحبة والشفقة بالمخاطب، فقال: (الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل).

٥) رعاية حال المخاطبين:

فقد اعترض بعضهم على المصنف – عند كلامه عن الأصل الأول – في تفريقه بين الآيات والمخلوقات؛ ولكن تفريقه -رحمه الله تعالى- دقيقٌ مناسبٌ لأمور، منها، أن فيه: رعاية لحال من يُعَلَّم هذه الأصول، حيثُ مثَّل للآيات بمتغيرات لا تثبت، وهي: الليل والنهار والشمس والقمر، فهذا يذهب وذاك يجيء وهذا يشرق وذاك يغيب؛ ومثّل للمخلوقات بثوابت لا تتغير، فيُصبح العبد ويُمسي ويكبر، وهي ثابتة في نظره لم تتغير ولم تتبدل، فهو يصبح ويرى السماء، ويصبح ويرى الأرض، فإِلفُه للسماء وللأرض يحجب عنه كون هذه آيات؛ فكون المتغيرات أمثلة للآيات أظهر وأوضح؛ لأن ذلك ظاهر بَيِّنٌ واضح للمراد منه، فالأشياء المتغيرة المتقلبة التي تذهب وتجيء، هذه أظهر في كونها آية؛ فالمتغيرات من ليل ونهار وشمس وقمر هي في الدلالة أوضح وأظهر من المخلوقات الثابتة، مع كونها جميعاً آيات كونية مخلوقة.

٦) الإكثار من الأدلة:

فلا يكاد يذكر مسألة إلا ويدلل عليها، وهذه الميزة عامة في مؤلفات المصنف -رحمه الله تعالى-؛ فمنهج المؤلف في التعليم والدّعوة في هذه الرسالة على وجه الخصوص قائمٌ على أساس، وهو: المعرفة الحاصلة بالدَّليل، والرسالة كلّها تدلّ على ذلك، إذ بلغ عدد النصوص فيها من الكتاب والسنة ستين نصاً؛ أما النقول عن أهل العلم فستة نقول: نقلٌ عن الإمام الشافعي في تفسير سورة العصر؛ ونقلٌ عن الإمام البخاري عند كلامه عن العلم قبل القول والعمل؛ وتفسيرٌ لابن عباس في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾، لكنه لم يعزه إليه؛ ونقلٌ عن

الحافظ ابن كثير عند قوله: «والرب: هو المعبود»؛ ونقلٌ عن الإمام البغوي عند الحديث عن الهجرة؛ ونقلٌ عن ابن القيم عند تعريفه للطاغوت [(١)].

خامساً: عناية العلماء برسالة: "ثلاثة الأصول":

المسألة الأولى: الشروح:

اعتنى أهل العلم بهذه الرسالة عناية كبيرة، وقد كثرت الشروح عليها، وهي على قسمين:

القسم الأول: الشروح المطبوعة:

١) حاشية ثلاثة الأصول، تأليف الشيخ المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي النجدي -رحمه الله تعالى-، ط. السابعة: ١٤١٧هـ.

٢) شرح ثلاثة الأصول، لسماحة الشيخ العلامة: عبدالعزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، اعتنى به: علي بن صالح المري، وأحمد بن عبدالعزيز بن باز، الناشر: دار الفتح، المدينة المنورة، ط. الأولى: ١٤١٦هـ.

٣) شرح ثلاثة الأصول، للشيخ العلامة: محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى-، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا، الرياض، ط. الثانية: ١٤٢٦هـ.

٤) شرح ثلاثة الأصول، للشيخ الدكتور: محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى-، اعتنى به: محمود بن إبراهيم الطرابلسي، الناشر: دار النصيحة، المدينة المنورة، ط. الأولى: ١٤٢٨هـ.

٥) شرح الأصول الثلاثة، لمعالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان،

---

(١) المدخل لشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن سعد بن محمد أبا حسين (٣٦).

اعتنى به: عبدالسلام بن عبدالله السليمان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

٦) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، للشيخ: عبدالله بن محمد الغنيمان، الناشر: دار ابن الأثير، ط. الأولى: ١٤٢٩هـ.

٧) شرح الأصول الثلاثة، للشيخ: عبدالرحمن بن ناصر البراك، راجعه: عبدالرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الرياض، ط. الخامسة: ١٤٣٥هـ.

٨) شرح الأصول الثلاثة، للشيخ: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي، الناشر: مدار الوطن للنشر، ط. الثانية: ١٤٣٤هـ.

٩) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، للشيخ: عبدالله بن صالح الفوزان، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الأولى: ١٤٢٠هـ.

١٠) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، للشيخ: عبدالله بن صالح القصير، الناشر: مدار الوطن للنشر، ط. الأولى: ١٤٢٨هـ.

١١) شرح ثلاثة الأصول، لمعالي الشيخ: صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، عناية: عادل بن محمد مرسي رفاعي، الناشر: مكتبة دار الحجاز، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن بن محمد القاسم، الناشر: بدون، ط. الثانية: ١٤٢٩هـ.

١٣) اتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، للشيخ: عبيد بن عبدالله بن سليمان الجابري، الناشر: دار الميراث النبوي، الجزائر، ط. الثالثة: ١٤٣٦هـ.

١٤) شرح ثلاثة الأصول، للشيخ: عبدالله بن إبراهيم القرعاوي، الناشر:

دار الصميعي، ط. الأولى: ١٤٣٤هـ.

١٥) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، لأبي نجيد عصام بن أحمد بن مامي، الناشر: دار اللؤلؤة، بيروت، ط. الأولى: ١٤٣٤هـ.

١٦) شرح ثلاثة الأصول، شرحه: خالد بن علي المرضي الغامدي، دار أطلس الخضراء، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

١٧) تقريب الوصول إلى ثلاثة الأصول، تأليف: د. منصور بن محمد الصقعوب، الناشر: دار العقيدة، ط.١٤٣٦هـ.

١٨) جنى الحقول من شرح ثلاثة الأصول، تأليف: منصور بن صالح الجاسر، الناشر: دار أصداء المجتمع، القصيم، ط. الثانية: ١٤٣٥هـ.

١٩) التعليقات البهية على الرسائل العقدية، تأليف: الشيخ: أحمد بن يحيى النجمي، تحقيق: حسن الدغريري، الناشر: منارة الإسلام، القاهرة، ط. الأولى: ١٤٣١هـ.

٢٠) شرح الأصول الثلاثة وأدلتها، تأليف: د. حمد بن إبراهيم العثمان، الناشر: غراس للنشر والتوزيع، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ.

٢١) شرح الأصول الثلاثة، محمد حسان، الناشر: مكتبة فياض، المنصورة، ط. ١٤٢٩هـ.

٢٢) الأصول في شرح ثلاثة الأصول، عبدالله المحمد اليحيى، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٢٣) الشرح الممتع على ثلاثة الأصول، شرح وتحقيق: سمير بن بشير البرايجي الجزائري، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٢٤) الشرح المأمول على ثلاثة الأصول، خالد بن محمود الجهني، منشور

على الشبكة العنكبوتية.

٢٥) الإجازة في شرح الأصول الثلاثة، تأليف: محمد عبدالمقصود بقية، الناشر: دار الفوائد، ط. الأولى: ١٤٢٨ه.

٢٦) شرح ثلاثة الأصول وأدلتها، هيثم بن محمد سرحان، الناشر: دار النصيحة، المدينة النبوية، ط. الثانية: ١٤٣٧ه.

٢٧) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة أصول، تأليف: د. عبدالرحمن بن سليمان الشمسان، الناشر: دار العقيدة، ط. الأولى: ١٤٣٧هـ.

٢٨) الشرح المأمول للثلاثة الأصول، محمد بن أحمد العماري، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٢٩) شرح الأصول الثلاثة، سليمان بن محمد اللهيميد، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٣٠) عون الرب الوهاب في شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن عبدالوهاب، أعده: إيهاب بن عبدالجليل بن عباس، منشور على الشبكة العنكبوتية.

القسم الثاني: الشروح الصوتية المسجلة:

وهي كثيرة جداً، ويصعب حصرها، وقد فُرِّغ بعضها، ومن الشروح المفرغة:

١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح، منشور في موقع الشارح على الشبكة العنكبوتية.

٢) تعليقات على ثلاثة الأصول وأدلتها، للشيخ/ صالح بن عبدالله العصيمي، النسخة الإلكترونية الخامسة، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٣) شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن سعد أبا حسين، منشور على الشبكة

العنكبوتية.

٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن سعد السحيمي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٥) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز بن ريس الريس، منشور في موقع الشارح على الشبكة العنكبوتية.

٦) شرح الأصول الثلاثة، أحمد بن عمر الحازمي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٧) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي، منشور في موقع الشارح على الشبكة العنكبوتية، النشرة الثانية (مزيدة ومنقحة)، رجب، ١٤٣٧هـ.

٨) شرح ثلاثة الأصول وأدلتها، عبدالعزيز بن داخل المطيري، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٩) تيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول، الشيخ/ عبدالله بن حمود الفريح، منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٠) شرح الأصول الثلاثة، فهد بن محمد الغفيلي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

١١) شرح متن الأصول الثلاثة، مصطفى بن محمد مبرم، منشور على الشبكة العنكبوتية.

١٢) إتحاف العقول بشرح ثلاثة الأصول، د. محمد بن أحمد الخضي، أعده: سعود عبده دغريري، منشور على الشبكة العنكبوتية.

وقد تم الرجوع لهذا الشرح إلى جميع الشروح المذكورة (المطبوعة، والصوتية المنشورة على الشبكة العنكبوتية).

المسألة الثانية: نظمُها:

نظمها شعراً أكثر من واحد، منهم:

١) الشيخ: عمر بن إبراهيم البري المدني، وسماه: تسهيل الحفظ والوصول نظم الثلاثة الأصول، اعتنى به: مجد بن أحمد مكي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى: ١٤١٩هـ.

٢) الشيخ: سعود بن إبراهيم الشريم، وسماه: إسراج الخيول في نظم القواعد الأربع والثلاثة الأصول، الناشر: دار الوطن، ط. الأولى: ١٤٢٠هـ.

المسألة الثالثة: مختصرات رسالة ثلاثة الأصول:

اختصرها أكثر من واحد، منهم:

١) المصنف نفسه في رسالة سُميت بـــ "الأصول الثلاثة الواجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها".

٢) الشيخ: عبد العزيز بن محمد الشثري، وقد طُبعت بدار العاصمة بالرياض، ١٤١٠هـ، وعليها حاشية حفيد المؤلف، د. سعد بن ناصر الشثري، بعنوان: "المصقول في التعليق على مختصر ثلاثة الأصول".

المسألة الرابعة: ترتيبها على هيئة السؤال والجواب:

ومن الكتب المصنفة في ذلك:

١) تسهيل الوصول إلى الثلاثة الأصول، للشيخ محمد الطيب بن إسحاق الأنصاري، حيث رتبها على طريقة السؤال والجواب، اعتنى به: مجد بن أحمد مكي، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ط. الأولى: ١٤١٩هـ.

٢) القول السديد فيما يجب لله على العبيد، الشيخ: محمد بن عبدالعزيز بن مانع، حيث وضع على متن ثلاثة الأصول أسئلة وأجوبة بسيطة، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الأولى: ١٤٢٠هـ.

٣) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب، خليل بن إبراهيم العراقي الأثري، منشور على الشبكة العنكبوتية.

٤) إتحاف الطلاب بتسهيل شرح الأصول الثلاثة في سؤال وجواب، إعداد: إبراهيم ابن الفقيه السريحي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

المسألة الخامسة: مؤلفات أخرى متعلقة بثلاثة الأصول:

١) كشاف تحليلي لشروح ثلاثة الأصول وأدلتها، عبد العزيز الداخل.

٢) المدخل لشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن سعد بن محمد أبا حسين، أعده للنشر: عبدالحق آل أحمد الجزائري، ط. الأولى: ١٤٢٩هـ.

وهذا أوان الشروع في شرح هذه الرسالة المباركة بعون الله الجليل وتيسيره.

* * * * *



الرسالة الأولى
من الرسائل الثلاث
التي سبقت الأصول الثلاثة

[الموضوع الأول]

قال المصنف رحمه الله:

بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١).

اعْلَمْ -رَحِمَكَ اللهُ- أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

- **الأُولَى:** الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الله، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- **الثانية:** العمل به.
- **الثالثة:** الدعوة إليه.
- **الرَّابِعَةُ:** الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

قال الشافعي-رحمه الله تعالى-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ الله حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ »(٢).

وَقَالَ البُخَارِيُّ-رحمه الله تعالى-: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ، قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

---

(١) في (خ): زيادة: (وبه نستعين).

(٢) في (خ) و (ص): (هذه السورة لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هي لكفتهم).

قال المصنف رحمه الله: (بسم الله الرحمن الرحيم).

الشرح الإجمالي

استفتح المصنف -رحمه الله تعالى- كتابه مستعيناً بالله، ومتبركاً باسمه تعالى، قائلاً: أبدأ مصنفي بـ **(بسم الله الرحمن الرحيم)** [١].

الشرح التفصيلي

بدأ المصنف هذه الرسالة المباركة بالبسملة؛ اقتداء بكتاب الله عز وجل[٢]؛ واتباعاً لسنة النبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، والتصانيف تجري مجراها[٣]؛ وجرياً على ما سلكه أهل العلم في مؤلفاتهم من التيمن بالبداءة بذلك[٤].

والبسملة والكلام عليها معروفٌ متكرر، والبداءةُ بها؛ للتبرك والاستعانة على ما يُهتم به، واقتصر المصنف على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر[٥].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن بن محمد القاسم (١٠).

(٢) فإن كل سورة في القرآن ابتدأت بالبسملة، ماعدا سورة التوبة.

(٣) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٤) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٩).

(٥) المصدر السابق.

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (اعْلَمْ - رَحِمَكَ الله - أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل).

الشرح الإجمالي

(اعلم) أي: اجزم وتيقن، ولا تشك ولا تتوهم [(١)]، وتعلّم، ولا تكن جاهلاً بأمور الدين؛ وأنا أدعو لك بالرحمة قائلاً: **(رحمك الله)**، أي: أسأل الله أن ينزل عليك رحمته التي تحصل بها على مطلوبك، وتنجو بها من محذورك [(٢)] **(أنه يجب علينا)**، أي: يلزمنا نحن معاشر المسلمين، **(تعلم)** ومعرفة **(أربع مسائل)** مهمة في الدين شاملة له؛ وهذه المسائل حقيقٌ أن تهتم بها غاية الاهتمام وأن تُصغي إليها حقيقة الإصغاء [(٣)].

الشرح التفصيلي

هذه هي الرسالة الأولى من الرسائل الثلاث المقدمات بين يدي رسالة "ثلاثة الأصول"، وتضمنت بيان المسائل الأربع الواجبات: وذلك بطلب العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى، وفي هذا تنبيه على أهمية هذه الرسالة وضرورة تعلمها وتعليمها للناس، وفيه أيضًا تأصيل لأمور عظيمة وهي: العلم، ومكانته، وعظم شأنه، والذي جِماعه: معرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة؛ والعمل به؛ والدعوة إليه؛ والصبر على الأذى فيه، وهذه الأمور الأربعة تحققت في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتختلف مقامات أتباعهم عند الله بقدر تحقيق تلك الأمور المهمة؛ بل إن هذا الدين لا يقوم إلا بتحقيق أهله لهذه المهمات الأربع، **قال ابن القيم** -رحمه الله تعالى-: «المراتب

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٩)، الناشر: مدار الوطن للنشر، ط. الثانية: ١٤٣٤هـ.

(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن بن محمد القاسم (١٠).

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠)؛ وتيسير الوصول، د. عبدالمحسن القاسم (١١).

أربع، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

أحدها: معرفة الحق، والثانية: عمله به، والثالثة: تعليمه من لا يحسنه، والرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه..؛ وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكملا لغيره، وكماله: بإصلاح قُوَّتيه العلمية والعملية، فصلاح القوة العلمية بالإيمان؛ وصلاحُ القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره: بتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل»[1].

وقال أيضاً: «فجهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على **تعلم** الهدى ودين الحق، الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلْمُه شقيت في الدارين.

الثانية: أن يجاهدها على **العمل به بعد علمه**، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها.

الثالثة: أن يجاهدها على **الدعوة إليه**، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه من عذاب الله.

الرابعة: أن يجاهدها على **الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق**، ويتحمل ذلك كله لله، فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يُسمى ربانياً حتى **يعرف الحق**،

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٥٢-١٥٤).

ويعمل به، ويُعلّمه، فمن علم وعمل وعلَّمَ فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماوات»[(١)].

وبدأ المصنف ببيان أهمية العلم، فقال: **(اعلم):** وهو فعل أمر من العلم، وهو: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع إدراكاً جازماً لا يتطرق إليه شك[(٢)]، فالعلم: مايتيقنه الإنسان؛ لأن المدركات أربعة أنواع: العلم، والشك، والظن، والوهم[(٣)]، والعلم ما قام عليه الدليل؛ فالعلم معرفة الهدى بدليله، وما ليس كذلك فجهل وضلال [(٤)].

وكلمة (اعلم) يؤتى بها من باب التنبيه، وحث السامع على أن يُصغي لما سيُقال، فهي أمر بتحصيل العلم والتهيؤ لما سيُلْقَى من العلوم؛ أي: كن متهيئاً ومتفهماً لما يُلقى إليك من العلوم؛ وما قرره المصنف هنا من أصول الدين: حقيقٌ بأن يهتم به غاية الاهتمام، ويعتنى به أشد الاعتناء، ويصغى إليه حقيقة الإصغاء[(٥)].

ومراد المصنف بتصدير الكلام بهذه الكلمة أمران [(٦)]:

الأمر الأول: أن تعلم أن ما في هذه الرسالة يجب اعتقاده اعتقاداً جازماً، ولا يجوز أن يتطرق إليه الشك.

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/١٠).

(٢) ينظر: التعريفات، للشريف الجرجاني (١٥٥).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٩).

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١١/١٤٧).

(٥) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٩).

(٦) شرح ثلاثة الأصول، سليمان الرحيلي، شرح مفرغ منشور على الشبكة العنكبوتية، أعده: أبو عمر عبدالصمد بن الحسن.

الأمر الثاني: أن يُشعرك بأهمية المذكور في الرسالة؛ فإن كلمة "اعلم" يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة الذي ينبغي للمتعلم أن يصغي إلى ما يلقى إليه منها.

وقوله: **(رحمك الله):** هذا تلطف ودعاء بالرحمة، وهي جملة خبرية، والمقصود منها الدعاء، أي: أفاض الله عليك من رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو من محذورك(١)؛ وقيل: معنى: رحمك الله: أي: غفر الله لك ما مضى من ذنوبك، ووفقك وعصمك فيما يستقبل منها، هذا إذا أفردت الرحمة؛ أما إذا قرنت الرحمة بالمغفرة، فالمغفرة لما مضى من الذنوب، والرحمة والتوفيق للخير والسلامة من الذنوب في المستقبل(٢).

قال ابن نجيم: «رحمك الله: أُخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة، كأن الرحمة وجدت فهو يُخبر عنها»(٣).

وقول المصنف: **(اعلم -رحمك الله-)**: هذا يدل على أمرين:

الأول: عنايته وشفقته بالمخاطب وقصد الخير(٤).

الثاني: التنبيه إلى أن مبنى هذا العلم على التلطف، وعلى الرحمة بالمتعلمين؛ لأنه دعا له بالرحمة، ولهذا قَرَنَ اللهُ عز وجل العلم باسمه

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٩)، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا، الرياض، ط. الثانية: ١٤٢٦هـ؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٩).

(٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٤/١٤٠).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٩).

الرحمن؛ فقال جل وعلا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[1]، وكان العلماء رحمهم الله يَروُون ويُروُّون لمن بعدهم فيمن طلب الإجازة في الحديث حديث: **(الراحمون يرحمهم الرحمن)**[2]، وهذا الحديث هو المعروف عند أهل العلم: بالمسلسل بالأولية؛ لأن كل راوٍ يقول لمن بعده: وهو أول حديث سمعته منه [3]؛ قال العلماء: سبب ذلك أن مبنى هذا العلم على الرحمة، ونتيجته الرحمة في الدنيا، وغايته الرحمة في الآخرة؛ ولهذا نبه المصنف -رحمه الله تعالى- على ذلك تنبيهاً لطيفاً دقيقاً؛ حيث قال: (اعلم رحمك الله)؛ وهي دعاء للمتعلم بالرحمة؛ لأن مبنى التعلم بين المعلم والمتعلم هو التراحم كلٌّ بما يناسبه [4].

قال المصنف: **(أنه يجب علينا: تعلم أربع مسائل):** أي: أنه يجب علينا وجوباً -وليس نافلة- أن نتعلم هذه المسائل، ومن لم يتعلمها فإنه آثم؛ ومن تعلمها فهو مثاب؛ لأن الواجب ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه[5]، والكلام يصح لو قال: "اعلم أنه يجب"، لكنه قال: "يجب علينا" بضمير الجمع الذي يشمل المتكلم والمخاطب؛ وفائدته بيان أن هذا الوجوب على جميع المكلفين،

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان [١-٢].

(٢) رواه الترمذي، باب: البر والصلة، برقم (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح؛ ورواه الحاكم برقم (٧٢٧٤)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) الحديث المسلسل: «هو الذي اتفق فيه الرواة، فنقلوه بصيغة معينة، أو حال معين»، يعني: أن الرواة اتفقوا فيه على وصف معين: إما وصف الأداء، أو وصف حال الراوي، أو غير ذلك. ينظر: شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث، محمد بن صالح العثيمين (٦٣).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل بن محمد رفاعي (١٢-١٣).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٠).

ذكرهم وأنثاهم، حرهم وعبدهم، فيجب علينا نحن معاشر المسلمين تعلم أربع مسائل [١]: يعني: مباحث، وسُميت مسائل؛ لأنها يجب أن يُسأل عنها ويُعنى بها [٢]؛ وأولى هذه المسائل الأربع: العلم، والثانية: العمل بالعلم، والثالثة: الدعوة إلى ذلك العلم الذي تعلمت، والرابعة: الصبر على الأذى في الله تعالى، وفي سبيل تحصيل العلم، وفي سبيل العمل بالعلم، وفي سبيل الدعوة إلى العلم [٣].

وقد ذكر المصنف هنا بأن حكم هذه المسائل التي سيذكرها الوجوب، والوجوب حكم شرعي لا بد أن يدل عليه دليل، وقد أخذ المصنف -رحمه الله تعالى- وجوب العلم بهذه المسائل الأربع من أدلة كثيرة، خاصة وعامة [٤]، كلها متفقة على أنه لا بد من العلم بالله تعالى، وبحقه على عباده، وأداء ذلك الحق الذي شرعه إليه على الوجه الذي يرضيه، ومن تمام ذلك هداية عباده إليه، ودعوتهم لأداء حقه بذكر فضله وجزائه بثواب المطيعين وعقاب العاصين في الدارين، ولن يقوم عبد بذلك إلا بالصبر على الأذى فيه فدل ذلك على وجوب العلم، والعمل، والدعوة، والصبر، فإن ما لا يتحقق الواجب أو يتم إلا به

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي، تحقيق وعناية: محمود بن إبراهيم الطرابلسي (٢٠)، الناشر: دار النصيحة، المدينة المنورة، ط. الأولى: ١٤٢٨هـ.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٦)، اعتنى به: عبدالسلام بن عبدالله السليمان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي، تحقيق وعناية: محمود بن إبراهيم الطرابلسي (٢٠).

(٤) سيأتي بيان هذه الألة ص(٧٦، ١٦٥).

فهو واجب، وهذا توجيه وجوب تعلم هذه الأربع مسائل [١].

وفي قوله: (يجب علينا تعلم أربع مسائل): هل المقصود أن المسائل الأربع كلها من العلم العيني الذي يجب على كل أحدٍ تعلمه؛ أم أن منها ما يجب وجوباً عينياً، ومنها ما يجب تعلمه على الكفاية؟ على قولين:

القول الأول: أن المراد بالوجوب هنا الواجب العيني، وهو ما يجب أداؤه على كل مكلف بعينه، فيجب على كل مكلف العلم بهذه الأربع المسائل [٢].

قال ابن قاسم: «يلزم كل فرد من أفراد المكلفين، ذكرا كان أو أنثى، حراً أو عبداً، تعلم أربع مسائل،... فيجب على كل فرد منا: العلم بهذه الأربع المسائل» [٣]؛ وعليه يكون مراد المصنف من هذه المسائل الأربع هو الواجبات المتعينات منها على كل أحد: فالمسألة الأولى: (العلم) المقصود به هنا ما كان من قبيل فرض العين؛ والمسألة الثانية الواجبة: (العمل به)، يعني: العمل بالعلم الواجب، فمراده هنا بالعمل هو: العمل الواجب؛ يعني: كما أن العلم واجب فيكون العمل به واجبًا، بمعنى: أن كل علمٍ هو فرض عين وجب عليه أن يعمل به، ووجب عليه أمر ثالث: وهو أن يكمل غيره بذلك العلم، ويحثه على العمل

---

(١) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح القصير (٦)، الناشر: مدار الوطن للنشر، ط. الأولى: ١٤٢٨هـ.

(٢) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠)؛ وتيسير الوصول، د. عبدالمحسن القاسم (١١)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. خالد بن عبدالله المصلح (٤)، منشور في موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية؛ وينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢)، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الأولى: ١٤٢٠هـ؛ وشرح ثلاثة الأصول، حمد بن عبدالله الحمد (٣)، منشور في موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية.

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠).

به، وهي المسألة الثالثة (الدعوة إليه)؛ فالعلم الواجب تكون الدعوة إليه واجبة أيضاً، والعلم المستحب الدعوة إليه مستحبة، وإنما تجب الدعوة على مَنْ تَعَلَّمَ العلم وقَدِر، بمعنى أن الاستطاعة شرط هنا في الوجوب، وكل أمرٍ في الشرع إنما هو مقيد بالاستطاعة؛ ولا تتم الدعوة الواجبة إلا مع الأذى، وقد أوذي الأنبياء والمرسلون، وهم أفضل الخلق، فمن دونهم من باب أولى وأحرى، وحينئذٍ لا تتم هذه الدعوة إلا بالصبر على الأذى فيها، وهي المسألة الرابعة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فلا بد من الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله تعالى، ولذلك أمر الله نبيه بأن يصبر كما قال تعالى: ﴿**فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ**﴾[1][2].

القول الثاني: أن الوجوب ها هنا المقصود به: ما يشمل الوجوب العيني والوجوب الكفائي[3]؛ فهذا الوجوب ينقسم إلى قسمين: قسم عيني على كل فرد إذا بلغ التكليف وجب عليه، والثاني: يجب على عموم الأمة وليس على أفرادها بأعيانهم، وهذه المسائل الأربع تنقسم إلى فرض عين وفرض كفاية[4]، وعليه يكون ما ذكره المصنف من المسائل الأربع، منها ما يدخل تحت الواجب العيني، ومنها ما يدخل تحت الواجب الكفائي: ففي المسألة الأولى، وهي

---

(١) سورة الأحقاف، الآية [٣٥].

(٢) شرح الأصول الثلاثة، أحمد بن عمر الحازمي، منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣).

(٤) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (١٣)، الناشر: دار ابن الأثير، ط. الأولى: ١٤٢٩هـ.

(العلم) فما ذكره واجب علينا أن نتعلمه وجوبا عينياً، هو معرفة ثلاثة الأصول ؛ معرفة العبد ربه ، ومعرفة العبد دينه ، ومعرفة العبد نبيه ، هذه المعرفة واجبة ، فمثل هذا العلم لا ينفع فيه التقليد ، بل الواجب فيه أن يحصله العبدُ بدليله[(١)] ؛ وأما العمل ، فمنه : ما يتعين على الإنسان بعينه ، فهو فرض عين ، ومنه ما هو فرض كفاية ؛ والدعوة إلى الله جل وعلا : منها ما هو فرضٌ عيني ، ومنها ما هو فرضٌ كفائي ؛ والصبر يكون متعيناً على كل أحد بحسب الشيء الذي يلزمه فيه[(٢)].

* * * * *

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤).

(٢) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (١٧ ، ١٩ ، ٢٣)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٧-١٩).

قال المصنف رحمه الله: **(الأُولَى: الْعِلْمُ، وَهُوَ: مَعْرِفَةُ الله، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**.

الشرح الإجمالي

(الأولى) من تلك المسائل الأربع التي يجب تعلمها **(العلم)**، وهو معرفة الهدى بدليله **(و)** العلم الذي يجب تعلمه على كل أحد **(هو)** معرفة ثلاثة الأصول: **(معرفة الله)** بأسمائه وصفاته، **(ومعرفة نبيه)** محمد ﷺ، **(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**، فشملت ثلاث معارف: المرسِل، والمرسَل، والرسالة، وهي: الأصول الثلاثة التي سيتكلم عنها المصنف إجمالاً وتفصيلاً، وخص -رحمه الله تعالى- هذه الأمور، لأنها هي أصول الإسلام التي لا يقوم إلا عليها، وهي التي يُسأل العبد عنها في قبره، والعبد إذا عرف ربه جل وعلا، وعرف نبيه ﷺ، وعرف دين الإسلام بالأدلة، كمُلَ له دينه.

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف فيما سبق أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل، وبدأ هنا بذكر المسألة الأولى من تلك المسائل، فقال: **(الأولى: العلم)**، فأول المسائل الأربع التي يجب علينا تعلُّمها: العلم، والمراد بالعلم هنا: العلم الشرعي؛ لأن العلم إذا أُطلق — أي: في القرآن والسنة ولسان السلف الصالح - فالمراد به العلم الشرعي الذي تُفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه[1]؛ وهو: العلم الذي جاء به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق.

والعلم الشرعي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: علم كفائي يجب على من تقوم بهم الكفاية تعلمه، وهو طلب ما يكمل به الدين، والعلم الذي تعلمه فرض كفاية؛ كتفاريع المسائل الفقهية،

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠).

والاطلاع على أقوال العلماء، ومعرفة الخلاف، ومناقشة الأدلة، فهذا ليس بواجب على كل مسلم، فإذا وجد من يقوم به من أهل العلم صار في حق الباقين سنة.

والقسم الثاني: علم عيني يجب على كل مكلف تعلمه ليصح به دينه، وهو ما لا يستقيم ويقوم دين المرء إلا به، سواء في العقائد، أو في الأعمال، أو في الأقوال، كأصول الإيمان، وأركان الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات، وما يجب فعله من الواجبات، ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به[(١)].

قال الإمام أحمد -رحمه الله تعالى-: «يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه، قيل له: مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله: صلاته وصيامه، ونحو ذلك»[(٢)].

وحد العلم الواجب: هو أنَّ كلَّ ما وجَبَ على الـمُسْلم ِالعَملُ به وجب عليهِ أن يُقدِّم العلمَ به؛ فكل ما وجب العمل به فتقدم العمل به واجب[(٣)]، قال ابن القيم-رحمه الله تعالى-: «فإن الايمان فرض على كل وَاحِد، وَهُوَ مَاهِيَّة مركبة من علم وعمل، فَلَا يُتصَوَّر وجود الايمان الا بِالْعلمِ وَالْعَمَل، ثمَّ شرائع

---

(١) ينظر: جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر: (٣١)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن ابن قاسم (١٠).

(٢) الفروع، لابن مفلح: (١/ ٥٢٥).

(٣) فوائد من تقريرات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي، على شرح ثلاثة الأصول، للعلامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله، مفرغٌ، ومنشور على الشبكة العنكبوتية.

الاسلام وَاجِبَة على كل مُسلم وَلَا يُمكن اداؤها إلا بعد معرفتها وَالْعلم بهَا» ؛ وقال أيضاً: «العلم المفروض تعلمه ضربان: ضربٌ منه فرض عين لا يسع مسلماً جهله، وهو أنواع:

النوع الأول: عِلْمُ أصول الايمان الخمسة: الايمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، فإن من لم يؤمن بهذه الخمسة لم يدخل في باب الايمان، ولا يستحق اسم المؤمن، فالإيمان بهذه الأصول فرعُ عن معرفتها والعلم بها.

النوع الثاني: عِلْمُ شرائع الإسلام، واللازم منها عِلْمُ ما يخص العبد من فعلها، كعلم الوضوء، والصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، وتوابعها وشروطها ومبطلاتها.

النوع الثالث: عِلْمُ المحرمات الخمس؛ التي اتفقت عليها الرسل والشرائع والكتب الإلهية، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

النوع الرابع: عِلْمُ أحكام المعاشرة والمعاملة التي تحصل بينه وبين الناس خصوصاً وعموماً، والواجب في هذا النوع يختلف باختلاف أحوال الناس ومنازلهم، فليس الواجب على الإمام مع رعيته كالواجب على الرجل مع أهله وجيرته، وليس الواجب على من نصَبَ نفسه لأنواع التجارات من تعلم أحكام

(١) سورة الأعراف، الآية [٣٣].

البياعات كالواجب على من لا يبيع ولا يشتري الا ما تدعو الحاجة إليه» أ.هـ[١].

وقد عيَّن المصنف المراد بالعلم هنا، وفسره بقوله: (وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)، فليس المراد كل العلم الذي هو الشرعي، وإنما المراد به هذه المعارف الثلاث[٢]، وهذا أشرفُ علمٍ على الإطلاق؛ فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله، ودينه، ورسوله[٣]، وهذه المعارف الثلاث من العلم العيني الذي يجب على كل مكلف تعلمه ليصح به دينه؛ ووجه كونها مما يجب تعلمه؛ أنها مندرجة في الأمر بالعبادة؛ فإن الله جل وعلا أمرنا بالعبادة وخلقنا لها، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[٥]؛ والإتيان بالعبادة متوقف على ثلاثة أمور:

أحدها: معرفة المعبود الذي تُجعل له العبادة، وهو الله جل جلاله.

وثانيها: معرفة المبلغ عنه المعرِّفُ بما يجب له من العبادة؛ فإن العقول لا تستقل بمعرفة مـا يجب لله مـن حق؛ بل هي مفتقرة إلى دليل يدلهـا، ومرشد يرشدها.

وثالثها: معرفة الكيفية التي يُتَعبَّد المعبود بها.

فأما الأصل الأول، وهو معرفة المعبود، فهو معرفة الله؛ وأما الأصل

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/٤٤٢-٤٤٤)، تحقيق: عبدالرحمن بن حسن بن قائد، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الأولى: ١٤٣٢هـ.

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١١)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤).

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية (١/٢١٤).

(٤) سورة البقرة، الآية [٢١].

(٥) سورة الذاريات، الآية [٥٦].

الثاني: وهو معرفة المبلغ عن المعبود، فهو معرفة الرسول ﷺ؛ وأما الأصل الثالث: وهو معرفة كيفية العبادة، فهو معرفة الدين؛ فصار الأمر بالعبادة شاملاً للأمر بهذه الأصول الثلاثة؛ لتوقف العبادة عليها، وكل أمر في الكتاب والسنة بالعبادة فهو أمر بها [(١)].

قال المصنف: **(وهو: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)**: والمعرفة في اللغة: ضد الإنكار، وتعود إلى معنى السكون والطمأنينة [(٢)]، ويستند ذلك إلى أن ثبوت المعنى في النفس يقتضي سكونها إليه، بخلاف مالم يثبت في النفس فإنها تُنكره [(٣)]؛ وهذا الأصل ينطبق على معنى العلم، من جهة أنه ثبوت المعلوم وتحققه في النفس، فمن علِمَ بشيء فقد عرفه، ومن عرفه فقد علِمَ به، ولهذا يُفسر أهل اللغة المعرفة بالعلم، كما يُفسرون العلم بالمعرفة[(٤)]، وقد فسَّر المصنف هنا العلم بالمعرفة، وهذا ورد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ

---

(١) تعليقات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي على كتاب القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، لابن مانع (٤)، وهي عبارة عن مجموعة من الدروس العلمية، فرغها: سالم ابن محمد الجزائري، النسخة الإلكترونية الخامسة، (دمج لست تعليقات، ولم يراجع الشيخ التفريغ)، منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٧٣٢).

(٣) المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د. عبدالله بن محمد القرني (١٥)، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الأولى: ١٤١٩هـ.

(٤) جاء في لسان العرب (٢٣٦/٩): " العرفان: العلم"؛ وفي اللسان أيضاً (٤١٧/١٢): "علمت الشيء أعلمه علماً: عرفته".

﴿ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[(١)]، ففي الأول قال: ﴿يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾، ثم قال: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ فأصدق أو أخبر عن المعرفة بالعلم، فدل على أنهما بمعنى واحد، قال ابن حزم: "العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقنه وارتفاع الشكوك عنه»[(٢)]؛ وقد يُفرَّق بين العلم والمعرفة، لكن على وجه لا ينافي اتفاقهما في المفهوم الإجمالي، المستند إلى ثبوت معنى في النفس هو حقيقة العلم والمعرفة، فلا تنافي بين تفسير العلم بالمعرفة، والمعرفة بالعلم؛ وبين أن يكون لكل منهما مع ذلك معنى يختص به [(٣)]؛ لأنه على التحقيق لا ترادف في اللغة العربية، بل تختلف الألفاظ، فهي تشترك في أصل المعنى، ويزيد لفظ على لفظ في بعض المعنى الذي دل عليه اللفظ [(٤)]؛ فمع اشتراك العلم والمعرفة في المفهوم الإجمالي، وهو إدراك المعلومة؛ فإن المعرفة أخص من العلم؛ لأنها علمٌ بعين الشيء مفصلاً عما سواه، والعلم يكون مجملاً ومفصلاً؛ فلفظ المعرفة يُفيد تمييز المعلوم من غيره، ولفظ العلم لا يفيد ذلك إلا بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم [(٥)]؛ وبه يُعرف دقة المصنف -رحمه الله تعالى- في اختياره لفظ المعرفة دون العلم، وقد

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٤٦].

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/٦٨).

(٣) المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، د. عبدالله بن محمد القرني (١٦)، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الأولى: ١٤١٩هـ.

(٤) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨/٣٧٦).

(٥) ينظر: الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري (٩٣).

جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا رضي الله تعالى عنه إلى اليمن، قال: **(إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، *فإذا عرفوا الله*، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس)**[١].

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- الفروق بين العلم والمعرفة، فقال: «والفرق بينه (أي: العلم) وبين المعرفة من وجوه ثلاثة: أحدها: أن المعرفة لب العلم، ونسبة العلم إليها كنسبة الإيمان إلى الإحسان، وهي: علم خاص متعلقها أخفى من متعلق العلم وأدق؛ والثاني: أن المعرفة هي العلم الذي يراعيه صاحبه بموجبه ومقتضاه، فهي علم تتصل به الرعاية؛ والثالث: أن المعرفة شاهد لنفسها، وهي بمنزلة الأمور الوجدانية التي لا يمكن صاحبها أن يشك فيها ولا ينتقل عنها، وكشف المعرفة أتم من كشف العلم، والله سبحانه وتعالى أعلم»[٢]. وقال أيضاً: «والفرق بين العلم والمعرفة عند أهل هذا الشأن: أن المعرفة عندهم هي **العلم الذي يقوم العالم بموجبه ومقتضاه**، فلا يطلقون المعرفة على مدلول العلم وحده، بل لا يصفون بالمعرفة إلا من كان عالماً بالله، وبالطريق الموصل إلى الله، وبآفاتها وقواطعها، وله حال مع الله تشهد له

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم (١٤٥٨)؛ ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (٣١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٤٧٢).

بالمعرفة، فالعارف عندهم من عرف الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم صدق الله في معاملته، ثم أخلص له في قصوده ونياته، ثم انسلخ من أخلاقه الرديئة وآفاته، ثم تطهر من أوساخه وأدرانه ومخالفاته، **ثم صبر** على أحكام الله في نعمه وبلياته، **ثم دعا إليه على بصيرة بدينه وآياته**، ثم جرَّد الدعوة إليه وحده بما جاء به رسوله، ولم يشبها بآراء الرجال وأذواقهم ومواجيدهم ومقاييسهم ومعقولاتهم، ولم يزن بها ما جاء به الرسول عليه من الله أفضل صلواته، فهذا الذي يستحق اسم العارف على الحقيقة، إذا سُمي به غيره على الدعوى والاستعارة»[١].

إذاً المسألة الأولى مما يجب علينا أن نتعلمها وجوباً عينياً هي العلم، وهو: معرفة ثلاثة الأصول، معرفة الله جل جلاله، وهذا هو الأصل الأول؛ ومعرفة النبي ﷺ، وهذا هو الأصل الثاني؛ ومعرفة دين الإسلام، وهذا الأصل الثالث؛ لأنها أول ما يُسأل عنها العبد في القبر، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: **(فيأتيه -أي المؤمن في قبره- مَلَكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة)**[٢]، ومن كان يعرف هذه الأصول بأدلتها، فحري به أن يُثَبَّت

---

(١) المصدر السابق (٣/٣١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند برقم (١٨٥٣٤)، وقال البيهقي في الشعب: «هذا حديث صحيح الإسناد»؛

عند سؤال الملكين في قبره ؛ فجلالتها من جهتين :

الأول : في الدنيا ؛ لتعلق الثواب والعقاب بها.

والثانية : في القبر ؛ لتعلق السؤال في القبر بهذه المعارف الثالث [١].

قال المصنف : **(ومعرفة دين الإسلام بالأدلة)** ، وهذا يُفيد : أن مالم يكن مبنياً على دليل فليس علماً [٢] ؛ فإن الناس لا يختلفون أن العلم هو المعرفة الحاصلة عن الدليل ، وأما بدون الدليل فإنما هو تقليد [٣] ؛ فلا بد من معرفة الحق بدليله ، وفيه إشارة منه إلى ذم التقليد وأهله ، وأن على الإنسان أن يأخذ دينه بالأدلة ، والحجج القاطعة ، فلا بد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها.

والأدلة : جمع دليل ، وهو فعيل بمعنى : فاعل ، من الدلالة ، وهي : الإرشاد ، فالدليل هو : المرشد والموصل إلى المطلوب ، واختلف في المراد بالأدلة هنا ، فقيل : المراد بها الأدلة الشرعية ليس غير ، وهي : الكتاب والسنة والإجماع ، فيكون المراد : أن تعرف ربك ونبيك ودينك بالأدلة من كلام الله جل وعلا ، وكلام رسوله ﷺ ، لا بالرأي ولا بقول فلان ، بل بالأدلة من

وأورده المنذري في الترغيب والترهيب (٥٢٢١) ، وقال : "حديث حسن ، رواته محتج بهم في الصحيح". ينظر : الموسوعة الحديثية ، مسند الإمام أحمد (٣٠/٥٠٣).

(١) تعليقات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي على كتاب القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد ، لابن مانع ، (٥) ، وهي عبارة عن مجموعة من الدروس العلمية ، فرغها : سالم بن محمد الجزائري ، النسخة الإلكترونية الثانية.

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، د. عبدالعزيز الريس (٨).

(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم الجوزية (١/١١) ، تحقيق : محمد أجمل الإصلاحي ، الناشر : دار عالم الفوائد ، ط. الأولى : ١٤٣٧هـ.

الآيات والأحاديث[١]؛ وقيل: إن هذا الدليل أعم من أن يكون نصاً من القرآن، أو من سنة، أو من قول صاحب، أو إجماع، أو قياس [٢]؛ فالأدلة الدالة على التوحيد والدين والرسالة نوعان: أدلة خلقية مشاهدة؛ وأدلة سمعية متلوّة؛ **فأما الأدلة الخلقية المشاهدة**: فهي ما لفت الله عز وجل إليه الأنظار من الآيات السماوية والأرضية، العلوية والسفلية، الدالة على صدق ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصحة ما جاء به النبي ﷺ من دين الإسلام؛ **وأما الأدلة المتلوّة السمعية**: فهي ما ثبت بالوحي من كتاب أو سنة؛ ودينُ الإسلام يُتوصل إلى صحته عن الطريقين جميعاً، فقول المصنف: (بالأدلة): يشمل هذين النوعين، أي: عن طريق النظر والتفكر والتأمل في الأدلة الخلقية؛ وعن طريق النظر بالأدلة السمعية المتلوة الدالة على صحة هذا الدين القويم، وأنه من لدن حكيم خبير [٣]، ولا شك أن أعظم الأدلة في باب معرفة دين الله جل وعلا هو كلامه وكلام رسوله ﷺ [٤]، فالأدلة السمعية

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز (٢٢)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (١١)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٢٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان (٢٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٦)، وإتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، عبيد بن عبدالله الجابري (٩)، الناشر: دار الميراث النبوي، الجزائر، ط. الثالثة: ١٤٣٦هـ.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٣٩)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٩، ٢١)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٢٠)؛ وإفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح القصير (١١).

(٤) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، تأليف: د. عبدالرحمن بن سليمان الشمسان (٥٤٢/٢)، الناشر:

الشرعية مقدمة على الأدلة العقلية [(١)].

وقوله: **(بالأَدلة):** هل هي متعلقة بالثلاثة الأصول: معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام؟ أم أنها متعلقة بمعرفة دين الإسلام فقط؟ فيه وجهان محتملان في تفسير النص [(٢)]، فيحتمل أن يقال: إن قوله: (بالأدلة) تعود على معرفة دين الإسلام؛ لأن القاعدة في اللغة: عود الضمير على أقرب مذكور؛ ولأن المصنف -رحمه الله تعالى- شَرَح الأصلين الأولين (معرفة الله ﷻ ومعرفة رسوله ﷺ) دون أن يذكر كلمة: (بالأدلة)، ولما بيَّن الأصل الثالث، قال: (وهو: معرفة دين الإسلام بالأدلة)، فجعل كلمة (بالأدلة) مع قوله: (معرفة دين الإسلام)؛ والاحتمال الآخر وهو الأظهر: عود الضمير للمعارف الثلاث، فيكون تقدير الكلام: معرفة الله بالأدلة، ومعرفة نبيه بالأدلة، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة [(٣)]، والخلاف لا يترتب عليه أثر معتبر؛ فلا فرقَ بين أن يكون قوله: (بالأدلة) متعلقًا بالثلاث معارف أو يكون متعلقًا بمعرفة دين الإسلام؛ لأن دين الإسلام يتضمن ما قبله من المعارف وزيادة؛ ولكن يظهر أن الجار والمجرور في قوله: (بالأدلة) يتعلق بالمعارف الثلاثة لا بآخرها فقط؛

دار العقيدة، ط. الأولى: ١٤٣٧هـ.

(١) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٧)، الناشر: دار اللؤلؤة، بيروت، ط. الأولى: ١٤٣٤هـ.

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، أحمد بن عمر الحازمي، الشريط الثالث، منشور في موقعه على الشبكة العنكبوتية.

(٣) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

وتعليق المصنف الجار والمجرور بمعرفة دين الإسلام لا يُراد حصره فيه؛ ولكنه أكثرها فروعاً فناسب ذكر الأدلة معها وتعليق الجار والمجرور به، وإلا فمعرفة الأصول الثلاثة لا بد من اقترانها بالأدلة [1]؛ **والمراد هنا من طلب اقتران هذه المعارف الثلاث بالأدلة:** اعتقاد العبد الإيمان بها على وجه الجزم، لأنها مبنية على أدلة شرعية معتبرة، فإذا اعتقد العبد أصول ما يتعلق بهذه المعارف الثلاث على وجه الجزم كفاه ذلك في صحة إيمانه، لا أنه يُطلب من كل أحد تعلم الأدلة على التفصيل؛ لتعذر ذلك في عموم الخلق [2].

وقد أورد بعض الشراح استشكالاً على قول المصنف هنا: (معرفة دين الإسلام بالأدلة)؛ من جهة أن العامي لا يدرك الأدلة، فتكليفه بأخذ العلم من الأدلة وفهمها، واستنباطه منها؛ تكليف له بما لا يُطيقه [3]؛ ولهذا كان مذهب أهل السنة والجماعة صحة إيمان المقلد لغيره في مسائل الاعتقاد، أي: بدون معرفة الدليل؛ إذا اعتقد الحق اعتقاداً جازماً لا شك فيه؛ فمن اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك، ولا يجب عليه معرفة الأدلة [4]؛

---

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥).

(٢) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، أحمد بن عمر الحازمي؛ وشرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (١٨)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (١١).

(٤) ينظر: لوامع الأنوار البهية، لمحمد بن أحمد السفاريني (٧٣٦/١)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار التوحيد، ط. الأولى: ١٤٣٧هـ؛ وشرح العقيدة السفارينية، لمحمد بن صالح العثيمين (٣٠٧)؛ والتقليد في باب العقائد وأحكامه، د. ناصر بن عبدالرحمن الجديع (١١٠).

ولتلافي هذا الاستشكال: حمَلَ بعض الشراح قول المصنف هنا: (معرفة دين الإسلام بالأدلة)؛ على أنه موجه لمن يُعَلِّمُ الناس هذه الأصول الثلاثة، وهي معرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة دين الإسلام، فعليه أن يُبينها للعامي بالأدلة؛ ليحصل له الجزم؛ فالعامي لا يلزمه معرفة الأدلة واستحضارها، وإنما يجب عليه أن يكون اعتقاده ذلك اعتقاداً جازماً[1]؛ وذهب آخرون إلى أن قول المصنف: (بالأدلة): يختلف باختلاف المتعلم، فإن كان عامياً فدليل العامي قول العالم المجتهد الموثوق بعلمه؛ وأما من عداه من المجتهدين فدليلهم الكتاب والسنة وما عُلم من الأدلة الشرعية؛ واتباع العامي للعالم الذي يثق فيه يعتبر اتباعاً للدليل؛ لأن قول العالم يعد دليلاً عند العامي؛ فكأن المصنف يقول: إن العالم يعرف دين الإسلام بالأدلة الشرعية المعروفة، وأما بالنسبة لغير العالم، وهو العامي، فقول العالم يعد دليلاً له[2]، ويظهر -والله أعلم- أن الاستشكال المورد على كلام المصنف غير وارد؛ لأن المصنف جعل معرفة الدليل واجباً، ولم يجعله شرطاً في صحة الإيمان[3]؛ ومعرفة الدليل إنما تجب لمن استطاع أن يُدلل؛ فالعامي إذا كان لا يعرف الدليل، أو لم يمكنه فهم الدليل، ولكنه يعتقد وحدانية الله، ويعتقد بطلان ما يعبد من دون الله، فهو مسلم، فمن اعتقد دين الإسلام اعتقاداً جازماً لا تردد فيه كفاه ذلك؛ لقول النبي ﷺ: **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به)**؛ ففيه

(١) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (١٩).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (١٢، ٦٩).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (١٣).

دلالة ظاهرة على أنه يُكتفى بالتصديق بما جاء به النبي ﷺ، وليس فيه اشتراط المعرفة بالدليل [(١)]، قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين -رحمه الله تعالى-: «فرض على كل أحد **معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل**، ولا يجوز التقليد في ذلك، لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة، إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه، ورسالة محمد ﷺ، ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجنة والنار، ويعتقد أن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند هذه المشاهد باطلة وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه فهو مسلم، وإن لم يترجم بالدليل، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل، فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً»[(٢)]؛ فليس مقصود المصنف في ذكر معرفة الأدلة: إيجاب معرفة كل مسألة بدليلها، بل مقصوده: وجوب اعتقاد العبد أن الدين الذي آمن به، وهو الإسلام ثابت بأدلة إجمالية مقطوع بها؛ أما المعرفة التفصيلية فهي فرض كفاية، وهي تختلف باختلاف الخلق، فما يجب على العالم والمفتي ليس كالواجب على من دونهم؛ فالمقصود أن العامي يجب عليه أن يعرف أن هذه المعارف مبنية على أصول شرعية صحيحة، وإن لم يُحط بها علماً، وأما غيره فإن الواجب عليه مناسبٌ لحاله؛ فالمراد بالمعرفة الواجبة هنا على كل أحد إنما هي: المعرفة الإجمالية، التي هي معرفة العامة، فهذه المعرفة واجبة على كل أحد من المسلمين، والعوام

---

(١) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم (١/٢١٠)؛ والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (٤/٤٤)؛ وشرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (٣٠٦)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٤/ ٣٣٩).

يكفيهم أن يعرفوا أن هذه الأمور ثابتة بأدلة من قبل الشرع، ولا يلزمهم الاطلاع على كل دليل مفرد متعلق بفرع مستقل مع معرفة وجه الاستنباط منه[١]؛ فالمطلوب في حق العوام تعلم هذه الرسالة بأدلتها، لا على وجه التفصيل كما يُذكر في كتب الشروح، لكن يتعلم أن العبادة معناها كذا، ودليلها كذا، فيعتقدها بدليلها، ويعلم أن الله جل وعلا هو الذي فرض هذا الشيء، وهذا دليل المسألة؛ ليكون اعتقاده عن دليل، فيخرج عن ربقة التقليد في هذه المسائل العظام[٢]؛ فالباء في قول المصنف: (بالأدلة): سببية، فيكون المعنى: بسبب الأدلة حصلت هذه المعرفة، فحينئذ يقال: الواجب عليك أيها المكلف أن تعلم دين الإسلام؛ وأن تكون معرفتك له بالأدلة، أي: إدراكُ أنَّ لهذه المعارف أدلةً شرعية تَثْبُتُ بها، فتكون المعرفة بالدليل لا بالتقليد المحض الذي لا ينتج اعتقاداً[٣]؛ فقوله: (بالأدلة): يُفيد أنه لابد من معرفة تلك الأصول الثلاثة بالأدلة؛ ليجزم، لئلا يكون عنده شك، فيعلم ذلك بالأدلة من الشرع، والأدلة من العقل، ومن الفطرة؛ فهذه الأصول لابد أن يعرفها المسلم، وأن يجزم بها، والمصنف -رحمه الله تعالى- أورد في هذه الرسالة الأدلة على الأصول الثلاثة، كما سيأتي[٤].

قال الإمام المصنف -رحمه الله تعالى-: «ينبغي للمعلم أن يعلم الإنسان

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٤).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، حمد بن عبدالله الحمد (٣).

على قدر فهمه ؛ فإن كان ممن يقرأ القرآن ، أو عرف أنه ذكي ، فيُعلم أصل الدين وأدلته ، والشرك وأدلته ، ويقرأ عليه القرآن ، ويجتهد أنه يفهم القرآن فهم قلب ؛ وإن كان رجلًا متوسطًا ، ذكر له بعض هذا ؛ وإن كان مثل غالب الناس ضعيف الفهم ، فيصرح له بحق الله على العبيد ؛ مثل ما ذكر النبي ﷺ لمعاذ ، ويصف له حقوق الخلق ، مثل حق المسلم على المسلم ، وحق الأرحام ، وحق الوالدين ، وأعظم من ذلك حق النبي ﷺ»[(١)].

ويتبين مما سبق ذكره في المسألة الأولى من المسائل الأربع التي يجب علينا تعلمها أمران :

الأول : أن العلم المأمور به شرعاً وفق ما ذكره المصنف له وصفان :

أحدهما : ما يُطلب منه ؛ وهو ما تعلق بالمعارف الثلاث المذكورة في خطاب الشرع ، فهذه هي علوم الشرع.

والآخر : ما يُطلب به ؛ وهو كونه واقعاً بالأدلة ، أي مقترناً بها ، فيُطلب في العلم اقترانه بالأدلة ، فتكون تلك المعرفة علماً ؛ حال اقترانها بالأدلة ، فالعلم الواجب : لا يحصل إلا بتحقق هذه المعارف الثلاث بأدلتها ، ويدل لذلك أن المصنف عند الحديث عن كل أصل من الأصول الثلاثة أتبع ذلك بذكر أدلة معرفة تلك الأصول [(٢)].

---

(١) الدرر السنية (١/١٧٠ ، ١٧١).

(٢) الشرح الصوتي : (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي ، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

والثاني: أن معرفة الشرع المأمور بها نوعان:

أحدهما: المعرفة الإجمالية، وهي معرفة أصول الشرع وكلياته، ويتعلق وجوبها بالخلق كافة، فهذه المعرفة واجبة على الخلق كافة.

والآخر: المعرفة التفصيلية، وهي معرفة تفاصيل الشرع وجزئياته، ويتعلق وجوبها ببعض الخلق، الذين اقترنت بهم أحوال تستدعي وجوب التفصيل في معرفة الشرع، كالحكم أو القضاء أو الإفتاء أو التعليم [(١)].

* * * * *

---

(١) المصدر السابق.

قال المصنف رحمه الله: (الثانية: العمل به).

الشرح الإجمالي

المسألة (الثانية) من المسائل الأربع الواجب علينا تعلمها (العمل به)، والضمير في قوله: (به) عائد إلى العلم؛ أي: العمل بالعلم، إذ هو ثمرة العلم، ومن أسباب رسوخه، والعلم إنما يراد للعمل، فلا يكفي العلم، بل لابد من العمل بمقتضى هذا العلم، فيكون المعنى: العمل بما سبق من العلم، أي: العمل بما تقتضيه هذه المعرفة، فيعمل بما تقتضيه معرفة الله، ومعرفة نبيه ﷺ، ومعرفة دين الإسلام [١].

الشرح التفصيلي

العمل شرعاً هو: ظهور صورة خطاب الشرع على العبد بامتثاله بالتصديق إن كان الخطاب خبرياً؛ أو بامتثال الأمر والنهي واعتقاد حل الحلال إن كان الخطاب طلبياً[٢]، والعمل: هو ثمرة العلم، فالعلم مقصودٌ لغيره، فهو بمنزلة الشجرة، والعمل بمنزلة الثمرة، فلا بد مع العلم بدين الإسلام من العمل به[٣]، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود[٤]؛ ولهذا قُرن الإيمان في القرآن الكريم بالعمل الصالح، فالعلم لابد أن يُثمر عملاً، والعمل لابد أن يكون ناتجاً عن علم، والنقص في العمل سببه النقص في العلم وهو الجهل، فلابد من العمل.

---

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٢٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٣)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٦).

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٦).

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٢).

(٤) اتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، عبيد بن عبدالله الجابري (١١).

والعمل يكون: بالقلب واللسان والجوارح، ومن أعمال القلوب: الخوف والرجاء والمحبة وغيرها؛ ومن عمل اللسان: التسبيح والتحميد والتكبير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ومن أعمال الجوارح: الصلاة والصيام والحج والعمرة وغير ذلك من الأعمال[(١)].

وقول المصنف: **(العمل به)**: فيه احتمالان:

الأول: أن يعود الضمير على ما سبق في قوله: (معرفة دين الإسلام)؛ لأنه أقرب مذكور[(٢)].

والثاني: أن الضمير في قوله: (به) يعود إلى العلم؛ فيكون المقصود: العمل بعلم الشرع المنزل على نبينا محمد ﷺ[(٣)]؛ وذلك بتصديق الأخبار، وامتثال الأوامر والنواهي[(٤)]، والعمل بالعلم يتضمن العمل بالمعارف الثلاث، فالعلم كما سبق يشمل معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام، وهذا الاحتمال هو الأولى بالترجيح، فالأظهر عود الضمير على جميع المذكور من المعارف الثلاث؛ لما فيه من إفادة الترتيب في بيان أولويات العلوم، وبيان شرفها، والاحتمال الأول لا يعارض هذا الاحتمال؛ لأن العمل بدين الإسلام يتضمن ما قبله من المعارف وزيادة[(٥)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، تأليف: د. عبدالرحمن بن سليمان الشمسان (١/٥٦).

(٢) اتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، عبيد بن عبدالله الجابري (١٠).

(٣) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، تأليف: د. عبدالرحمن بن سليمان الشمسان (١/٥٢).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٢٠).

(٥) ينظر: بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٣١).

قال المصنف رحمه الله: (الثالثة: الدعوة إليه).

الشرح الإجمالي

المسألة (الثالثة) من المسائل الأربع التي يجب علينا تعلمها: أن العبد إذا منَّ الله عليه وحصَّل علماً، وعمل بالعلم، فعليه بـــ (الدعوة إليه)، أي: الدعوة إلى العلم الذي تعلَّمه[١]، والمراد الدعوة إلى الله؛ لأنه لا يوصل إلى الله إلا العلم[٢].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (**الثالثة: الدعوة إليه**): أي: الدعوة إلى ما جاء به الرسول ﷺ من شريعة الله تعالى [٣]، وهذا يتضمن الدعوة إلى دين الإسلام[٤]؛ فإذا حصل للمكلف بتوفيق الله العلم بدين الإسلام، والعمل به، فيجب عليه السعي في الدعوة إليه [٥].

وقيل: الضمير في قوله: (الدعوة إليه) يعود إلى المتقدم من العلم والعمل[٦]، أي: الدعوة إلى العلم والعمل به[٧]؛ وذلك أن النبي ﷺ أرسله الله بالهدى

---

(١) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (١٧)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٨)، راجعه: عبدالرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، الرياض، ط. الخامسة: ١٤٣٥هـ.

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٢٢).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٢٣).

(٥) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٢).

(٦) شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٢٩).

(٧) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٢٢).

ودين الحق، والهدى هو العلم النافع، ودين الحق هو العمل الصالح، وإليهما دعا رسول الله ﷺ، فدعا إلى العلوم النافعة، ودعا إلى الأعمال الصالحة التي هي ثمرة العلم، فقوله: (الدعوة إليه) يعود إلى الأمرين المتقدمين [١].

وقيل المقصود بقوله: (الدعوة إليه): الدعوة إلى العمل بالعلم [٢].

والأظهر أن المراد بقوله: (الدعوة إليه)، أي: الدعوة إلى العلم، والمراد بها الدعوة إلى الله تعالى؛ لأنه لا يوصل إلى الله تعالى إلا العلم، فمن دعا إلى الله تعالى وفق المنهج النبوي فإنما يدعو إلى العلم [٣]، وإذا قلنا إن الضمير في قوله: (إليه): يعود إلى العلم، فإن هذا يتضمن الدعوة إلى المذكور من المعارف الثلاث، فيشمل الدعوة إلى: معرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة دين الإسلام؛ لأن العلم شرعاً مشتمل على المعارف الثلاث التي تقدمت، فالداعي إلى العلم يدعو إلى الله تعالى أصالة، وإلى النبي ﷺ، ودين الإسلام تبعاً، فمن دعا إلى العلم وفق خطاب الشرع، فإنه يدعو إلى الله تعالى؛ لأن العلم مرده للمعارف الثلاث، وأسها المعظم ورأسها المقـدم معرفة الله، فتقدير الجملة (الدعوة إليه)، أي: الدعوة إلى الله تعالى [٤]، والدعوة إلى الله شرعاً هي: طلب

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٦).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، محمد حسان (٤٠)، الناشر: مكتبة فياض، المنصورة، ط. ١٤٢٩هـ.

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٦).

(٤) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

الناس كافة إلى اتباع سبيل الله تعالى على بصيرة[١].

والدعوة قد تكون بالمقال، وقد تكون بالفعال؛ لأن الامتثال بالفعل دعوة، فإذا امتثل المسلم لما أُمر به، فإن هذا يجعله يرشد غيره إرشادا صامتاً إلى أن هذا الفعل مطلوب، وأما الدعوة بالقول باللسان، فقد تكون واجبة، وقد تكون مستحبة، فيتفرع عن الدعوة باللسان أنواع منها: الدعوة بالكتابة بالقلم في تأليف، أو في رسائل و نحو ذلك، ومنها النصائح المختلفة، والمواعظ، ونحو ذلك[٢]، ولا بد لهذه الدعوة من علم بشريعة الله عز وجل حتى تكون الدعوة عن علم وبصيرة، فإذا عرف الإنسان معبوده، ونبيه، ودينه، ومنَّ الله عليه بالتوفيق لذلك؛ فإن عليه السعي في إنقاذ إخوانه بدعوتهم إلى الله عز وجل[٣]، وأعلى مراتب الدعوة: الدعوة إلى التوحيد ونفي الشرك، فإنه ما من نبي بُعث إلى قومه إلا ودعاهم إلى طاعة الله وإفراده بالعبادة، ونهاهم عن الشرك ووسائله وذرائعه، ثم يبدأ الداعية بعد ذلك بالأهم فالأهم من شرائع الإسلام[٤].

* * * * *

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٦).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨-١٩).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٢٣).

(٤) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠).

قال المصنف رحمه الله: (**الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ**).

الشرح الإجمالي

المسألة **(الرابعة)** من المسائل الأربع الواجب علينا معرفتها والعمل بها **(الصبر على الأذى فيه)** أي: في العلم تعلُّماً وعملاً ودعوة[١].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: **(الصبر على الأذى فيه)**، يعني: مما يجب عليك معرفته أنه يجب عليك الصبر على الأذى الذي قد تلاقيه في تحصيل العلم، وفي العمل به، وفي الدعوة إليه[٢]، فالذي علم، ثم عمل، ثم دعا يجب عليه أن يصبر[٣]، فالضمير هنا (فيه): يعود إلى جميع ما تقدم، أي: الصبر في طريق العلم، والصبر في طريق العمل، والصبر في طريق الدعوة[٤]؛ وهذا فيه التنبيه إلى أن العلم والعمل والدعوة لا تقوم إلا مع الصبر عليها، فالإنسان بحاجةٍ إلى أن يصبر حتى يتعلم، وبحاجةٍ إلى أن يصبر ليعمل، وبحاجةٍ إلى أن يصبر ليدعو[٥]؛ والعلم إذا علمه الإنسان ثم عمل به ثم دعا إليه، فلابد أن يؤذى؛ والأذى من القَدَرِ المؤلم، فيكون الصبر فيه من الصبر على حكم الله عز وجل القدري، فيكون قول المصنف: (الصبر على الأذى فيه) راجع إلى الصبر على أمر الله

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٦).

(٢) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٣٧).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٢٤).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٦)؛ وينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٣).

القدري ؛ لأن الأذى قدرٌ مؤلم ؛ لكن لما كان العلم والعمل والدعوة مأمور بهن شرعاً صار الصبر عليهن شرعياً أيضاً ، فيصير قول المصنف راجع للصبر على الحكم الشرعي (العلم) ؛ والصبر على الحكم القدري (الأذى فيه)[١].

وقيل المراد بقوله : (الصبر على الأذى فيه) : أي : في الدعوة إلى الله تعالى[٢] ، أو الصبر على الأذى في : سبيل الدعوة إلى العلم والعمل[٣] ؛ وقيل المراد بقوله : (الصبر على الأذى فيه) : أي : في جنب الله عز وجل[٤] ؛ وقيل المراد بقوله : (الصبر على الأذى فيه) : أي : في دين الله[٥].

* * * * *

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالله العصيمي (٧).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، د. عبدالله بن صالح الفوزان (٢٠) ؛ وينظر : شرح ثلاثة الأصول ، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٢٤).

(٣) شرح الأصول الثلاثة ، د. صالح بن فوزان الفوزان (٢٩).

(٤) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول ، د. عبدالمحسن القاسم (٢٣).

(٥) اتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول ، عبيد بن عبدالله الجابري (١٥).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾)**[1].

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أنه يجب علينا تعلم الأربع مسائل: العلم، والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه: سورة العصر؛ فهذه السورة العظيمة ثلاث آيات: الأولى: **(قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾)** وهذا قسمٌ من الله تعالى؛ والثانية: قوله تعالى: **(﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾)** وهذا هو الُمقسم عليه، والمعنى: أن كل إنسان في خسارة وهلاك إلا من استثنى الله في الآية الثالثة بقوله: **(﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾)**.

الشرح التفصيلي

قال المصنف: **(والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾)**.

ذكر المصنف البسملة؛ لأنه ذَكَرَ سورة كاملة، وهي سورة العصر؛ وقوله تعالى: (والعصر)، فيه أقوال:

الأول: أن العصر: هو الدهر والزمان المكون من الليالي والأيام، والشهور والأعوام، وهو عمر الإنسان، وهو محل الحوادث من خير وشر[2]، وهو قول

---

(١) سورة العصر.

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٢٥)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٣٠).

ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[١]، وهو المشهور عند أهل التفسير[٢]، ورجحه ابن القيم -رحمه الله تعالى- [٣]، واستُدل لهذا القول بما جاء موقوفاً على علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومرفوعاً من قراءة شاذة: (والعصر ونوائب الدهر)، وحمُل على التفسير إن لم يصح قرآناً[٤]، فقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾قسمٌ من الله تعالى بالزمن الذي تقع فيه الأحداث من خير أو شر، ومن ذلك أعمال الناس وتصرفاتهم، وأقسم الله به؛ لأنه محل العمل، فأفعال العباد وتصرفاتهم كلها تقع في هذا الزمن فهو ظرفٌ يودعه العبادُ أعمالهم إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر، ولما فيه من العبر والعجائب للناظرين [٥]؛ ولأنه أشرف شيء أُعطيه الإنسان، فأقسم سبحانه وتعالى به؛ لبيان شرفه وعظم مكانته[٦].

والقول الثاني: أن العصر: هو وقت العصر من اليوم، وهو ما بعد العشي آخر النهار، ومنه صلاة العصر، وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال به الحسن البصري وقتادة [٧]، ومناسبة القسم بوقت العصر؛ لأن وقته

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٢٢/٤٦٣)؛ وتفسير سورة العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ (٢٥)، الناشر: مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط. الأولى: ١٤١٤هـ.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٦٥٧).

(٣) التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم (ص٦١).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي (٩/٨٧).

(٥) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٢).

(٦) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١).

(٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (٤/٤٨٧)؛ وتفسير سورة العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ (٣٠).

علامةٌ بينةٌ على انحسار النهار وقرب انقضائه، فمناسبته لحال القسم ظاهرة، ووجه ترجيح القول بأن المقصود بالعصر هنا: الوقت المعروف في آخر النهار، وهو: ما بين الزوال وغروب الشمس، أمور منها:

١) أنه معهود الخطاب الشرعي، وهو أولى من تفسيره بالدهر؛ لأن الدهر لا يُطلق عليه في خطاب الشرع العصر، وما كان جارياً معروفاً في خطاب الشرع فحَمْلُ الكلام عليه متعين دون سواه[١].

٢) أن الله تعالى أقسم بالعصر؛ كما أقسم بالضحى؛ لما فيهما جميعاً من دلائل القدرة، فإن كل بُكرة كأنها القيامة، وكل عشية تُشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت؛ وكما أقسم سبحانه في حق الرابح: بالضحى؛ أقسم هنا في حق الخاسر: بالعصر.

٣) أن هذا الوقت مُعظَّم، ولذلك تُغلظ اليمين فيه، وفي الحديث الصحيح: **(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم)**، وذكر منهم: **(ورجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقتطع بها مال رجل مسلم)**[٢].

والقول الثالث: واختاره ابن جرير -رحمه الله تعالى- أن الآية تشمل القولين؛ لأن لفظ العصر يطلق على المعنيين إطلاقاً صحيحاً، ولا دلالة على

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٧)، وجاء في التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (٥٢٨/٣٠): «وأشهر إطلاق لفظ العصر أنه علَمٌ بالغلبة لوقت ما بين آخر وقت الظهر وبين اصفرار الشمس».

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المساقاة، باب: من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه، برقم (٢٣٦٩)؛ وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، برقم (١٧٣).

التخصيص[١]، وعليه يكون المراد به: الزمان كله أو بعضه، أي: الجزء من النهار أو جميع الزمان، ويدخل فيه الليل والنهار، والأبردان، وعمر الإنسان، ووقت صلاة العصر [٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾: و(أل) هنا للجنس، فالإنسان هنا المراد به: جنسُ الإنسان، والألف واللام للاستغراق والشمول؛ بدليل الاستثناء بعده، فيشمل كل من اتصف بهذا الوصف، أي: كل إنسان في خسر، والخسر ضد الربح، وقال: (لفي خسر) ولم يقل (خاسر)؛ ليبين إحاطة الخسر به من كل مكان، فإن (في) تفيد الظرفية، فالخسر محيطٌ بالإنسان من كل جوانبه، وفي القَسَم على هذا الأمر، وفي تأكيده بـــ (إنَّ) التي تفيد التوكيد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ دلالة واضحة على عظم الأمر وتأكده[٣]، فجاء تأكيد هذه الخسارة بثلاثة أمور: القسم، و(إن)، واللام في ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾، وهذا يُبين أن الاتصاف بهذه الصفات الأربع في غاية الأهمية في أصول الدين وما يتعلق به،

---

(١) جاء في تفسير الطبري "جامع البيان في تأويل القرآن" (٢٤/٥٨٩): «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن ربنا أقسم بالعصر، والعصر: اسم للدهر، وهو العشي، والليل والنهار، ولم يخصص مما شمله هذا الاسم معنى دون معنى، فكل ما لزمه هذا الاسم، فداخل فيما أقسم الله به جل ثناؤه». وسبب الاختلاف هنا هو: الاشتراك اللغوي في لفظ العصر، فهو يطلق على عدة معان، وبهذا يرجع الخلاف إلى أكثر من معنى، وكل هذه الأقوال محتمل كما قال الطبري، غير أن القول بأنه الدهر يظهر فيه شموله للأوقات كلها.

ينظر: تفسير جزء عم، إعداد: مساعد بن سليمان الطيار (٢٢٣)، الناشر: دار ابن الجوز، ط. الثانية: ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير سورة العصر، د. عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارئ (١٧).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٧).

ولم يبين هنا نوع الخسران في أي شيء، بل أطلق؛ ليعم، والذي يستفاد من مفهوم الآية: أن الخسران قد يكون بالكفر – والعياذ بالله –، وقد يكون بترك العمل، وقد يكون الخسران بترك التواصي بالحق؛ وقد يكون بترك التواصي بالصبر[(١)].

قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾: أقسم الله عز وجل بالعصر على أن الإنسان، أي: كلُ الإنسان في خسر مهما كثر ماله وولده، وعظم قدره وشرفه، واستثنى المتصفين بصفات أربع[(٢)]:

الأولى: معرفة الحق، وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي: الإيمان الصادق المبني على علم، فالإيمان: قول وعمل واعتقاد؛ وهذا الاعتقاد هو العلم؛ لأن العلم مورده القلب والعقل، فالإيمان لا يكون إلا بالعلم، وإنما يُدرك أصل الإيمان وكماله بالعلم، وهو معرفة الله عز وجل، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة[(٣)]، فالإيمان يسبقه العلم، فليس هناك إيمان صحيح إلا بالعلم، والدلالة على هذا باللاّزم، لأنه لا يمكن أن يحصل إيمانٌ إلاّ بعلم، فمن لوازم الإيمان أن يكون صاحبه عالماً، فأهل العلم ناجون من الخسارة، وهذا دليل المسألة الأولى (العلم).

والثانية: العمل به، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وهذا الوصف الثاني من الأوصاف التي عُلِق عليها النجاة من الخسار. ووصفُ الأعمال

---

(١) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (٢٤).

(٢) المصدر السابق (٢٣)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٢٦).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٢٩)؛ وينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٨).

بالصالحات يبين أن المطلوب من العبد لله عز وجل عملٌ مخصوص لا مطلق العمل، فالمطلوب هو العمل الصالح المبني على الإخلاص والاتباع للنبي ﷺ[١]، وأَخّر العملَ عن العلم؛ لأنه لا يمكن العمل الصالح إلاّ بعد الإيمان الذي لا يُحَصَّل إلاّ بالعلم النافع، والإيمان عمل، وعطفُ عملِ الصالحات على الإيمان للتأكيد وزيادة بيان [٢]، وهذا دليل المسألة الثانية (العمل به).

والثالثة: تعليمه لمن لا يُحسِن، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾: والمراد بالحق هنا- والله أعلم- ما تقدم من الإيمان بالله والعمل الصالح [٣]، أي الدعوة إلى العلم والعمل [٤]، والتواصي بالحق من صور وأنواع العمل الصالح، وإنما نص عليه وذكره لأهميته، وأثره في حصول النجاة، وهذا دليل المسألة الثالثة (الدعوة إليه).

والرابعة: الصبر عليه، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ أي: الصبر على ما سبق من المسائل الثلاث [٥]، وهذا هو الوصف الرابع الذي تحصل به النجاة، والأمر في هذه الآية داخل في الذي قبله، فإن التواصي بالصبر من التواصي بالحق، وخصه بالذكر لأهميته وعظم أثره في تحقيق النجاة والسلامة من الخسار، وهذا دليل المسألة الرابعة (الصبر على الأذى فيه).

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٨).

(٢) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٧).

(٣) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (٢٤)؛ وشرح الأصول الثلاثة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك (٩).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٢٩).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٧-١٨)، وشرح الأصول الثلاثة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك (٨-٩).

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هما من جملة العمل الصالح، وهو يدخل في الإيمان، فهذه الأمور الأربعة بعضها يدخل في بعض، فعطفُ الأعمالِ الصالحة على الإيمان، وعطفُ التواصي على عمل الصالحات: كلها من عطف الخاص على العام [١].

ووجه الاستدلال من الآية على ما ذكره المصنف من وجوب المسائل الأربع: هو أن الله جل وعلا أقسم على أن كل الناس في خسارة إلا من امتثل المسائل الأربع التي ذكرها المصنف، فدلالة السورة على وجوب تعلم هذه المسائل هو توقف حصول النجاة عليها، فالنجاة في الدنيا والآخرة موقوفة عليها، فلا ينجو العبد من الخسارة إلا بها، فهي واجبة؛ لأن سلامة العبد ونجاته التي أُمر بطلبها لا تحصل إلا بها [٢]؛ وبهذا تكون السورة جامعةٌ عظيمةٌ جداً؛ فالدين كله إيمان بالحق، وعمل به، ودعوة إليه، وصبر على الأذى فيه، والناس كلهم في خسارة وهلاك؛ إلا من أتصف بهذه الصفات الأربع التي هي: الإيمان المبني على العلم؛ والعمل الصالح؛ والتواصي بالحق وهو: الدعوة إلى الله؛ والتواصي بالصبر، فمن استكمل هذه الصفات كَمُلَ ربحه، ومن ضيَّعها كمُل خسرانه، ومن نقص شيئاً منها فاته من الربح، وحصل على شيء من الخسران بقدر نقصه هذه المسائل، والله المستعان [٣].

* * * * *

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك (٩).

(٢) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٣) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٨).

قال المصنف رحمه الله: **(قال الشافعي- رحمه الله تعالى -: لَوْ مَا أَنْزَلَ الله حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ)** [١].

الشرح الإجمالي

(قال) الإمام محمد بن إدريس **(الشافعي - رحمه الله تعالى -)**[٢] عن سورة العصر: **(لو ما أنزل الله)** من القرآن **(حجة)** وبرهاناً وإعذاراً وإنذاراً **(على خلقه)** المكلفين **(إلا هذه السورة)** القصيرة ذات الثلاث الآيات العظيمة الجامعة **(لكفتهم)** [٣] في إقامة الحجة عليهم؛ لما فيها من بيان طرق النجاة والربح، والسلامة من الخسار الذي اتصف به الإنسان[٤]، فهذه السورة أوجبت على الإنسان أن يتعلم ويعمل ويدعو ويصبر، وبينت أن هذه صفة الراجين، وأن من فقدها فهو الخاسر [٥].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: **(قال الشافعي-رحمه الله تعالى-: لَوْ مَا أَنْزَلَ الله حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ)**؛ لتضمنها كما تقدم ما أوجبه الله على عباده

---

(١) ينظر: تفسير الإمام الشافعي (١٤٦١/٣)، جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)، الناشر: دار التدمرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ. وجاء في كتاب: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (٢٣٤/٢٢): قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: «إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم». وقد ذكر ابن كثير في تفسيره: (٦٣/١) عن الشافعي نحوه بلفظ: (لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم). وفي موضع آخر من تفسيره (٤٥٦/٨): بلفظ: (لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم) والمعنى واحد.

(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، والشافعي نسبة إلى جده الرابع، وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين.

(٣) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٩).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٩).

إجمالاً من العلم، والعمل، والدعوة، والصبر على الأذى؛ فتضمنت ما فيه نجاة العبد، وما فيه سلامته من الخسارة على باب الإجمال، لكن في الأدلة الأخرى تفاصيل ذلك[(١)]؛ فقول الإمام الشافعي: (**لكفتهم**): ليس مراده أن هذه السورة كافية للخلق في جميع أبواب الشريعة والديانة كلها، ولا يعني أن ما زاد على هذه السورة لا حاجة إليه؛ وإلا فأهل الإسلام بحاجةٍ إلى كل حرف نزل في كتاب الله عز وجل، ليس لهم عنه غنية ولا بهم عنه كفاية؛ وإنما المراد أنها كافية في باب إقامة الحجة على الخلق في وجوب امتثال ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، فلو أن الله تعالى ما أنزل من القرآن حجة على الخلق مع رسول الله ﷺ إلا هذه السورة لكفتهم[(٢)] في معرفتهم أنه لا نجاة لهم إلا بأربع مسائل: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وهذا من الإعجاز الذي لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذه السورة دلت على أن الناس فريقين: رابح وخاسر، وبينت أسباب الربح والنجاة مجملة، فقامت بها الحجة على الخلق، وبقيةُ نصوص القرآن والسنة مفصلة، ومبينة لهذه المسائل الأربع[(٣)].

جاء في كتاب الرسالة، للشافعي: «والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به، فحقٌ على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار من علمه، والصبر على كل عارض دون طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه: نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا

(١) شرح ثلاثة الأصول، حمد بن عبدالله الحمد (٥).
(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٤).
(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٣٦).

يدرك خير إلا بعونه، فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً، ووفقه الله للقول والعمل بما علم منه: فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفت عنه الريب ونورت في قلبه الحكمة، واستوجب في الدين موضع الإمامة»[١] أ.هـ.

وقال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «ولهذا يؤمر المؤمنون أن يقابلوا السيئات بضدها من الحسنات؛ كما يقابل الطبيب المرض بضده، فيؤمر المؤمن بأن يصلح نفسه، وذلك بشيئين: بفعل الحسنات، وبترك السيئات، مع وجود ما ينفي الحسنات، ويقتضي السيئات، وهذه أربعة أنواع. ويؤمر أيضاً: بإصلاح غيره بهذه الأنواع الأربعة بحسب قدرته وإمكانه، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، وروي عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: لو فكر الناس كلهم في سورة (العصر) لكفتهم. وهو كما قال؛ فإن الله تعالى أخبر فيها أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمناً صالحاً، ومع غيره موصياً بالحق موصياً بالصبر»[٢].

* * * * *

(١) كتاب الرسالة، للإمام الشافعي (١٩)، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة دار التراث، ط. الثانية: ١٣٩٩هـ.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥٢/٢٨)؛ والاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم (٢٥٩/٢-٢٦٠).

قال المصنف رحمه الله: **(وَقَالَ البُخَارِيُّ -رحمه الله تعالى-: بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾[1]، فَبَدَأَ بِالعِلْمِ، قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ)**.

الشرح الأجمالي

(و) لأهمية طلب العلم قبل العمل؛ لئلا يعبد الإنسان ربه على ضلالة، **(قال)** الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل **(البخاري - رحمه الله تعالى -)** [2] في صحيحه [3] : **(بابٌ)** أي: هذا بابٌ فيه أن **(العلم)** الشرعي الفرض، وطلبه **(قبل القول)** دعوةً إليه، وقبل **(العمل)** به، **(والدليل)** على هذه المسألة -وجوب تقديم العلم على العمل- **(قوله تعالى:** ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾**)** أيها الرسول، والخطاب للرسول ﷺ، وهو يشمل الأمة، وهذا هو العلم [4]، **(**﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾**)** أي: لا معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، وأمَرَ الله تعالى أولاً بالعلم بالتوحيد؛ لأنه أصل القول والعمل، **(**﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾**)** بسؤال المغفرة وفعل أسبابها [5].

قال البخاري -رحمه الله تعالى-: **(فـ)** في هذه الآية **(بدأ)** الله جل وعلا **(بالعلم)**. قال المصنف -رحمه الله تعالى-: وذلك **(قبل القول)** أي: قول: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[6]، **(والعمل)** وهو: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، ولا يُبدأ إلا بالأهم

---

(١) سورة محمد، الآية [١٩].

(٢) هو صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، المتوفى سنة ٢٥٦ هـ.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول والعمل.

(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، د. عبدالله بن صالح الفوزان (٢٦).

(٥) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٠).

(٦) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٦).

فالأهم؛ فدل على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يعتبر إلا به، فهو مقدمٌ عليهما؛ لأنه مصحح النية المصححة للعمل [١].

الشرح التفصيلي

لما كانت هذه الرسالة رسالة علم، وكلها شرحٌ وبيانٌ للمسألة الأولى والواجب الأول ألا وهو العلم؛ أراد المصنف أن يُنبه طالب العلم على أن العلم مهمٌ للغاية، حتى إنه قبل القول والعمل، فقبل أن يستغفر العبد، لابد أن يعلم العلم الواجب عليه، الذي يُصحح العبادة، والعقيدة، ويصحح القلب، وهذا العلم هو الذي يُنجي به نفسَه -بفضل الله جل وعلا- إذا سُئل عن هذه المسائل الثلاث [٢]، فالمصنف -رحمه الله تعالى- يريد أن يُبين ثلاثة الأصول هذه، والمسائل المتعلقة بها، فأكد أهمية العلم بقوله، فيما ساق عن البخاري: (**بابٌ: العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى:**)، فأورد المصنف -رحمه الله تعالى- لتحقيق هذا كلام البخاري في صحيحه بمعناه حكايةً لا بلفظه [٣]، والذي في "الصحيح" أن البخاري قال: "بابٌ: العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى:" [٤].

ولكن المصنف -رحمه الله تعالى- عبَّر بقوله: (والدليل) ليكون أوضح [٥].

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٥).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٥).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٨).

(٤) صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: العلم قبل القول والعمل.

(٥) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (٢٦).

قال ابن المنير: «أراد به أن العلم شرط في صحة القول والعمل، فلا يُعتبران إلا به، فهو متقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل، فنبه المصنف على ذلك حتى لا يسبق إلى الذهن من قولهم: (إن العلم لا ينفع إلا بالعمل) تهوين أمر العلم، والتساهل في طلبه»[١]؛ فالعلم شرطٌ في وقوع العمل على وجه صحيح؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل؛ وهو أيضاً: مصحح للعمل في هيئته الظاهرة، إذ لا يُتصور عملٌ صحيح من جاهل، بل لا يُتصور اهتداؤه إليه، فضلاً عن القيام به [٢]، فلابد من العلم قبل العمل، فالمقدم بين هذه المسائل الأربع هو العلم، فهو أصلها الذي تتفرع عنه، وأيّ عملٍ لا يُبنى على علمٍ فهو لا يزيد صاحبه من الله إلاّ بعداً؛ لأنه إحداث وابتداع وضلال[٣].

قال المصنف: **(فبدأ بالعلم قبل القول والعمل)**، وهذا من كلام البخاري أيضًا، لكن ليس في "صحيحه" كلمة (قبل القول والعمل)، وإنما الذي فيه (فبدأ بالعلم)، وعليه فقوله: (قبل القول والعمل) إما أن يكون من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى- للتوضيح؛ أو أنه في نسخة أخرى [٤].

وما أورده المصنف: يدل على الترتيب بين المسائل الأربع، فالعلم أولاً، ثم العمل، ثم الدعوة، ثم الصبر؛ وبهذا يكون الترتيب الذي ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- ترتيباً دل عليه الكتاب؛ لأن قوله: (وقال البخاري)، هذا في موضع الاستدلال على ترتيب هذه المسائل، أما أصل هذه المسائل فقد دل عليها الدليل

---

(١) ينظر: فتح الباري (١/١٩٣).

(٢) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٥٥).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩).

(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (٢٦).

من سورة العصر؛ وأما الترتيب فإنه جاء من قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[١]، ووجه الدلالة منها على ذلك: أنه بدأ بالعلم في قوله (فاعلم)، ثم عطف عليه القول والعمل في قوله (واستغفر)؛ فإن الاستغفار: طلب التوبة مع دعاء المغفرة، والتوبة يندرج فيها كل القول والعمل[٢]، فالمصنف -رحمه الله تعالى- استدل بهذه الآية الكريمة على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل؛ كما استدل بها البخاري -رحمه الله تعالى- على صحة ما ترجم به، وقد استنبط هذا المعنى من الآية المذكورة قبل البخاري شيخ شيوخه أبو محمد سفيان بن عيينة[٣]، ثم ذكره بعده الغافقي الجوهري في مسند الموطأ وبوَّب به: بابٌ العلم قبل القول والعمل، فالبخاري له سابق ولاحق[٤].

* * * * *

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٠).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٨).

(٣) رواه عنه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه: حلية الأولياء (٣٠٥/٧).

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٨).


الرسالة الثانية
من الرسائل الثلاث
التي سبقت الأصول الثلاثة

[الموضوع الثاني]

اعْلَمْ -رَحِمَكَ الله-: أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المسَائِل [١]، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

- الأُولَى: أَنَّ الله خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

- الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادته [٢]، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ [٣]؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ **[الجن: ١٨].**

- الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ الله، لا يجوز له موالاة من حاد الله وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ **[المجادلة: ٢٢].**

قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: **(اعْلَمْ -رَحِمَكَ الله-: أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ ثَلاثِ هَذِهِ المسَائِل، والْعَمَلُ بِهِنَّ:).**

---

(١) في (د): (تَعَلُّمُ هَذِهِ المسَائِل). ورجح الشيخ عبدالله بن صالح الفوزان في كتابه: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول (٢٧): أن العبارة الأوضح: (تعلم هذه المسائل الثلاث).

(٢) في (خ): (أن يشرك معه في عبادته أحد).

(٣) في (د): زيادة: (فضلاً عن غيرهما). وفي (ص): زيادة: (ولا غيرهما).

الشرح الأجمالي

(اعلم)، أي: اجزم وتيقن، **(رحمك الله)**، وأعاد وكرر قوله داعياً بأن ينزل الله عليك رحمته وفضله، **(أنه يجب)** وجوباً عينياً **(على كل)**، وهي من ألفاظ العموم **(مسلم ومسلمة)** مكلف ومكلفة، مع المسائل الأربع التي سبقت **(تعلم ثلاث هذه المسائل)** بمعرفتهن واعتقاد معانيهن، **(والعمل بهن)**، أي: العمل بمدلولهن، فليس مجرد العلم هو المطلوب فقط، بل العلم والعمل معاً، فالواجب في هذه المسائل الثلاث أمران: العلم والعمل [1].

الشرح التفصيلي

هذه الرسالة هي المقدمة الثانية قبل كلام المصنف عن الأصول الثلاثة، ففي المقدمة الأولى ذكر المصنف أربع مسائل يجب علينا تعلمها، وهنا ذكر المصنف ثلاث مسائل أخرى يجب علينا تعلمها، والعمل بها، وفي المسائل الأربع السابقة قال المصنف: **(اعلم أنه يجب علينا)**؛ وهنا في هذه المسائل الثلاث يقول: **(اعلم أنه يجب على كل مسلم ومسلمة)**، والفرق بين هذا والذي قبله: أن هذا فرض يتعين على كل فرد، ويجب على كل مسلم ومسلمة[2]؛ فهذه المسائل التي ذكرها المصنف هي مسائل اعتقادية، والتي مضت مسائل عملية[3].

وهذه المسائل الثلاث التي ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- صلةٌ لما قبلها، وتمهيدٌ لما بعدها؛ ففيها بيان لأولى المراتب، في قوله في المقدمة الأولى: **(يجب**

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٠).

(٢) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٨).

(٣) اتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، عبيد بن عبدالله الجابري (٢٨).

علينا تعلم أربع مسائل: الأولى: العلم)، فيكون المراد: أن من أول ما يجب تعلمه على الإنسان: هذه المسائل الثلاث التي ذكرها -رحمه الله تعالى- هنا [١]، وهذه المسائل الثلاث يجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلمهن وأن يعمل بهن؛ لأن فيها بيان أصل الدين وقاعدته، فمن تعلمهن وعمل بهن أثابه الله، ومن لم يتعلمهن ولم يعمل بهن، أو تعلمهن ولم يعمل بهن فهو آثم [٢]؛ والمسألة الأولى من هذه المسائل الثلاث راجعة إلى تقرير توحيد الربوبية، والمسألة الثانية تتعلق بتقرير وجوب إفراد الله بالعبادة، والمسألة الثالثة: راجعة إلى الحب والبغض في توحيد الله جل وعلا [٣]؛ «فهذه المسائل الثلاث تتعلق بتقرير توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والولاء والبراء، وهذا هو حقيقة الإسلام؛ فحري بالمسلم أن يقف عند هذه الألفاظ، ويطلب ما تضمنت من العلم والعلم؛ ولا يمكن العلم إلا أن يقف عند كل مسمى منها»[٤].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلاً، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولاً، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ).

الشرح الأجمالي

المسألة (الأولى) من المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٠).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٣)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٦).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٢٥)؛ وشرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٢٩).

(٤) نقل ابن قاسم هذا الكلام عن المصنف بتصرف يسير، ينظر: حاشية ثلاثة الأصول (٥)؛ والدرر السنية (١١٧/١).

تعلمها، والعمل بها، هي: **(أن الله)** عز وجل **(خلقنا)** وأوجدنا من عدم بعد أن لم نكن شيئاً، **(ورزقنا)** النعم لنستعين بها على ما خلقنا له؛ **(ولم يتركنا هملاً)**: أي مُهمَلين غير مكلفين، لا نؤمر ولا نُنهى، **(بل)** إنه سبحانه قد أعطانا الرعاية فـــ **(أرسل إلينا رسولاً)** هو محمد ﷺ، أرسله بالهدى ودين الحق؛ **(فمن أطاعه)** فيما أمر به من التوحيد ونهى عنه من الشرك، واتبع ما جاء به **(دخل الجنة)؛ لأن** طاعة النبي ﷺ طاعة لله عز وجل[1]، **(ومن عصاه)** بأن لم يؤمن به أو خالف أمره بفعل ما نهى الله عنه مع إيمانه **(دخل النار)** أي: استحق دخول النار، لكنه قد يدخلها وقد لا يدخلها، فمن أطاعه دخل الجنة: إما دخولاً أولياً بغير حساب ولا عذاب؛ أو دخولاً بعد أمد، أي بعد سَبْق عذابٍ عليهم؛ ومن عصاه دخل النار دخولاً أبدياً إذا كان عصيانه بالكفر أو الشرك الأكبر أو النفاق الاعتقادي؛ أو دخل النار دخولاً مؤقتاً نار تطهير إذا كان عصيانه بما دون الكفر أو الشرك [2].

—

الشرح التفصيلي

هذه المسألة الأولى من المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها والعمل بها، وفي ضمن هذه المسألة أصلان لابد منهما:

الأول: أن يعلم ما كلَّفه الله به، فالله جل جلاله خلق الخلق لحكمة وغاية عظيمة، وهي عبادته وحده لا شريك له.

والثاني: أن هذا العلم الذي يعلمه يجب أن يكون عن طريق الرسول

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٠).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٣٢)؛ وشرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٣٣).

ﷺ[١].

وهذه المسألة الأولى معناها: الإقرار بتوحيد الربوبية، ومن ربوبيته تعالى إنعامه على عباده، وأعظم نعمه على عباده إرسال الرسل، وإنزال الكتب لتعريف العباد بربهم، وبحقه عليهم[٢]، وإرسال الرسل دليل على عناية الله جل وعلا بخلقه، وأنه سبحانه وتعالى لم يتركهم هملاً لا يقصدونه بشيءٍ من العبادة، ولا يُطلب منهم شيء، وبدأ المصنف -رحمه الله تعالى- في هذه المسألة بتقرير توحيد الربوبية تمهيداً لما بعده[٣]، فمن أفعال ربوبيته جل وعلا: الخلق والرزق، والمقصود بذلك أن يستدل به على أنه مكلف بعبادة الله جل وعلا؛ فهذا الأصل الأول الذي يجب علينا معرفته، واعتقاده، والعمل بمقتضاه، وهو أصلٌ عظيم من أصول الدين، وهذه المسألة الأولى عظيمةٌ جداً؛ لأنها إذا استقرت في قلب العبد قادته إلى كل خير، فيعلم أنه ما خلق إلا لغاية ولحكمة عظيمة فيها سعادته وفيها نجاته؛ فالله جل وعلا خلق العباد لأمر عظيم، وهي: عبادة ربهم الذي خلقهم ورزقهم، والإنسان يحتاج إلى من يبصره بهذه الغاية، والرسل هم الذين بينوا للناس هذه الغاية؛ ولهذا أرسل الله جل وعلا رسوله لتقرير ذلك وبيانه، ورتب الجزاء على طاعته والعقاب على معصيته، كما صح به الحديث: **(كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى)**، فقيل: ومن يأبى يا رسول

---

(١) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢٩).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٠).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٠).

الله؟ قال: **(من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)**[١]؛ فتلخص الدين في هذه المسألة العظيمة[٢].

قال المصنف: **(فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار)**: أي: من أطاع الرسول ﷺ، فإن ثمرة طاعته الفوز بالجنة والنجاة من النار، وقد أحسن المصنف عندما ربط العمل بثمرته؛ لأن هذا من أعظم ما يحرك الهمم للقيام به[٣].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٧٢٨٠).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٢).

(٣) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ١٦٠).

قال المصنف رحمه الله: **(والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾)**(١).

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن الله لم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً: **(قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً﴾)** والخطاب هنا لمشركي مكة الذين بُعث فيهم النبي ﷺ، وكذبوه وعاندوه، والخطاب يشمل: سائر الثقلين الجن والإنس (﴿شَـٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾)، يعني: شاهدًا على تبليغكم، يوم القيامة؛ (﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾)، وهذا الرسول هو: موسى بن عمران كليم الرحمن، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، (﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾) فلم يصدق فرعونُ موسى رسولَ الله لما دعاه إلى الله وأمره بالتوحيد، بل عصاه، ثمّ قال تعالى: (﴿فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾)، أي: أخذاً شديداً ثقيلاً، وهو تهديد لكل من خالف الرسل فيما جاؤوا به(٢).

الشرح التفصيلي

المقصود من هذه الآية – والله أعلم – تذكير هذه الأمة بهذه النعمة العظيمة، وهي إرسال هذا النبي الكريم؛ وتحذيرها أن تفعل مثل ما فعل قوم فرعون فيصيبهم ما أصابهم(٣)، أي: فاحذروا أنتم أيها الأمة أن تعصوا نبيكم محمد

---

(١) سورة المزمل، الآيتان [١٥-١٦].

(٢) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٤).

(٣) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (٣٣)؛ وتفسير السعدي، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق (٨٩٣).

ﷺ فيحل بكم مثل ماحل بهم من عقاب الله وأليم عذابه في الدنيا، والبرزخ[١]، وفي الآخرة؛ وهذا فيه التهديد لهم، وأنهم لن يُتركوا هملاً، ولو كانوا متروكين هملاً لما أرسل إليهم رسولاً، ولما هددهم بهذا التهديد[٢]، **قال ابن كثير** - رحمه الله تعالى-: «وأنتم أولى بالهلاك و الدمار إن كذبتم رسولكم؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران»[٣]؛ فثبت بهذا أن الله جل وعلا لم يترك الخلق وشأنهم بعد أن خلقهم، بل بعث لهم رسلاً يعلمونهم ويهدونهم ويبصّرونهم الطريق التي يرضى الله جل وعلا أن يعبدوه بها دون ما سواها من الطرق[٤].

* * * * *

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٧).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٣٩٥).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٠).

قال المصنف رحمه الله: (**الثَّانِيَةُ: أَنَّ اللهَ لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ معه أحدٌ في عبادته، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ**).

الشرح الإجمالي

المسألة **(الثانية)** من المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة تعلمها، والعمل بها: **(أن الله)** الخالق الرازق **(لا يرضى)** بل يمقت أشد المقت **(أن يشرك معه)** أيَّ **(أحد)**، ويساوى به **(في عبادته)**، كائناً من كان، **(لا ملك)** من الملائكة **(مقرب)** عنده، حتى ولو كان جبريل عليه السلام الذي هو سيد الملائكة وأشرفهم وأعظمهم، **(ولا نبي مرسل)** من البشر أرسله حتى النبي محمد عليه الصلاة والسلام، فضلاً عن غيرهم من سائر المخلوقات، فالكل عبيد لله عز وجل، والعبادة حق الله وحده، والله عز وجل لا يقبل الشركة في حقه، فهو سبحانه المستحق للعبادة، ومن سواه لا يستحق شيئاً من العبادة[(١)].

الشرح التفصيلي

في هذه المسألة حذَّر المصنف من أمر يناقض المسألة الأولى، وحذَّر منه بعبارة تدل على اللطف والمحبة والشفقة بالمخاطب، فقال: **(الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته)**، ولعله اقتبسها من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[(٢)(٣)]، فلا يرضى لعباده الكفر؛ لكمال إحسانه بهم، وعلمه أن الكفر يشقيهم شقاوة لا يسعدون بعدها؛ ولأنه خلقهم لعبادته، فهي الغاية التي خلق

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٥)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٣، ٣٥)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩).

(٢) سورة الزمر، الآية [٧].

(٣) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ١٧١).

لها الخلق، فلا يرضى أن يتركوا ما خلقهم لأجله[١]؛ ولَمَّا كان الله جل وعلا لا يرضى الشرك حذَّر منه في كتابه أيما تحذير، وحذَّر منه رسوله ﷺ بأساليب متنوعة[٢].

وقوله: (أن يشرك معه أحدٌ): (أن) هنا مصدرية ناصبة، فيكون التقدير: (إن الله لا يرضى شركاً به)، وعلى هذا التقدير تكون كلمة (شركاً) نكرة في سياق النفي، وهذا يفيد العموم في عدم رضا الله جل وعلا بأي شرك كان[٣]، و(أحدٌ) هنا: نكرة في سياق النفي، فتكون عامة، وتفيد النهي عن جميع ما يُعبد من دون الله جل وعلا[٤]؛ فهذه المسألة مقصودها: إبطالُ الشرك في العبادة، وإحقاق التوحيد، ببيان أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته كائناً من كان[٥]، فالله جل وعلا إنما يرضى التوحيد، وأن يُعبد وحده دون سواه، فمن أشرك معه الله إلهاً آخر فقد نقض الغاية العملية التي كُلِّف بها من خلقه[٦].

قال المصنف: **(لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل)**: فأكد النهي عن الشرك بنفي عبادة أعظم الخلق منزلة عند الله جل وعلا[٧]؛ لأنه قد يُتَوهَّم أن المخلوق إذا بلغ إلى غاية عظيمة فإنه يوصل إلى الله جل وعلا باتخاذه واسطة، أي:

---

(١) تفسير الكريم الرحمن، عبدالرحمن السعدي (٧٢٠)، تحقيق: عبدالرحمن اللويحق.

(٢) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/١٧٤-١٨٨).

(٣) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٦٥).

(٤) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/١٨٩).

(٥) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩).

(٦) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٣).

(٧) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/١٩٠).

باتخاذه وسيلة ، وأعلى المخلوقات مقاماً عند الخلق الملائكة ، والرسل والأنبياء ؛ لهذا نفى المصنف -رحمه الله تعالى- هذا الأمر [١] ؛ وإذا كان الله عز وجل لا يرضى أن يشرك به ملك مقرب، وهو من أشرف الخلق الغيبي الذي نعلمه، ولا نبيٌّ مرسل، وهم أشرف جنس بني آدم ؛ فكيف بالإشراك معه غيره ممن هو دونهما ؛ كالأشجار والأحجار والأصنام والصالحين، فلا شك أنه لايرضاه ، بل يبغضه ، وقد قال الله جل وعلا في بيان عقوبة من وقع منه الشرك : ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [٢] ، وهذا فيه التهديد البليغ البين على هذا العمل ، وفيه بيان عظم الشرك ، وأنه أمر خطير كبير لايرضاه الله ، وإلاّ لما توعد عليه بهذا الوعيد الشديد العظيم من تحريم الجنة والإخبار بدخول النار [٣].

* * * * *

(١) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٣ ، ٣٥).

(٢) سورة المائدة ، الآية [٧٢].

(٣) شرح الأصول الثلاثة ، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٣).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾)**[1].

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته كائناً من كان: **(قوله تعالى: (وأن المساجد)**، أي: أماكن الصلوات أو أعضاء السجود **(لله)** لا لأحد سواه، **(فلا تدعوا مع الله)**، أي: فلا تسجدوا فيها، ولا بها لغير الله **(أحداً)** لا ملكاً من الملائكة، ولا نبياً، ولا ولياً، ولا غيرهم، لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة، فدعاؤهم من دون الله هو الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر إلا بالتوبة منه [2].

الشرح التفصيلي

اختلف أهل التفسير في كلمة (المساجد) الواردة في الآية على أقوال:

الأول: أنها المواضع التي بُنيت للصلاة وذكر الله، فهي بيوت الله التي يسجد له فيها، ويصلى له فيها، قال قتادة: «كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله، فأمر الله المؤمنين أن يخلصوا لله الدعوة إذا دخلوا المساجد»؛ فيكون المعنى على هذا التفسير: أن بيوت الله لله فلا يصح أن يشرك مع الله أحد في هذه المساجد، فضلاً عن غيرها، وعليه تكون الآية نزلتْ في النهي عن أنْ يُشرك باللَّه في المساجدِ في عبادتِهِ غيره، كما يفعلُ أهلُ الكتابِ في

---

(١) سورة الجن، الآية [١٨].

(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٦)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٨)؛ و تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩).

كنائسِهِم وبيعِهم [١].

والثاني: أن المرادَ بالمساجدِ هنا: الأرضَ كلَّها؛ فإنها لهذه الأمة مساجدُ، وهي كلُّها للَّه، فنهى اللَّهُ أن يُسجدَ عليها لغيره.

والثالث: أن المراد بها: الأعضاء التي يسْجُدُ عليها العبد، فيكون المعنى: هذه الأعضاء التي يقع عليها السجود مخلوقةٌ لله، فيجب أن تكون خالصة لله؛ فلا تسجدوا بها أو عليها لغيره [٢].

ووجه الدلالة من الآية على أن الله جل وعلا لا يرضى بالشرك كائناً من كان المشرك به، من جهتين:

الأولى: أن الله جل وعلا قال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ وكون المساجد لله يقتضي إفراده تعالى بالعبادة وألا يدعى معه أحد [٣].

الثانية: في قوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾؛ لأن كلمة: ﴿أَحَدًا﴾ (أَحَدًا) نكرة جاءت في سياق النهي، فتعم كل أحد، وكل ما سوى الله أحد، أي: لا تدعوا ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شجراً ولا حجراً ولا جناً ولا جماداً ولا غير ذلك [٤]، واسم الدعاء يُطلق في خطاب الشرع وتراد به العبادة كلها، كما في الحديث:

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٢٤٤)؛ ومختصر تفسير البغوي، المسمى (معالم التنزيل)، لأبي محمد الحسين البغوي، اختصار: د. عبدالله الزيد (٢/٩٧٤)؛ و روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله (٢/٥٠١)؛ وتفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس)، المحقق: د. محمد بلتاجي.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي (٤/٣٤٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (٨/٣٥٠).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د.صالح ابن فوزان الفوزان (٥٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٦).

(والدعاء هو العبادة)[١]؛ فالنهي عن دعوة غير الله معه، دليل على وجوب عبادة لله وحده، فكأن نسق الآية في سياقها: فلا تعبدوا مع الله أحداً؛ بل اعبدوا الله وحده [٢]، فإثبات المساجد وهي محال العبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وتعقيب ذلك بالنهي عن دعاء غيره (الشرك)، دليل على أن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن يشرك معه غيره، فالله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه؛ ويدل لذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[٣][٤].

* * * * *

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٢١٣).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩، ٢٤).

(٣) سورة الزمر، الآية [٧].

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٢).

قال المصنف رحمه الله: **(الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ وَوَحَّدَ الله، لا يجوز له موالاة من حاد الله وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ)**.

الشرح الإجمالي

المسألة **(الثالثة)** من المسائل التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها، والعمل بموجبها **(أن من أطاع الرسول)** فيما أَمَرَ به، واجتنب ما نهى عنه، وهو المسألة الأولى؛ **(ووحَّدَ الله)** في عبادته، وأخلص له العبادة، وهو المسألة الثانية: **(لا يجوز له)**، ويحرم عليه **(موالاة)**، ومحبة ومودة **(من حادّ الله ورسوله)**، أي: من عاداهما وشاقهما، **(ولو كان)** من حادَّ الله ورسوله **(أقرب قريب)**، أي: الولد والوالد، ومن دونهم في النسب من باب أولى، فإنما القرب في الحقيقة هو قرب الدين لا قرب النسب [(١)].

الشرح التفصيلي

قال المصنف في تقرير هذه المسألة الثالثة من المسائل الثلاث التي يجب على كل مسلم ومسلمة معرفتها، والعمل بموجبها: **(الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله، لا يجوز له موالاة من حادّ الله ورسوله)**: وهذه الثلاث مسائل التي أوردها المصنف من المهمَّات العظيمات:

الأولى: أن يعلم المرء الغاية من خلقه، وإذا علم الغاية، فيعلم الطريق الموصلة لتحقيق هذه الغاية، وهي طاعة الرسول ﷺ.

الثانية: معرفة خطر الشرك، وأن الله تعالى لا يرضى الشرك به، حتى بالمقربين عنده، والذين لهم المقامات العالية عنده جل وعلا.

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١١)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩).

الثالثة: ألا يكون في قلب الموحّد -الذي وحَّد الله، وأطاع الرسول، وخلص من الشرك-: محبة للمشركين [١].

وهذه المسألة الثالثة التي ذكرها المصنف هي بمنزلة التابع اللازم للمسألتين الأوليين، ومقصودها: بيان وجوب البراءة من المشركين؛ لأن طاعة الرسول، وإبطال الشرك، وهما الأمران المذكوران في المسألة الأولى والثانية لا يتحققان إلا مع البراءة من المشركين، فمن أطاع الرسول وأبطل الشرك موحداً لله، لم تتم له عبادته حتى يتبرأ من المشركين، فلا يجتمع الإيمان الناشىء من طاعة الرسول، وتوحيد الله، مع محبة المشركين أعداء الله؛ بل المؤمنون محادُّون من حادَّ الله ورسوله، معادون من عادى الله ورسوله [٢]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله»[٣]. وهذا المسألة من أصول الإيمان، فأصل الدّين الذي هو (لا إله إلا الله): أن يحب العبدُ هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد، ويحب أهلها؛ ويبغض الشرك المناقض لهذه الكلمة، ويبغض المشركين [٤]؛ ولهذا كان أوثق عرا الإيمان: الحب في الله والبغض في الله؛ وذلك أنه إذا وقر الإيمان في قلب العبد أحب ما يحبه الله، وأبغض ما يبغضه الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يحب التوحيد وأهله، ويبغض الشرك والكفر وأهله، فمن أحب أهل الشرك ووادّهم وتقرّب منهم فإنه قد حادّ الله سبحانه وتعالى [٥].

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٤).
(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩، ١٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٧٥٣).
(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٩).
(٥) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٤).

قال المصنف: **(لا يجوز له موالاة من حادَّ الله ورسوله)**: والموالاة: مأخوذةٌ من الوَلْيُ، وهو: القُرْبُ والدنوُّ[(١)]، ويُستعار ذلك للقرب من حيث المكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدّين، ومن حيث الصداقة، والنصرة، والاعتقاد[(٢)]؛ وأما المحادة، فهي: الممانعة والمخالفة والمجانبة، مأخوذة من الحَدُّ، وهو: الحاجز بين الشيئين[(٣)]؛ الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحدُّ الشيء: الوصف المحيط بمعناه المميّز له عن غيره[(٤)]، فمعنى قوله: (حادَّ الله ورسوله): أي: كان في حد متميز عن الله جل وعلا ورسوله ﷺ؛ وهو حد الكفر[(٥)].

وأصل الموالاة في القلب؛ أي: محبة القلب، فالقرب يكون في الأصل بالقلب، ثم يتبعه قرب القول والعمل[(٦)]؛ فإذا أحب القلب الشرك صار موالياً للشرك، وإذا أحب القلب أهل الشرك صار موالياً لأهل الشرك؛ كذلك إذا أحب القلب الإيمان صار موالياً لأهل الإيمان، وإذا أحب القلب الله ورسوله صار موالياً لله وموالياً لرسوله، وإذا أحب القلب المؤمنين صار موالياً ووليًّا

---

(١) الصحاح، للجوهري (١٨٣١/٢)، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط. الأولى: ١٤١٨هـ.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٨٨٥)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم، دمشق، ط. الأولى: ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٢٢)، الناشر: دار إحياء التراث، بيروت، ط. الأولى: ١٤٢٢هـ؛ والصحاح، للجوهري (٣٩٧/١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٢٢١).

(٥) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٠)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٩).

(٦) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٤).

للمؤمنين[١]؛ والمنهي عنه هنا هو قرب القلب في المودة والمحبة، وقرب القول والعمل[٢]؛ إلا ما استثناه الله عز وجل في قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةً﴾[٣]؛ وإلا من استثناهم الله عز وجل في قوله: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾[٤]؛ لأن هذا من جملة الإحسان الذي كتبه الله على كل شيء، فليس هذا من الموادّة، فالبر والقسط مع الكفار ليس من الموادّة والموالاة التي حرمت؛ فالمنهي عنه هو موالاة القلب لا البر والإحسان فيمن استثناه الله عز وجل في هذه الآية[٥]، وقد رجح الطبري - رحمه الله تعالى -: أن الآية عامة في جميع من لم يقاتلونا في الدين من جميع أصناف الملل والأديان[٦]؛ فأَذِنَ الله جل وعلا بالصلة والإحسان لمن لم يحارب من الكفار، ونهى عن موالاة المحاربين في قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾، وقوله جل وعلا هنا: ﴿أَن تَوَلَّوۡهُمۡ﴾ في وصف المحاربين يدل على أنَّ غير المحاربين له نوع موالاة جائزة بالإحسان والمودة الجزئية ونحو ذلك، وهذا واضح بالمقابلة[٧].

* * * * *

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٩).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٤).

(٣) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

(٤) سورة الممتحنة، الآية [٨].

(٥) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٤).

(٦) تفسير الطبري (٥٧٤/٢٢).

(٧) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٦/٢).

قال المصنف رحمه الله: **(والدَّليلُ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾)[1].

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أنه لا تجوز موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب: **(قوله تعالى:** ﴿لَّا تَجِدُ﴾) وهذا نفي، وهو أبلغ من النهي، أي: لا يقع هذا ولا يكون موجوداً أبداً أن تجد (﴿قَوْمًا﴾) أي: طائفة، والحكم يسري أيضاً على الأفراد (﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾) إيماناً حقيقياً، (﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾) وبما أعد الله فيه من الثواب والعقاب، (﴿يُوَآدُّونَ﴾) بالمحبة والنصرة، (﴿مَنْ حَآدَّ﴾)، أي: عادى (﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾) بالكفر، (﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ﴾) في النسب؛ (﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾) الأقربين منهم، (﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾) الذين لا يوادون من حاد الله ورسوله جازاهم على ذلك بأن (﴿كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾)، أي: جمع الإيمان في قلوبهم وثبَّته وأرساه، (﴿وَأَيَّدَهُم﴾)، أي: قوَّاهم، (﴿بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾)، أي: بقوة منه سبحانه، (﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾)، أي: يسكنهم جنات، دائمين فيها، (﴿رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾)، وهذا أعلى مراتب النعيم؛ فإنهم لمَّا أسخطوا الأقارب والعشائر في الله عوضهم الله بالرضا عنهم، وأرضاهم عنه

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٢٢].

بما أعطاهم من النعيم المقيم، والفوز العظيم، (﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾)، أي : الموالون ومن عمل عملهم هم أولياء الله وأنصاره، وهم المفلحون في الدنيا والآخرة [(١)].

الشرح التفصيلي

تضمنت الآية النهي عن موادة المحادين لله ورسوله بالكفر والشرك، وأصل الموالاة: المحبة والمودة، قال جل وعلا: **﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾**[(٢)]، يعني: هنالك المحبة والمودة والنُّصرة لله الحق؛ ففسَّر المصنف الموالاة بأنها الموادة؛ ولهذا استدل بهذه الآية على النهي عن موالاة من حاد الله ورسوله، وهذا معناه: أن أصل الموالاة في القلب، وهي: محبة الشرك أو محبة أهل الشرك والكفر [(٣)]؛ فالواجب على المسلم أن يكون في باطنه بغضٌ للكفر ولأهل الكفر، فوجود المودة في القلب -المودة التامة المطلقة- هذه لا تكون مع الإيمان، فالواجب إذاً ألا يوادهم، وألا يحبهم، وأن يكون في قلبه بغض للكفر والكافرين [(٤)]؛ قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «من أحوال القلب وأعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه؛ بحيث إذا كان الإنسان مؤمنا؛ لزم ذلك بغير قصد منه ولا تعمد له، وإذا لم يوجد؛ دلَّ على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب، وهذا كقوله تعالى: **﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٣٧).

(٢) سورة الكهف، الآية [٤٤].

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٩).

(٤) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٨/٢).

وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ؛ فأخبر أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله ؛ فإن نفس الإيمان ينافي موادته، كما ينفي أحد الضدين الآخر، فإذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه ؛ كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب، ومثله قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ۝٨٠ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1]، فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال : ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ ؛ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه. ومثله قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾[2] ؛ فإنه أخبر في تلك الآيات : أن متوليهم لا يكون مؤمنا، وأخبر هنا : أن متوليهم هو منهم ؛ فالقرآن يصدق بعضه بعضا»أ.هـ [3].

والقدر من الولاء والبراء الذي إذا فقده العبد انتفى عنه الإسلام : أن يبرأ من

---

(١) سورة المائدة، الآيتان [٨٠-٨١].

(٢) سورة المائدة، الآية [٥١].

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/٧).

الشرك، وأن يوالي التوحيد، بمعنى: أن يُبغض الشرك، وأن يحب التوحيد، فيبرأ مما يعبده المشركون، أي: يبغض المعبودات، ويحب الإسلام، وهذا القدر من حرمه فقد حرم ولاؤه وبراؤه؛ وبعد ذلك هناك محبة واجبة، لكن تركها معصية، ليس تركها قادحاً في التوحيد، وهي: محبة أهل الإسلام، وبغض أهل الشرك، فإذا لم يبغض أعيان المشركين، ففيه تفصيل على ما سيأتي، والمقصود معرفة أن الولاء والبراء منه ما تركه كفر، وهو الولاء الواجب: محبة الإسلام ومحبة الله، والبراء الذي هو قرينه: بغض الشرك، وبغض معبودات المشركين، وهذا القدر من لم يأت به فليس بمسلم؛ لأنه ناقض أصل الولاء والبراء [١].

والموالاة للكافر ـ يعني للمعين ـ ثلاث درجات [٢]:

الدرجة الأولى: موالاة الكافر لدينه، وهذه موالاة مكفرة، ويُسميها بعض العلماء: التولي، وهو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[٣]؛ يُقال: تولاه توليا، وقد فُسّر التولي المكفر في الآية بأنه: التولي في الدين، أي: ومن يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر، وهذا قول ابن عباس[٤]. **قال ابن الجوزي** –رحمه الله تعالى-: «قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، فيه قولان: أحدهما: من يتولهم في الدين، فإنه منهم في الكفر، والثاني: من يتولهم في العهد فإنه منهم في مخالفة الأمر»[٥]، وما ذكره ابن الجوزي

---

(١) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٣/٢).

(٢) المصدر السابق (١١٦/٢).

(٣) سورة المائدة، الآية [٥١].

(٤) ينظر: تفسير الماوردي "النكت والعيون" (٤٦/٢).

(٥) زاد المسير، لابن الجوزي (٥٥٧/١)؛ وينظر: المصدر السابق.

عن أهل التفسير في معنى الآية يقتضي التفريق بين موالاة الكفار على دينهم، وأنها كفر؛ وبين الموالاة في مجرد العهد مع الكفار، وأنها مخالفة للأمر، أي: فلا تكون كفراً[١]، **وقال ابن عطية** -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: «ومن تولاهم **بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر**، واستحقاق النقمة، والخلود في النار؛ ومن تولاهم بأفعاله، من العضد، ونحوه، دون معتقد، ولا إخلال بإيمان، فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم وعليه»[٢]؛ **وقال الشنقيطي** -رحمه الله تعالى- في تفسير هذه الآية: «بَيَّنَ أن الذي يتولى الكفار اختياراً، رَغْبَة فيهم،

(١) مناط الكفر بموالاة الكفار، د. عبدالله بن محمد القرني، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/٢٠٤). وقال محمد الطاهر بن محمد بن عاشور في تفسيره: "التحرير والتنوير" (٦/٢٢٩): «وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، (من): شرطية، تقتضي أن كل من يتولاهم يصير واحداً منهم، وهذا بظاهره يقتضي أن ولايتهم دخول في ملتهم؛ لأن معنى البعضية هنا لا يستقيم إلا بالكون في دينهم، ولما كان المؤمن إذا اعتقد عقيدة الإيمان واتبع الرسول، ولم ينافق كان مسلماً لا محالة كانت الآية بحاجة إلى التأويل، وقد تأولها المفسرون بأحد تأويلين: إما بحمل الولاية في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم﴾ على الولاية الكاملة، التي هي: الرضى بدينهم والطعن في دين الإسلام، ولذلك قال ابن عطية: ومن تولاهم بمعتقده ودينه فهو منهم في الكفر والخلود في النار؛ وإما بتأويل قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ على التشبيه البليغ، أي فهو كواحد منهم في استحقاق العذاب. قال ابن عطية: من تولاهم بأفعاله من العضد ونحوه دون معتقدهم ولا إخلال بالإيمان فهو منهم في المقت والمذمة الواقعة عليهم. أ.هـ. وهذا الإجمال في قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ مبالغة في التحذير من موالاتهم في وقت نزول الآية، فالله لم يرض من المسلمين يومئذ بأن يتولوا اليهود والنصارى؛ لأن ذلك يلبسهم بالمنافقين، وقد كان أمر المسلمين يومئذ في حيرة إذ كان حولهم المنافقون وضعفاء المسلمين واليهود والمشركون فكان من المتعين لحفظ الجامعة التجرد عن كل ما تتطرق منه الريبة إليهم، وقد اتفق علماء السنة على أن ما دون الرضا بالكفر وممالأتهم عليه من الولاية لا يوجب الخروج من الربقة الإسلامية ولكنه ضلال عظيم، وهو مراتب في القوة بحسب قوة الموالاة وباختلاف أحوال المسلمين».

وفي دينهم، أنه منهم»[١].

وفُسّر "التولي" في الآية: بنصرتهم على المسلمين، أي: ومن يعضدهم على المسلمين فإنه منهم، فبين تعالى أن حكمه كحكمهم [٢]، **قال ابن جرير الطبري** -رحمه الله تعالى- في تفسير الآية: «ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين، فإنه منهم. يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على المؤمنين، فهو من أهل دينهم وملتهم، فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به، وبدينه، وما هو عليه راض؛ وإذا رضيه ورضي دينه، فقد عادى ما خالفه وسخطه، وصار حكمه حكمه»[٣]، وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: **﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾**[٤] : «ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصارا، **توالونهم على دينهم**، وتظاهرونهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلونهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء؛ يعني بذلك فقد برئ من الله، وبرئ الله منه بارتداده عن دينه، ودخوله في الكفر، إلا أن تتقوا منهم تقاة، إلا أن تكونوا في سلطانهم، فتخافوهم على أنفسكم، فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم، وتضمروا لهم العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من

---

(١) العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (٥/٢١٥)، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط. الثانية: ١٤٢٦هـ.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٨/٤٧).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٠/٤٠٠).

(٤) سورة آل عمران، الآية [٢٨].

الكفر، ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[١]، ونقَلَ ابن جرير عن السدي أن معنى النهي عن اتخاذهم أولياء، أي: «**فيواليهم في دينهم**، ويظهرهم على عورة المؤمنين، فمن فعل هذا فهو مشرك، فقد برئ الله منه، إلا أن يتقي منهم تقاة، فهو يظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين»[٢]؛ فالأصل في المسلم أن لا يتخذ غير المسلم ولياً يواده وينصره من دون المسلمين، فإذا فعل ذلك حباً في دين الكافر، فإن ذلك ردة وكفر [٣].

فيكون معنى **الولاء الكفري أو التولي الكفري** هو: تولي الكافر وموالاته لدينه، وذلك: بمحبة دين الكفار والرضا به؛ أو محبة الكفار لأجل دينهم؛ أو مظاهرتهم ونصرتهم على المسلمين لأجل دينهم، بقصد ظهور الكفار على المسلمين، وهو بمعنى: المحبة التامة والنصر الكاملة[٤].

الدرجة الثانية: محبة الكافر أو المشرك ومودته وإكرامه للدنيا مطلقاً، وهذه

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥/٣١٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، تأليف: عبدالرزاق بن طاهر أحمد معاش (٤٦١)، الناشر: دار البينة، الرياض، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

(٤) ينظر: المصدر السابق (١٩٥)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٠)؛ ودروس في شرح نواقض الإسلام، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٦٠، ١٧٢)، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الثالثة: ١٤٢٦هـ؛ والإلمام بشرح نواقض الإسلام، إعداد عبدالعزيز الريس (٢١٠)، الناشر: دار البينة، الرياض، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ؛ ومعجم التوحيد، إبراهيم بن سعد أبا حسين (٣/٥٥٤)؛ وشرح نواقض الإسلام، حمد بن عبدالله الحمد (٧)؛ وأطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ.د. خالد بن علي المشيقح (٨٥، ٨٨)، راجعه: محمد الغنام، الناشر: مدار الوطن، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ؛ وموجز الكلام في شرح نواقض الإسلام، يوسف بن علي الطائي (٣٦)، مشروع طباعة الكتب السلفية (٦١)، الكويت؛ وحقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة، د. عصام بن عبدالله السناني (٢٦٨)، الناشر: مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط. الثالثة، ١٤٣٦هـ.

الموادة له محرمة لا تجوز، وهي نوع موالاة مذموم؛ فإذا أحب المشرك أو الكافر لأجل دنياهم، وصار معه نوع موالاة لأجل الدنيا، فهذا محرم ومعصية، وكبيرة من الكبائر، وليس كفراً، وضابطها: أن تكون محبة أهل الشرك؛ لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرةٌ؛ لأنه إذا كان معها نصرةٌ على مسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار تولياً، وهو في القسم المُكَفّر [(١)]، فإذا أحب الكافر لذاته، فهذا محرم لا يجوز؛ وإن أحبه لدينه، وما هو عليه من الكفر والشرك بالله، فهذا كفر مخرج من الملة [(٢)].

الدرجة الثالثة: المحبة المقيدة؛ لأجل النفع المقيد الحاصل له منه، وهو أن يكون في مقابلة نعمة، أو في مقابلة قرابة، وهي المحبة الطبيعية؛ كمحبة الكافر لكونه ابناً له، أو لكونه زوجة، أو أماً، أو لحسن خلقه [(٣)]، وهذه الدرجة محل خلاف: فمن العلماء يرى أنها تدخل في الدرجة الثانية، أي أنها من الموالاة المحرمة؛ فالمحبة الطبيعية، لأنه أب أو قريب أو نحو ذلك لا تجوز؛ لأنها تكون وسيلة إلى ما هو أكبر[(٤)]؛ وهناك قول آخر: بأن نوع المودة الحاصلة، أو الإحسان، أو نحو ذلك في غير المحاربين فيه رخصة، فالمحبة التي تدخل في الولاء والبراء هي: إما المحبة للدين، فمن أحب الكافر لدينه، فإنه يكفر؛ أو المحبة لدنياه

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤١). وينظر: حقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة، د. عصام السناني (٢٧٢).

(٢) أطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ.د. خالد بن علي المشيقح (٨٨).

(٣) ينظر: الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٦/٢)؛ وأطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ.د. خالد بن علي المشيقح (٨٨).

(٤) سبل السلام شرح نواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٢٠٦)، وينظر: كلام المعتني بالكتاب في الحاشية ص(١٩٨).

مطلقاً، فهذه موادة له لا تجوز، وهي نوع موالاة؛ أما المحبة المقيدة، فالحب هنا ليس مطلقاً، فلم يُحب الكافر مطلقاً، وإنما أحب ذلك؛ لأجل النفع الذي وصل إليه منه، فمحبة المشركين غير المحاربين؛ لأجل منفعة مباحة تحصل منهم، أو في مقابلة قرابة، فهذه فيها سعة؛ لأجل أنَّ النفوس جُبِلَتْ على حب من أحسن إليها [١]؛ ويدل على ذلك حديث أسماء بنت أبي بكر لما قدمت عليها أمها، وهي مشركة، فسألت النبي ﷺ عن صلة أمها، فقال لها: **(نعم صليها)**[٢]؛ والصلة المراد بها في هذا الحديث: أنها تكرمها إكرام الولد لوالده إذا قدم عليه؛ وهذا الإكرام لا يخلو من مودة، بل لابد فيه من مودة [٣]؛ ويدل لذلك أيضاً: أن الله جل وعلا أحلّ الزواج بالكتابية وهي مشركة، ولا بد للزوج أن يكون له مع زوجته مودة ورحمة قد تزيد وقد تنقص بسبب المنفعة له منها؛ لأنه لو لم يحبها أو يكون لها مودة في قلبه لما أبقاها معه[٤]؛ وقد كان رسول الله ﷺ يحب عمّه أبا طالب؛ ولذلك قال الله تعالى عنه: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾[٥]، وسبب المحبة هنا المنفعة

---

(١) ينظر: الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٥/٢، ١١٦)؛ وأطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ.د. خالد ابن علي المشيقح (٨٨).

(٢) أخرجه البخاري، في كتاب الجزية والموادعة، برقم (٣١٨٣)؛ ومسلم، في كتاب الزكاة، برقم (١٠٠٣).

(٣) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٥/٢).

(٤) المصدر السابق. وجاء في تفسير سورة المائدة، الآية (٥١)، لابن عثيمين (٩/٢): «هل من الولاية المحبة؟ الجواب: المحبة لا شك أنها وسيلة إلى المناصرة؛ لأن من أحب أحداً نصره، لكن المحبة الطبيعية لا تدخل في هذا، ولهذا أباح الله تعالى للمسلمين أن يتزوجوا من اليهود والنصارى، ومن المعلوم أن الزوج مع زوجته لا بد أن يكون بينهما محبة».

(٥) سورة القصص، الآية [٥٦].

المباحة والرابط الذي جمع بينهما [١]؛ ومنه قوله تعالى مخاطباً بعض المؤمنين الذين كانوا يواصلون بعض الكفار من أهل الكتاب لقرابة بينهم: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾[٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كان عامة الأنصار يواصلون اليهود ويواصلونهم، فلما أسلم الأنصار بغضهم اليهود، فنزلت هذه الآية)، وفي معنى محبة المؤمنين لهم أربعة أقوال، أحدها -وهو الشاهد-: أنها الميل إليهم بالطباع، لموضع القرابة، والرضاع، والمصاهرة، وهذا المعنى منقول عن ابن عباس -رضي الله عنهما- [٣]، قال البغوي -رحمه الله تعالى- في تفسيره لهذه الآية: «يريد: أنتم أيها المؤمنون، تحبونهم، أي: تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة، ولا يحبونكم لما بينكم من مخالفة الدين»[٤]؛ فالمقصود أن هناك فرقاً بين محبة الكفار الممنوعة المقتضية لموالاتهم والرضا بدينهم؛ وبين المحبة الطبيعية الجائزة: كمحبة الرجل لولده المشرك، أو لوالده المشرك، أو لزوجته الكتابية، أو لجاره المشرك المحسن إليه؛ فهذه محبة طبيعية فطرية، لا علاقة لها بدين الآخر، ولا يترتب عليها ولاء للكفار ولا مودة ولا نصرة لدينهم[٥]، فإذا

---

(١) جاء في تفسير الطبري (١٩/٥٧٨): «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدايته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: *إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك*، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهباً»؛ وفي تفسير البغوي (٣/٥٣٩): «قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، أي: أحببت هدايته، وقيل: *أحببته لقرابته*».

(٢) سورة آل عمران، الآية [١١٩].

(٣) زاد المسير، لابن الجوزي (١/٣١٨).

(٤) (١/٤٩٨).

(٥) ينظر: مفهوم عقيدة الولاء والبراء، د. سليمان بن صالح الغصن (٦٨)، الناشر: دار كنوز أشبيليا، ط.

وجدت المودة للكافر، لا لأجل كفره، ولكن لأجل صفة فيه يحبها الإنسان، مثل حب امرأة تزوجها، أو مودة طبيب أحسن إليه، ونحو ذلك مما يكون في مقتضى الطبيعة، فهذا لأمر خارج عن الأمر الديني، يعني هو لأمر طبيعي ظاهري، وما كان لأجل الأمور الطبيعية الظاهرة، فإنه لا يُنهى عنه(١)؛ والواجب أن يكون المؤمن محباً لله جل وعلا ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وإذا عَامَلَ المشركين أو عَامَلَ الكفار في أمور الدنيا، فيكون تعاملاً ظاهرياً بالعدل بدون ميل القلب، أو محبة القلب، وإنما إذا أحسنوا إليه فإنه يحسن إليهم(٢).

مسألة: تقرر فيما سبق أن موالاة الكفار بمحبتهم أو نصرتهم لأجل دينهم كفر مخرج من الملة، وأنه يستحيل ثبوت الإيمان وأصل البراءة من الكفار مع حصول الموالاة للكفار بهذا المعنى، إذ لا يتصور اجتماع الإيمان مع محبة دين الكفار أو نصرتهم لأجل دينهم، لكون ذلك من اجتماع النقيضين، وهذا الأصل لا إشكال فيه، واختلف فيما إذا كانت موالاة الكفار، ونصرتهم على المسلمين ليست نصرة وإعانة لأجل دينهم، وإنما لحظ دنيوي، فهل يكون من الدرجة الأولى: (التولي الكفري)؛ أم يكون من الدرجة الثانية: (الموالاة المحرمة)؟ اختلف في ذلك على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين بشتى طرق

الأولى: ١٤٣٠هـ.

(١) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٨/٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٣).

المعاونة يعتبر من نواقض الإسلام، فالتولي العام المكفر: نصرهم على المسلمين، ومظاهرتهم على المسلمين، وإعانتهم على المسلمين، فمن نصر الكفار على المسلمين، وأعانهم ضد المسلمين، فإنه يكون كافراً [١]؛ لأن التولي هو النصر، فالتولية لقوم: نصرهم وتأييدهم على ضدهم، وأصله محبة القلوب، ويدل عليها نصرهم وتأييدهم على المسلمين [٢]، فمن نصر الكفار على المسلمين، ولو زعم أنه لأجل مراعاة أرحام له وأولاد له، فإنه لا ينفعه؛ لأن مظاهرة الكفار على المسلمين تولٍ وردة عند جميع أهل العلم[٣]، وظاهر هذا القول الإطلاق، وأن أي معاونة للكفار على المسلمين، فإنها كفر وردة؛ فلو كانت المعاونة للكفار ليست في أمور القتال، وإنما في أمر من الأمور التي قد تحقق للكفار مصلحة، وتكون هذه المعاونة لغرض دنيوي؛ إما رغبة أو رهبة، مع بغض الكفار والبراءة من دينهم، فإنها كفر[٤]؛ قال الشيخ حمد ابن عتيق: «مظاهرة المشركين، ودلالتهم على عورات المسلمين؛ أو الذب عنهم بلسان، أو رضى بما هم عليه، كل هذه مُكفِّرات ممن صدرت منه من غير الإكراه

---

(١) سبل السلام شرح نواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٢٠٢)، جمعه: محمد بن ناصر الفهري، ط. الأولى: ١٤٣٢هـ؛ وينظر: تبصير الأنام بشرح نواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٩٣)، الناشر: أوقاف نوره الراجحي، ط. الأولى: ١٤٣٧هـ؛ ونواقض كلمة التوحيد، د. عواد بن عبدالله المعتق (٧٢)، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الأولى: ١٤٣٦هـ؛

(٢) سبل السلام شرح نواقض الإسلام، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٢٠١).

(٣) المصدر السابق (٢٠٦).

(٤) ينظر: شرح نواقض الإسلام، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٥)، راجعه: عبدالرحمن السديس، الناشر: دار التدمرية، ط. الخامسة: ١٤٣٥هـ.

المذكور، فهو مرتد، وإن كان مع ذلك يُبْغض الكفار ويحب المسلمين»[١].

ويمكن أن يستدل لهذا القول: بأن صورة المظاهرة بالمقاتلة مع الكفار ضد أهل الإسلام منافية ولا بد لأصل الولاء للمؤمنين وأصل البراءة من المشركين؛ وذلك للتلازم بين الظاهر والباطن، وأنه لا يمكن أن يكون العبد مؤمنًا بالله ورسوله الإيمانَ المنجي، محبًا لأهل الإيمان ولما هم عليه، مبغضًا لأهل الكفر وما هم عليه، ثم هو يبذل كل طاقته وقوته وجهده، بل ويغرر بنفسه وأهله وماله في مناصرة الكفار على المؤمنين طلبًا لعلو شأنهم، وغلبتهم؛ ليُحصِّل منهم منفعة دنيوية، مع ما علمه بما تستلزمه هذه النصرة من انتصار للشرك والكفر على الإيمان والإسلام، وأن هذا متى ما واقع هذه البلية العظيمة فإنما هو لطغيان محبة الدنيا على نفسه وقلبه حتى أخْلَتْه عن أصل الإيمان المنجي، والمتضمن أصل الولاء والبراء المنجي، فأضحى كافرًا[٢].

القول الثاني: أن إعانة الكفار على المسلمين سواء أكانت بالقتال معهم، أم بإعانتهم بالمال أو السلاح، أم كانت بالتجسس لهم على المسلمين، إذا كان الحامل لها مصلحة شخصية، أو خوفاً، أو عداوة دنيوية بينه وبين من يقاتله الكفار من المسلمين، فهذه الإعانة محرمة، وكبيرة من كبائر الذنوب، ولكنها

---

(١) الدفاع عن أهل السنة والاتِّباع (٣٠)، الناشر: دار طيبة، ط. الرابعة: ١٤١٠هـ؛ وينظر: الدرر السنية (١٠/ ٤٢٩).

(٢) نظرات نقدية حول بعض ما كتب في تحقيق مناط الكفر في باب الولاء والبراء، عبدالله بن صالح العجيري، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

ليست من الكفر المخرج من الملة [1]، فمناط التكفير بالموالاة للكافرين أو المعاداة للمؤمنين هو ما كان متعلقاً بالدين، فإذا وجد مسلمٌ يوالي الكفار محبة ونصرة لدينهم، ويعادي المؤمنين كرهاً للإسلام، فهذا كفر وردة والعياذ بالله؛ فالمناط المكفر في هذا المقام، هو: معاداة المسلم لإسلامه، أو موالاة الكافر على كفره؛ لتضمن ذلك الرضا بالكفر والسخط على الإسلام [2]؛ أما إذا كان لا يحمله على ذلك بُغضُه للمسلمين، ولا حبُّه للمشركين، وليس رغبة في ظهور أهل الكفر على أهل الإسلام، ولا حباً لدينهم، ونحو ذلك، وإنما حمله على ذلك مصالح شخصية، أو مصالح دنيوية، ونحو ذلك، فهذا ليس كفراً [3]، فالذي ينصر الكافر لدنيا لا لدينه مثل أن ينصر الكافر أو يعينه في قتاله للمسلمين أو يدله على شيء من مخططات المسلمين لا لدين الكافر، و إنما لدنيا يريدها من الكافر، مثل أن يكون له تجارة في بلادهم أو يكون له أهل في بلادهم، فيريد أن يكون له يد عندهم، وهو لا يحبهم، و لا يحب دينهم، و لا يحب انتصار دينهم، و

---

(١) بحث: الولاء والبراء وأحكام التعامل مع الكفار والمبتدعة والفساق، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٩)، ص (١٩٠).

(٢) الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه، تأليف: عبدالرزاق بن طاهر أحمد معاش (٤٥٣، ٤٦٠).

(٣) ينظر: دروس في شرح نواقض الإسلام، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٦٠، ١٧٢)؛ وبحث: الولاء والبراء وأحكام التعامل مع الكفار والمبتدعة والفساق، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٩)، ص(١٩٠)؛ والإلمام بشرح نواقض الإسلام، إعداد عبدالعزيز الريس (٢١٠)؛ ومعجم التوحيد، إبراهيم بن سعد أبا حسين (٣/٥٥٤)؛ وشرح نواقض الإسلام، حمد بن عبدالله الحمد (٧)؛ وأطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ.د. خالد بن علي المشيقح (٨٥)؛ وموجز الكلام في شرح نواقض الإسلام، يوسف بن علي الطائي (٣٦)؛ وحقيقة الولاء والبراء في الكتاب والسنة، د. عصام السناني (٣٢٠).

ليس كارها لدين الإسلام، ولا محباً لانهزام المسلمين، فكل هذه المعاني لم تقم فيه، لكنه عاونهم في شيء ما من أجل دنيا له، مثل تجارة أو أهل أو نحو ذلك، فهذا لا يكون ناقضا من نواقض الإسلام، وفعله إثم ومحرم وأمر عظيم لكنه لا ينتقض به إسلامه [١].

جاء في مطالب أولي النهى: «قال: الشيخ تقي الدين: وكذا من اعتقد أن الكنائس بيوت الله، أو أنه يعبد فيها، أو أن ما يفعل اليهود والنصارى عبادة لله وطاعة له ولرسوله، أو أنه يحب ذلك، أو يرضاه فهو كافر؛ لأنه يتضمن اعتقاده صحة دينهم، وذلك كفر، أو أعانهم على فتحها؛ أي: الكنائس، وإقامة دينهم، واعتقد أن ذلك قربة أو طاعة، فهو كافر؛ لتضمنه اعتقاد صحة دينهم» [٢].

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [٣]: «أولياء جمع ولي، والمراد بالولاية هنا: المناصرة والمعاونة، لكن لو قال قائل: هل من الولاية المحبة؟ الجواب: المحبة لا شك أنها وسيلة إلى المناصرة؛ لأن من أحب أحداً نصره...، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾، هذا تحذير شديد، ووعيد شديد على أن من تولاهم فإنه منهم، لكن هل هو منهم في الظاهر؟

---

(١) شرح نواقض الإسلام، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، منشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، للرحيباني (٦/٢٧٥)، الناشر: المكتب الإسلامي، ط. الثانية: ١٤١٥هـ.

(٣) سورة المائدة، الآية [٥١].

نعم، هو منهم في الظاهر لا شك؛ بسبب المعاونة والمناصرة، لكن هل يكون منهم في الباطن؟ نقول: يمكن، قد تكون هذه المناصرة والمعاونة تؤدي إلى المحبة، ثم إلى اتباع الملة؛ لأن الذنوب يجر بعضها بعضاً، أما ظاهراً فالأمر ظاهر، إذاً: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ في الظاهر، وربما يؤدي ذلك إلى الباطن، ومشاركتهم في عقائدهم، وفي أعمالهم وأخلاقهم، ...، فالموالاة التي نهى الله عنها، هي: موالاتهم في المناصرة والمعاونة بما يعود عليهم بالنفع، فهذا حرام»[1].

وسئل الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، ونص السؤال: «أفيدك بأني قد قرأت كتابًا بعنوان: (مسائل العذر بالجهل)[2] تحت إشراف فضيلتكم، وفهمت منه أن إعانة الكفار بالقتال معهم ضد المسلمين لا تكون كفراً، إلا بشرط الرغبة في إظهار دينهم، أو المحبة لدينهم، وعبّر أن القتال مع الكفار ضد المسلمين -حمية ولمصالح دنيوية- ليس كفراً مخرجاً من الملة، فهل هذا الفهم صحيح؟ وهل قال به أحد من أهل السنة؟ وما رأي فضيلتكم في اشتراط ما ذُكِر أعلاه للحكم بتكفير من قاتل المسلمين مع الكافرين» أ.هـ. فأجاب الشيخ بقوله: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فلا شك أن أسباب مظاهرة بعض الكافرين على بعض المسلمين تختلف، فتارة يكون الباعث بغض الإسلام

---

(١) تفسير سورة المائدة، لابن عثيمين (٩/٢، ١٠، ١١، ١٨)، الناشر: دار ابن الجوزي، ط. الثانية: ١٤٣٥هـ.

(٢) الكتاب المقصود، عنوانه: "الجهل بمسائل الاعتقاد وحكمه"، تأليف: عبدالرزاق بن طاهر أحمد معاش (٤٦١)، الناشر: دار البينة، الرياض، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

وأهله، وتارة يكون عن رغبة في مصلحة أو رهبة من ضرر يلحق بهذا المظاهر، ومعلوم أنه لا يستوي من يحب الله ورسوله ودينه -ولكن حمله غرض من الأغراض على معاونة بعض الكفار على بعض المسلمين- لا يستوي هذا ومن يبغض الإسلام وأهله، وليس هناك نص بلفظ المظاهرة أو المعاونة يدل على أن مطلق المعاونة ومطلق المظاهرة يوجب كفر من قام بشيء من ذلك لأحد من الكافرين، وهذا الجاسوس الذي يجس على المسلمين وإن تحتم قتله عقوبة فإنه لا يكون بمجرد الجس مرتداً، ولا أدل على ذلك من قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه فقد أرسل لقريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، ولما أطلع اللهُ نبيَه على ما حصل من حاطب، وعلى أمر المرأة التي حملت الكتاب عاتب النبيُّ صلى الله عليه وسلم حاطباً على ذلك، فاعتذر بأنه ما حمله على ذلك إلا الرغبة في أن يكون ذلك يداً له عند قريش يحمون بها أهله وماله، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره، ولم يأمره بتجديد إسلامه، وذكر ما جعل الله سبباً لمغفرة الله له، وهو شهوده بدراً، وهذه مظاهرة، فإطلاق القول بأن مطلق المظاهرة -في أي حال من الأحوال- يكون ردة ليس بظاهر؛ فإن المظاهرة تتفاوت في قدرها ونوعها تفاوتاً كثيراً، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾(١)، لا يدل على أن أي تولٍّ يوجب الكفر، فإن التولي على مراتب، كما أن التشبه بالكفار يتفاوت وقد جاء في الحديث: **(من**

(١) سورة الممتحنة، الآية [١].

تشبه بقوم فهو منهم)، ومعلوم أنه ليس كل تشبه يكون كفراً، فكذلك التولي، والحاصل أن ما ورد في الكتاب المسؤول عنه من التفصيل هو الصواب عندي، والله أعلم»(١).

ومن الأدلة على أن هذه الإعانة غير مكفرة: ما حكاه الإمام الطحاوي من إجماع أهل العلم على أن الجاسوس المسلم لا يجوز قتله، ومقتضى ما حكاه الطحاوي أنه غير مرتد؛ فإذا ثبت أن ما فعله حاطب ليس ردة - وهذا مجمع عليه - مع أن رسالته لو وصلت إلى مشركي مكة لاستعدت قريش للحرب، وهذا خلاف ما قصد إليه النبي ﷺ من تعمية خبر غزوه لهم، فما عمله حاطب إعانة عظيمة للكفار في حربهم للمسلمين في غزوة من أهم الغزوات الفاصلة في الإسلام - إذا ثبت ذلك علم أن الإعانة لا تكون كفرا حتى يكون الحامل عليها محبة الكفار والرغبة في انتصارهم على المسلمين (٢).

القول الثالث: التفريق بين المظاهرة والإعانة؛ فالمظاهرة، بأن يكون لهم ظهراً وردءاً يدفع عنهم الغوائل، هذا كفر؛ أما الإعانة ففيها استفصال، فمطلق الإعانة للمشرك على المسلم غير مكفرة، إلا أن يعين قاصداً ظهور الكفر على الإسلام، فالتولي معناه: محبة الشرك وأهل الشرك، ومحبة الكفر وأهل الكفر؛ أو نصرة الكفار على أهل الإيمان، قاصداً ظهور الكفر على الإسلام، فضابط

---

(١) الفتوى موجودة في موقع الشيخ على الشبكة العنكبوتية، ورقمها (٦٢٥٩)، وتاريخها: ١٤٣٦/١١/٧هـ.

(٢) بحث: الولاء والبراء وأحكام التعامل مع الكفار والمبتدعة والفساق، د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٩)، ص (١٩٠)؛ وينظر: أطايب الزهر شرح نواقض الإسلام العشر، أ. د. خالد بن علي المشيقح (٨٦).

التولِّي للكفار والمشركين -الذي هو كفر أكبر-: محبة الشرك وأهل الشرك (لاحظ العطف بالواو)؛ يعني: يحب الشرك وأهل الشرك جميعاً مجتمعة؛ أو أن لا يحب الشرك، ولكن ينصرُ المشركَ على المسلم، قاصداً ظهور الشرك على الإسلام، وهذا الكفر الأكبر الذي إذا فعله مسلم صار رِدَّة في حقه والعياذ بالله تعالى [1]، وعلى هذا القول تكون مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين التي ذكرها العلماء، ومنهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في النواقض العشر بقوله: «(الناقض الثامن): مُظاهرة المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدَّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»أ. هـ. هذا الناقض مبني على أمرين: الأول: هو المظاهرة، والثاني: الإعانة، حيث قال: "مظاهرة المشركين وإعانتهم على المسلمين"، والمظاهرة: أن يكون ظهراً للمشركين والكفار يدفع عنهم، ويدرأ عنهم ما يأتيهم، ويدخل معهم ضد المسلمين في حال حربهم لهم؛ بأن يجعل طائفة من المسلمين أنفسهم ظهراً للمشركين، يحمونهم ظهورهم وبيضتهم، وينصرونهم على المسلمين، فهذا مظاهرة بمعنى أنه صار ظهراً لهم، وهذا من نواقض الإسلام التي بينها أهل العلم؛ أما الثاني، فالإعانة: إعانة المشرك، وضابطه الإعانة: أن يعين قاصداً ظهور الكفر على الإسلام، لأن مطلق الإعانة غير مكفر؛ لأن حاطب رضي الله عنه حصل منه إعانة للمشركين على الرسول ﷺ بنوع من العمل: إعانة

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٠).

بكتابة بسر الرسول ﷺ ومسيره إليهم، لكن النبي ﷺ استفصل منه، فأجاب حاطب بأنه لم يكن قصده ظهور الكفر على الإسلام؛ فدلَّ على أن الإعانة تحتاج إلى استفصال، والله جل وعلا قال في مطلق العمل هذا: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾، ولكن ليس بمكفر إلا بقصد [١]؛ فدلت هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾، مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب، أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان؛ لأن الله ناداهم باسم الإيمان، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مع إثباته جل وعلا أنهم ألقَوا المودة [٢]؛ فدخل حاطب في المخاطبة باسم الإيمان ووصفه به، وتناوله النهي بعمومه، وله خصوص السبب الدال على إرادته، مع أن في الآية الكريمة ما يشعر أن فعل حاطب نوع موالاة، وأنه أبلغ إليهم بالمودة، وأن فاعل ذلك قد ضل سواء السبيل، لكن قوله: **(صدقكم، خلوا سبيله)** ظاهر في أنه لا يكفر بذلك، إذا كان مؤمنا بالله ورسوله، غير شاك، ولا مرتاب، وإنما فعل ذلك لغرض دنيوي؛ ولو كفر لما قال: "خلوا سبيله"، ولا يقال، قوله ﷺ: **(ما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم)**، هو المانع من تكفيره، لأنا نقول: لو كفر لما بقي من حسناته ما يمنع من لحاق الكفر وأحكامه؛ فإن الكفر يهدم ما قبله، فالكفر محبط

---

(١) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٢٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٣).

للحسنات والإيمان بالإجماع، فلا يظن هذا [١].

قال ابن العربي - رحمه الله تعالى -: «من كثر تطلعه على عورات المسلمين، وينبه عليهم، ويعرف عدوهم بأخبارهم، **لم يكن بذلك كافرًا، إذا كان فعله لغرض دنيوي، واعتقاده على ذلك سليم**، كما فعل حاطب بن أبي بلتعة حين قصد بذلك اتخاذ اليد، ولم ينو الردة عن الدين»[٢]؛ **وقال ابن تيمية** -رحمه الله تعالى-: «وقد تحصل للرجل موادتهم، لرحم أو حاجة فتكون ذنبا ينقص به إيمانه ولا يكون به كافراً؛ كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كاتب المشركين ببعض أخبار النبي ﷺ، وأنزل الله فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾؛ وكما حصل لسعد بن عبادة لما انتصر لابن أُبيّ في قصة الإفك»[٣].

وقد سئل **الشيخ سليمان بن عبدالله** بن الشيخ محمد عن واقعة معينة، وهل هي موالاة نفاق أو موالاة كفر، فأجاب: «إن كانت الموالاة مع مساكنتهم في ديارهم، والخروج معهم في قتالهم، ونحو ذلك، فإنه يحكم على صاحبها بالكفر...؛ وإن كانت الموالاة لهم في ديار الإسلام إذا قدموا إليهم، ونحو ذلك، فهذا عاص آثم متعرض للوعيد؛ وإن كان موالاتهم لأجل دنياهم، يجب عليه

---

(١) الدرر السنية (١/٤٧٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٢٥)؛ وأورده القرطبي بنصه في تفسيره: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٣٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٢).

من التعزير بالهجر والأدب ونحوه ما يزجر أمثاله؛ **وإن كانت الموالاة لأجل دينهم**، فهو مثلهم، ومن أحب قوماً حشر معهم»[١].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) الدرر السنية (١٥٩/٨).



الرسالة الثالثة
من الرسائل الثلاث
التي سبقت الأصول الثلاثة

[الموضوع الثالث]

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ الله لِطَاعَتِهِ-: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ -مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ-: أَنْ تَعْبُدَ الله وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، وَبِذَلِكَ أَمَرَ الله جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] **وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ.**

وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ الله بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ الله بِالْعِبَادَةِ.

وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْه: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: **(اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ الله لِطَاعَتِهِ -: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ -مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ-: أَنْ تَعْبُدَ الله وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ).**

الشرح الإجمالي

(اعلم) اجزم وتيقن **(أرشدك الله)**، أي: وفقك وهداك **(لطاعته: أن الحنيفية)** التي أمر الله نبيه، وأمر الناس أن يكونوا عليها، والتي هي **(ملة)**، وطريقة إمام الحنفاء، (**إبراهيم**) عليه السلام، وملة من جاء بعده من الرسل من أولاده، هي: **(أن تعبد الله وحده)** لا شريك له، بأن تكون: **(مخلصاً)**، أي: مفرداً **(له)** القصد في **(الدين)**، ومخلصاً له العمل من كل شائبة شرك تَجْعَلُ فيه لغير الله نصيباً، فالحنيفية: أن تجمع بين الأمرين: العبادة والإخلاص [١].

الشرح التفصيلي

تقدم ذكر الرسالتين الأولى والثانية، المتضمنتان وجوب تعلم المسائل الأربع، والمسائل الثلاث، والمستفتحتان بقول المصنف: (اعلم رحمك الله)، وهما رسالتان مستقلتان للمصنف جعلهما بعض تلاميذه بين يدي رسالة " ثلاثة الأصول وأدلتها"، وتتابع النقلة على إثباتها بين يديها لحسن المناسبة [٢]، وهذه الرسالة الثالثة هي: أيضاً تمهيدٌ للأصول الثلاثة، وبيان لدين الإسلام في الجملة، فإن دين الإسلام هو ملة إبراهيم [٣].

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: **(اعلم أرشدك الله لطاعته):** وهذا فيه تلطّف ثالث منه -رحمه الله تعالى-؛ حيث دعا للمتعلم بقوله: (اعلم أرشدك الله)، وهكذا ينبغي على المعلمين أن يكونوا متلطفين بالمتعلمين؛ لأن التلطف

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٤٧)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٢).

(٢) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥)؛ وينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٠).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٥).

والتعامل معهم بأحسن ما يجد المعلم هذا يجعل قلبَ المتعلم قابلاً للعلم، مُنفتحاً له، مُقبلاً عليه(١)، ثم ذكر المصنف: **(أن الحنيفية ملة إبراهيم)**: فالحنيفية التي كلٌ يتمنى الانتساب إليها، وكلٌ يسعى إلى الاتصاف بها: هي ملة إبراهيم، وهي التي من رغب عنها فقد سفه نفسه، كما قال الله جل وعلا: ﴿**وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ**﴾(٢)، أي: خسرها وأهملها؛ والدليل على أن ملة إبراهيم هي الحنيفية قوله تعالى: ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(٤)، فالحنيفية هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهي دين الأنبياء جميعاً، وهي التي جاء بها النبي ﷺ مجدداً لها وداعياً إليها، وخُصت الإضافة بإبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أكمل الخلق تحقيقاً لها مع تقدم أبوته على نبينا محمد ﷺ المشارك له في كمال التحقيق للحنيفية، فأكمل الخلق رتبة وأعلاهم درجة في تحقيق الحنيفية هما الخليلان عليهما الصلاة والسلام، فإبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أكمل الخلق في تحقيق التوحيد، حتى رقى إلى مرتبة الخلة، وشاركه في تحقيقها نبينا محمد ﷺ؛ لكن لما كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباً للنبي محمد ﷺ في عمود نسبه ناسب اختصاص الإضافة إليه، فالنسبة للوالد أكمل من النسبة إلى الولد؛ فإذا قيل: الحنيفية دين إبراهيم، فلا يراد اختصاصه بها؛ بل هي دين الأنبياء جميعاً، لكن لما كان هو أعلاهم

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٥).

(٢) سورة البقرة، الآية [١٣٠].

(٣) سورة آل عمران، الآية [٩٥].

(٤) سورة النحل، الآية [١٢٠].

تحقيقاً لها مع تقدمه بالأبوة على نبينا محمد ﷺ المشارك له في تحقيقها اختصت بالإضافة إليه ؛ وأُضيفت إليه تبعاً لوقوعها كذلك في القرآن[١].

والحنيفية في الأصل مأخوذة من: الحنف، وهو: الميل[٢]، **قال ابن تيمية** -رحمه الله تعالى-: «الحنف: الميل عن الشيء بالإقبال على آخر، فالحنف هو إقبال القدم وميلها إلى اختها»[٣]، **وقد ذكر ابن القيم** -رحمه الله تعالى- أن تفسير الحنف بالميل هو تفسير بلازم اللفظ لا بموضوعه، وأن الحنف: الإقبال على الشيء، ولازمه الميل، قال: «ومن فسره بالمائل فلم يُفسره بنفس موضوع اللفظ، وإنما فسره بلازم المعنى، فإن الحنف هو الإقبال، ومن أقبل على شيء مالَ عن غيره، والحنف في الرجلين هو إقبال إحداهما على الأخرى، ويلزمه ميلها عن جهتها»[٤]؛ وعليه يكون معنى الحنيف: المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد[٥]، والحنيفية: الملة المائلة عن الشرك، المبنية على الإخلاص لله عز وجل[٦].

ولما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أن الحنيفية هي ملة إبراهيم، بيَّن حقيقتها بقوله: **(أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين)**، وهذا القول منه بيانٌ

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١١).

(٢) جاء في لسان العرب (٩/٥٧): "حنف عن الشيء: مال"؛ وفي معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢٦٧): "الحاء والنون والفاء أصل مستقيم، وهو الميل".

(٣) مجموع الفتاوى (٩/٣١٩).

(٤) جلاء الأفهام، لابن القيم، تحقيق: زائد النشيري (٣٠٥)، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي. وينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١١).

(٥) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٢).

(٦) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٣٧).

جامع يندرج فيه ما يراد بها شرعاً ؛ فإن للحنيفية في الشرع معنيان : **أحدهما** : عام ، وهو الإسلام ؛ **والآخر**: خاص ، وهو الإقبال على الله بالتوحيد ، ولازمه الميل عن الشرك بالبراءة منه ، فالمذكور في قول المصنف : (أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين) ، هو مقصود الحنيفية ، ولبها المحقق وصفها الجامع للمعنيين المذكورين[١] ، فحقيقة ملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي : التوحيد ؛ لأنه هو الذي تركه فيمن بعده ، حيث قال جل وعلا : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾[٢] ، وهذه الكلمة : ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ اشتملت على نفي في الشق الأول ، وعلى إثبات في الشق الثاني ، فتبرأ من المعبودات المختلفة ، وأثبت أنه عابد للذي فطره وحده ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد : (لا إله إلا الله) ، فـ (لا إله) مشتملة على البراءة من كل إله عُبد ، و(إلا الله) إثباتٌ للعبادة ؛ أي : إثبات لعبادة الله وحده دونما سواه ؛ ولهذا قال جل وعلا بعدها : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٣] ، يعني : لعلهم يرجعون إليها ، وعقبُ إبراهيم عليه السلام منهم : العرب ، ومنهم : أتباع الأنبياء ، فهو أبو الأنبياء ، أي : أنه أبٌ لأقوام الأنبياء ، وهذه الكلمة هي التي أبقاها إبراهيم عليه السلام في عقبه ، وهذا مراد المصنف -رحمه الله تعالى- بما ذكر[٤] ، فالدين الحنيف : هو الإخلاص الذي

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالله العصيمي (١١).

(٢) سورة الزخرف ، الآيتان [٢٦-٢٧].

(٣) سورة الزخرف ، الآية [٢٨].

(٤) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٥).

ترجمته كلمة الحق: لا إله إلا الله [١]، والحنيف: هو الذي أقبل على الله وحده بالتوحيد، وأعرض عمَّا سواه [٢]، وأخلص له العبادة؛ كإبراهيم عليه السلام وأتباعه.

* * * * *

---

(١) مجموع الفتاوى (٩/٣١٩).

(٢) المصدر السابق، وينظر: جلاء الأفهام، لابن القيم (٣٠٥).

قال المصنف رحمه الله: **(وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[(١)]، ومعنى يعبدون: يوحدون)**.

الشرح الإجمالي

(**وبذلك**)، أي: بالعبادة الخالصة لله (**أمر الله جميع الناس**) من ذكر وأنثى؛ فأمرهم بالتوحيد وإخلاص العبادة له، (**وخلقهم لها**)، أي: لعبادته وحده لا شريك له؛ (**كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**)، أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي لا لاحتياجي إليهم، (**ومعنى يعبدون**) في الآية الكريمة، أي: (**يوحدون**) بأن يفردوا العبادة لله، ويخصوها بها [(٢)].

الشرح التفصيلي

بين المصنف فيما سبق أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام هي: عبادة الله جل وعلا وحده لا شريك له، بإخلاص الدين له [(٣)]، ثم بعد أن بين أن العبادة المأمور بإيقاعها هي أن تكون على وجه الحنيفية؛ اتباعاً لإبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، ذكَرَ أن جميع الناس مأمورون بالعبادة، ومخلوقون لها، واستدل على ما ذكر بقوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**، أي: إلا من أجل عبادة الله وحده، وهذا يدل على أن الحكمة من خلق الثقلين هي عبادة الله، وإذا كانت هذه هي حكمة خلقهم ففي ضمن ذلك

---

(١) سورة الذاريات، الآية [٥٦].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٤٨).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٣).

الدلالة على أنهم مأمورون بها ؛ فالآية دالة على المعنيين اللذين ذكرهما المصنف ، وهما : (الأمر بها ، والخلق لها) ؛ فـ(الخلق) : صريح لفظ الآية ، المبين أن الجن والإنس مخلوقون للعبادة ؛ و(الأمر) : لازم لفظها ؛ فإنهم إذا كانوا مخلوقين للعبادة ، فهم مأمورون بها[١] ، فكون الله جل وعلا أخبر الخلق بأنه إنما خلقهم ليعبدوه ، يدل على أنه يجب عليهم أن يعبدوه وحده لا شريك له ، وإلاّ لما حققوا ما من أجله خلقوا ، فهو دال على الأمرين : على أن هذا هو الغاية من الخلق ، وعلى أن الله أمرهم بعبادته وحده سبحانه وتعالى[٢] ؛ فإن ما خُلقنا لأجله لا يتحقق إلا بأمرنا به[٣].

وهذه الآية أشكلت على كثير من المتكلمين إشكالاً لم يتخلصوا منه ، وكان استشكالهم من جهة أن الآية تضمنت الإخبار عن خلقهم للعبادة ، والواقع أن أكثرهم لا يَعْبُد ، فأين صدق الخبر ، والجواب عن هذا : أنه ليس المقصود الإخبار بعبادتهم ؛ كما أخبر بخلقهم ، وإنما المقصود أنه خلقهم وهيأهم للعبادة ، وأمرهم أن يعبدوه ، فالمقصود بيان الحكمة والغاية من الخلق[٤] ، فاللام هنا لام التعليل وليست لام العاقبة والصيرورة ؛ لأنه من المعلوم أن أكثر الخلق ليسوا على هذا الأمر ، ولم يحققوا هذه الغاية ، قال تعالى : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالله العصيمي (١١).

(٢) شرح الأصول الثلاثة ، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٦).

(٣) الشرح الصوتي : (تعليقات على ثلاثة الأصول) ، صالح بن عبدالله العصيمي ، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٤) المحصول من شرح ثلاثة الأصول ، عبدالله بن محمد الغنيمان (٦٤).

﴿ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[١]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾**[٣]، وكل هذه الأدلة تدل على أن اللاّم هنا لام التعليل الغائية، وليست لام التعليل الفاعلة، أي: التي هي للعاقبة والصيرورة، وقد جاء الخبر عن هذه الغاية بأسلوب النفي والاستثناء الذي يفيد الحصر، وأنه لم يخلقهم لشيء آخر، وإنما خلقهم لهذه الغاية [٤].

وفسَّر المصنف -رحمه الله تعالى- لفظ العبادة الوارد في الآية بالتوحيد، فقال: (**ومعنى يعبدون: يوحدون**)، وقد جاء عن السلف -رحمهم الله تعالى- عدّة تفاسير لقوله تعالى: **﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾**، منها [٥]:

١) أن معنى: **﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾**، أي: إلا لآمرهم بعبادتي، روي عن علي رضي الله عنه، ومجاهد، وهو الذي عليه جمهور المفسرين، وقد نصر هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- [٦]، وعليه يكون المعنى: إلا لآمرهم بعبادتي على ألسنة رسلي، وأمتحنهم فيظهر المحسن منهم وغير المحسن [٧].

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١١٦].

(٢) سورة الشعراء، الآية [٨].

(٣) سورة سبأ، الآية [١٣].

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٦).

(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٤٢٥/٧)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٥٠٧/١٩)؛ ومختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (٨٩١/٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٥١/٨-٥٢).

(٧) العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِس الشَّنْقِيطِي فِي التَّفْسير، تحقيق: خالد السبت (٦٦/٣)، الناشر: دار عالم الفوائد، ط. الثانية: ١٤٢٦هـ.

٢) أن المعنى: إلا ليقروا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً، أي: يخضعوا لي ويتذللوا، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، واختاره ابن جرير الطبري -رحمه الله تعالى-.

٣) أن المعنى: إلا ليعرفوني؛ لأنه لو لم يخلقهم لم يُعرف وجوده وتوحيده، ورده شيخ الإسلام ابن تيمية من جهة: أن ما حصل لهم من المعرفة ليس هو الغاية التي خلقوا لها؛ وبأن مجرد الإقرار بالله مع الشرك لا ينفع.

٤) أن المعنى: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء.

وتفسير (يعبدون) بـ (يوحدون) كما ذكره المصنف، له وجهان [1]:

أحدهما: أنه من تفسير اللفظ بأخص أفراده تعظيماً له، فإن أعظم العبادة هي توحيد الله جل جلاله؛ فالتوحيد آكد أنواع العبادة، وأول ما يدخل وأولى ما يدخل هو التوحيد؛ لأنه هو غاية الوجود، وهو أصل العبادة الذي لا تصح إلاّ به، فإن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، فإذا دخلها الشرك أفسدها، ولم تكن عبادة، فمن عبد مع الله غيره، فإنه لا يُعدُّ عابداً لله، وإذا فُسّر اللفظ بأخص أفراده وأعلاها، فإن ذلك يعد تفسيراً صحيحاً يُراد به الإعلام بعلو قدر هذا الفرد المذكور.

والآخر: أنه من تفسير اللفظ بما وضع له شرعاً؛ فإن العبادة إذا أُطلقت في

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٢).

خطاب الشرع فالمراد بها التوحيد، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل ما ورد في القرآن من العبادة فمعناه التوحيد)[1]، وكان يقول في معنى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾: (وحدوا ربكم)[2]، فيصح أن يكون تفسير المصنف للعبادة بالتوحيد مردوداً إلى تفسير اللفظ العام بفرد من أفراده، كما في المعنى الأول؛ أو إلى تفسير اللفظ بما وُضع لـه شرعاً.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (١/ ١٦).

(٢) المصدر السابق، وينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (١/ ٣٦٣)؛ وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ١٩٥).

قال المصنف رحمه الله: **(وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ، وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ: الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)**.

الشرح الإجمالي

(وأعظم ما أمر الله به) في كتابه، وأعظم ما أمر به رُسُلهُ أممَهم هو: **(التوحيد)**؛ بإفراد الله وحده بالعبادة مخلصاً له الدين، و **(هو)** أي: التوحيد الذي بُعثت الرسل لتحقيقه، ووقع فيه النزاع والخصام بين الرسل وأقوامهم: **(إفراد الله بالعبادة)**؛ كالذبح، والنذر، والدعاء، فلا تصرف أي نوع من أنواعها لغير الله، **(و)** على العبد أن يعلم أن **(أعظم ما نهى)** الله **(عنه)** في كتابه، وأعظم ما نهت عنه الرسل هو **(الشرك)** بالله، **(و)** تعريف الشرك: **(هو: دعوة غيره معه)**، أي: طلب وسؤال غير الله مع الله سبحانه، واتخاذ الند معه، ومساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله[1].

الشرح التفصيلي

لما كانت الحنيفية مركبة من الإقبال على الله بالتوحيد، والميل عن الشرك؛ كمُل أن يذكر أهميتهما، وحقيقة كل واحد منهما، وبدأ ببيان أهميتهما[2]، فقال: **(وأعظم ما أمر الله به: التوحيد)**، فلا شيء أعظم منه، وعليه يكون قبول الأعمال، وبه تكون النجاة يوم القيامة[3].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د.عبدالمحسن القاسم (٥٠).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٣).

(٣) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٧٢).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: «التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه؛ فأما أعداؤه فينجيهم من كُرب الدنيا وشدائدها، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾(١)؛ وأما أولياؤه فينجيهم به من كُربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، فما دُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد؛ ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرَبِ العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد، فهو مَفْزَعُ الخليقة، ومَلْجؤها، وحصنها وغياثها»(٢).

ثم بعد أن بين المصنف -رحمه الله تعالى- أهمية التوحيد من جهة أنه أعظم ما أمر الله به، عرَّفه بقوله: **(وَهُوَ: إِفْرَادُ الله بِالْعِبَادَةِ)**.

والتوحيد له معنيان:

أحدهما عام: وهو إفراد الله جل وعلا بحقه، وحق الله نوعان: حقٌ في المعرفة والإثبات؛ وحقٌ في القصد والطلب، وينشأ من هذين الحقين: توحيد الله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، فالواجب على العبد في توحيد الله جل وعلا ثلاثة أنواع: توحيد ربوبية، وتوحيد ألوهية، وتوحيد أسماء وصفات، والدليل على أن إفراد الله بحقوقه يسمى توحيداً، قوله تعالى: ﴿**قُلْ**

---

(١) سورة العنكبوت، الآية [٦٥].

(٢) الفوائد، لابن القيم (١/٥٢).

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[١]؛ فإنَّ حذفَ المتعلق عند علماء البيان دالٌ على العموم، أي: أحد في ربوبيته، وأحد في ألوهيته، وأحد في أسمائه وصفاته، فصح وجود معنى التوحيد على الإطلاق العام[٢].

والثاني خاص: وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وهذا المعنى هو المعهود شرعاً، فإن اسم التوحيد إذا أُطلق في خطاب الشرع يُراد به توحيد العبادة؛ ولأجل هذا اقتصر عليه المصنف، فخصه بالذكر دون بقية حقوق الله، فإذا أُطلق التوحيد في خطاب الشرع أُريد به توحيد الإلهية المتعلق بإفراد العبادة لله جل وعلا[٣]؛ كما في حديث جابر رضي الله عنه في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (فأهلَّ بالتوحيد)[٤]، يعني: أهلَّ بتوحيد العبادة؛ لأنه عليه الصلاة والسلام قال: **(لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك)**، وهي تتعلق بإفراد الله جل جلاله بالعبادة؛ وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: **(إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل)**[٥]، وفي الرواية الأخرى: **(فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى)**[٦]، أي: توحيد العبادة، وغير ذلك من

---

(١) سورة الإخلاص، الآية [١].

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٣).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، برقم (١٤٥٨)؛ ورواه مسلم، في كتاب الإيمان، برقم (٣١).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، برقم (٧٣٧٢).

الأدلة التي جاء فيها تفسير التوحيد بتوحيد العبادة[١]؛ فيكون قول المصنف: (التوحيد: إفراد الله بالعبادة)، أي: في المعهود الشرعي.

ولما بين المصنف أهمية التوحيد، وبين حقيقته، أعقبه ببيان ضده، فقال: **(وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عنه: الشِّرْكُ، وهو: دعوةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)**، فكما أن التوحيد أعظم ما أمر الله به، فإن ضده وهو الشرك أعظم ما نهى الله عنه، والشرك يطلق في الشرع على معنيين:

أحدهما عام: وهو: تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائص الله جل جلاله؛ بأن يتخذ العبد لله نداً يسويه به، ويشمل ذلك: أن يجعل لله نداً في ألوهيته؛ أو يجعل له نداً في ربوبيته؛ أو أن يجعل له نداً في أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، وقال تعالى مخبراً عن المشركين أنهم يقولون لآلهتهم في النار: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٣].

وفي الحديث أن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **(أن تجعل لله نداً وهو خلقك)**[٤].

---

(١) ينظر: الشرك في القديم والحديث، تأليف: أبوبكر محمد زكريا (١/ ٤٠-٤٣)، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الرابعة: ١٤٣٦هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٢].

(٣) سورة الشعراء، الآيات [٩٦ — ٩٨].

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، برقم (٤٤٧٧)؛ ورواه مسلم في الصحيح، كتاب الإيمان، برقم (٨٦).

والثاني خاص: وهو: جعل شيء من العبادة لغير الله[(١)] ؛ بأن يجعل لله نداً في ألوهيته، يدعوه كما يدعو الله، ويسأله الشفاعة كما يسأل الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويحبه كما يحب الله[(٢)]، وهذا المعنى الخاص للشرك، هو المعنى المعهود شرعاً، المتبادر من كلمة (الشرك) إذا أطلقت في خطاب الشرع[(٣)]، فإن اسم الشرك في الشرع يراد به الشرك المتعلق بالعبادة؛ ولهذا اقتصر عليه المصنف فقال: «وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو: دعوة غيره معه»[(٤)] ؛ أي: دعاء غير الله مع الله سبحانه، فقول المصنف -رحمه الله تعالى- في تعريف الشرك هنا: (وهو دعوة غيره) ؛ أي: وهو عبادة غيره معه، وهذا هو المعنى الخاص للشرك كما تقدم، فالعبادة يُعبر عنها بالدعاء، فقوله: (وهو: دعوة غيره معه) بمنزلة قولنا: هو عبادة غير الله معه، فهذا المعنى هو المعهود شرعاً؛ فيشمل صرف كل نوع من أنواع العبادة لغير الله جل وعلا، من الأعمال الظاهرة والباطنة[(٥)] ؛ فتفسير المصنف -رحمه الله تعالى- للتوحيد، وللشرك، تفسير لهذين اللفظين بأعظم أفرادهما، وهما الفردان المذكوران في خطاب الشرع، فليس تعريفه

(١) وهذا يُخرج أفعال العباد التي هي من جنس الأحكام القدرية: كالأكل والشرب، فتختص الأفعال هنا بالأفعال التي يراد بها التقرب دون غيرها. ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٤).

(٢) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (٥٨)، المؤلف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.

(٣) المصدر السابق؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٤).

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٤).

(٥) المصدر السابق؛ وينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (١٨).

ناقصاً كما توهمه بعض الشراح[(١)]، بل هو تعريف صحيح جارٍ على وفق الخطاب الشرعي؛ فالتوحيد إذا أطلق في الشرع أُريد به: إفراد الله بالعبادة، والشرك إذا أطلق في الشرع أريد به: دعوة غير الله معه، وهذان اللفظان يقعان على معنى أوسع، لكن اقتصار بعض المصنفين على فرد من الأفراد متابعة لخطاب الشرع فيه إعلام لجلالة قدر هذا الفرد المذكور دون سائر الأفراد [(٢)].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٥).

جاء في شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٤٢)، عند شرح قول المصنف: «وهو دعوة غيره معه»، قال: «الشرك أعم من الدعوة، والدعاء نوع معين من أنواع العبادة، فلو قال: وعبادة غيره معه، لكان أولى وأشمل، ليشمل الدعاء وغير الدعاء، كالذبح والنذر وغير ذلك».

وأُجيب عن ذلك من وجوه:

الأول: أن المصنف عرّف الشرك في نسخة أخرى لثلاثة الأصول ، فقال: «وهو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة». أهـ. ينظر: الدرر السنية (١/١٥٧).

الثاني: أن معنى قوله: (وهو: دعوة غيره معه) بمنزلة قولنا: هو عبادة غير الله معه، فهذا المعنى هو المعهود شرعاً.

الثالث: «أن المصنف -رحمه الله تعالى- قَصَد تصحيح خطأ بيّن يتعلّق بأصل الدّين وقاعدته، وهو توحيد الإلهية؛ وذلك لوقوع الخلل الواضح فيه، وبرزَ هذا الخلل في أعظم صوره خطورة، وهو دعاء غير الله تعالى والاستغاثة به، فوضَّح مقصوده بما يتلائم مع المخاطبين وبه يفهمون المقصود». ينظر: المدخل لشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن سعد أبا حسين.

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٥).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾)**(١).

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن أعظم ما أمر الله به هو: التوحيد، وأنَّ أعظم ما نهى الله عنه هو: الشرك: **(قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾)**، أي: أفردوه جل وعلا بالعبادة، **(﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾)** في عبادته كائناً من كان، ولو كان شيئاً يسيراً(٢).

الشرح التفصيلي

هذه الآية تُسمى: آية الحقوق العشرة؛ لأنها اشتملت على حقوق عشرة: أحدها: الأمر بالتوحيد، ثم عطف عليه التسعة الباقية (٣)، وفي هذه الآية الكريمة: أمَرَ الله تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له؛ فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، و(شَيْئاً) نكرة في سياق النهي، فعمَّ الشرك قليله وكثيره؛ ثم إنه جل وعلا قرن العبادة التي فرضها على عباده بالنهي عن الشرك الذي حرمه، فدلَّ على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة، والمصنف أورد الآية دليلاً على أن أعظم ما أَمر به التوحيد وأعظم ما نهى عنه الشرك؛ ووجه كونها دالة على أعظمية الأمر بالتوحيد، وأعظمية النهي عن الشرك: أن الله ابتدأ بها في ذكر حقوق عشرة؛ فقال: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا،

---

(١) سورة النساء، الآية [٣٦].

(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٥٣).

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٤).

فقدم أولاً الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، ثم عطف عليه التسعة الباقية، وهذا يدل على أنهما أهم الحقوق أمراً ونهياً، فإنه لا يُبدأ إلا بالأهم؛ فتقديم ذكر الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك دال على أن التوحيد أوجب الواجبات وأعظم ما أمر الله به، وأن ضده، وهو الشرك أعظم المحرمات [١].

* * * * *

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٥)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٤).



رسالة
ثلاثة الأصول وأدلتها

الأَصْلُ الأول
معرفة العبد ربه

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ، التِي[١] يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ الله الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ[٢]، وَهُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وكل ما[٣] سِوَى الله عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

فَإِذَا[٤] قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟

فَقُلْ[٥]: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ[٦] آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ[٧]، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ[٨]، وَمَا بَيْنَهُمَا؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا

---

(١) في (خ): (الذي).

(٢) في (خ، ص): (بنعمته).

(٣) في (ص)، وحاشية ابن قاسم (٢٦): (وكل من).

(٤) في (خ، د): (وإذا).

(٥) في (د): زيادة: (أعرفه).

(٦) في (خ): (فمن).

(٧) في (ص، د): زيادة: (ومن فيهنَّ). وفي (خ): (وما فيهن).

(٨) في (م)، وحاشية ابن قاسم (٢٨): (وما فيهن).

تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]، و[1]قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وَالرَّبُّ، هُوَ: الْمَعْبُودُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ-رحمه الله تعالى-: «الخَالِقُ لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة».

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ؛ وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر[2]، وغير ذلك من أنواع الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا، كُلُّهَا للهِ تعالى؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١٨].

---

(١) في (خ): زيادة: (والدليل).

(٢) في (خ): زيادة: (والتوبة).

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا[1] لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ).

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

- **وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

- **ودليل الرجاء؛ قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

- **ودَلِيلُ التَّوَكُلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، **وقوله تعالى:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

- **وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

- **وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تعالى:** ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

- **وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

---

(١) في (خ): (فمن صرف من هذه الأشياء). وفي (د): (فمن صرف من ذلك شيئاً).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وفي الحديث: (إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله)(١).

- وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾(٢) [الفلق: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

- وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩].

- ودليل الذبح؛ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢- ١٦٣].

وَمِنَ السُنَّةِ: (لعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله).

- وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧](٣).

* * * * *

---

(١) سقط من (خ).

(٢) سقطت من (خ).

(٣) في (خ): زيادة: (ودليل التوبة قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

قال المصنف رحمه الله: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلاثَةُ، الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟ فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ)**.

الشرح الإجمالي

(فإذا) سُئلت، و **(قيل لك: ما)** هي **(الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان)** المكلف **(معرفتها)**، والعمل بمقتضاها؟ **(فقل)** له: الأصل الأول: **(معرفة العبد ربه)**، أي: معرفة العبد معبوده، وهذا أصل الأصول؛ حتى يعبد ربه على بصيرة ويقين، فيعرفه سبحانه بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، **(و)** قل له: الأصل الثاني: معرفة العبد **(دينه)** الذي تعبدنا به، وهو دين الإسلام الذي بُعث به رسوله ﷺ، **(و)** قل له: الأصل الثالث الواجب علينا معرفته هو: معرفة العبد **(نبيه محمداً ﷺ)**؛ فإنه الواسطة بيننا وبين الله في تبليغ الرسالة، ولا طريق لنا إلى ما تعبدنا به سبحانه إلا بما جاء به النبي ﷺ[1].

الشرح التفصيلي

هذا ابتداء من المصنف -رحمه الله تعالى-، لبيان المقصود من تأليف هذه الرسالة المباركة، فبعد الفراغ من ذكر المقدمات بدأ الشروع في مقصود هذه الرسالة، وهو: بيان الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان تعلمها، والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر على الأذى فيه؛ وهذه الأصول لا نجاة للعبد في الدنيا ولا في الآخرة إلا بمعرفتها وإتقانها، فبقدر ما يحصل له من هذه الأصول علماً وعملاً يحصل له مقابل ذلك من النجاة في الدنيا والآخرة؛ وما سبق ذلك من بيان المسائل الأربع الواجبات، وذلك بطلب العلم، والعمل به، والدعوة

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٥٤)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥).

إليه، والصبر على الأذى فيه، ثم المسائل الثلاث الواجبات، ثم ما يتصل بذلك يعتبر من المهمات التي هي موطئات لهذا المقصود[١].

ورسالة ثلاثة الأصول تبدأ من هنا، وما سبقها إما أن يكون من وضع المصنف بنفسه ذكرها من باب التوطئة والتمهيد لما سيأتي[٢]؛ أو هي: رسائل متفرقة للمصنف-رحمه الله تعالى- وضعها بعض تلامذته قبل ثلاثة الأصول كالتقدمة لها، كما قرَّر ذلك ابن قاسم في حاشيته[٣].

وقيل: إن رسالة ثلاثة الأصول تبتدئ من قول المصنف في المسألة السابقة: (اعلم أرشدك الله لطاعته...)[٤].

وقد ذكر المصنف فيما سلف: أن الحنيفية ملة إبراهيم: (أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين)؛ ثم بين: أن الله خلقنا للعبادة، وأمرنا بها؛ ثم ذكر هنا أنه يجب معرفة الأصول الثلاثة؛ لأنه لا يمكن القيام بحق هذه العبادة إلا بمعرفة ثلاثة أمور:

الأول: معرفة المعبود الذي تُجعل له العبادة.

والثاني: معرفة المبلغ عنه.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٩).

(٢) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٥٢)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د.عبدالعزيز الريس (٣).

(٣) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥)؛ وجاء في تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٥٤): «هذه بداية رسالة ثلاثة الأصول، وما سبقها هي: رسائل متفرقة للشيخ محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله تعالى- وضعها بعض تلامذته قبل ثلاثة الأصول كالتقدمة لها، كما حدثني بذلك الوالد والشيخ صالح بن غصون -رحمهما الله-».

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٠).

والثالث: معرفة صفة العبادة التي تُجعل له.

والأمر الأول: يتعلق به معرفة الله جل جلاله.

والثاني: يتعلق به معرفة الرسول ﷺ.

والثالث: يتعلق به معرفة الدين، وهذه هي الأصول الثلاثة.

فالأمر بها مندرج في كل أمر بالعبادة، فكل آية أو حديث فيها الأمر بالعبادة، فإنه يتضمن الأمر بهذه الأصول الثلاثة؛ لأن تحقيق العبادة موقوف عليها، فلا يمكن امتثال العبادة إلا بمعرفة هذه الأصول الثلاثة؛ فإذا قيل: ما دليل الأصول الثلاثة، فالجواب: كل آية أو حديث فيه الأمر بالعبادة؛ فإن الله تعالى أمرنا بالعبادة، ولا يمكن التحقق بالقيام بالعبادة إلا بمعرفة هذه الأصول الثلاثة، فالعبادة التي أمرنا الله بها في الكتاب والسنة لا تتحقق فيهما امتثالاً إلا بمعرفة المعبود الذي تُجعل له العبادة، ومعرفة المعبود لا تمكن إلا بمبلغ عنه وهو الرسول، وإيقاع العبادة التي تبرأ بها الذمة لا يمكن إلا بمعرفة كيفيتها وهي الدين [(١)].

والأصول: جمع أصل، وهو ما بني عليه غيره، وهذه الأصول الثلاثة هي أصول الدين التي يرجع إليها، ويتفرع منها، فثلاثُ معارفَ هي الأصول التي سيدور عليها الكلام في بقية هذه الرسالة [(٢)].

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٦).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٠)، وينظر: إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح القصير (٣٥).

والمصنف -رحمه الله تعالى- ذكر هذه الأصول الثلاثة مجملة، ثم ذكرها بعد ذلك مفصلة أصلاً أصلاً؛ تتميماً للفائدة، وتنشيطاً للقارئ؛ لأن النفوس إذا عرفت الشيء إجمالاً تطلعت إلى معرفته تفصيلاً، فإذا عرفها مجملة وعرف ألفاظها بقي متشوقاً إلى معرفة معانيها[1]، وهذه من الطرق العلمية الجيدة، والتفصيل بعد الإجمال من مقاصد البلغاء كما في علم المعاني[2].

وقد دخل المصنف -رحمه الله تعالى- في مقصوده من الرسالة بطريقة السؤال والجواب، والتي فيها لفتٌ لانتباهِ المتعلِّم، وشحذٌ لهمته، ولما سيُلقي عليه؛ ليكون ذلك أوقع في النفس وأدعى للفهم؛ لأنها مسألة عظيمة وأصول كبيرة، وطريقة السؤال والجواب طريقة سلكها المصنف -رحمه الله تعالى- في كثير من رسائله، وهي طريقة نافعة في تقرير المعلومات وسرعة فهمها، والطالب يدرك المعاني، ويفهمها إذا ألقيت عليه بطريقة السؤال والجواب؛ لأن المخاطَب إذا طُرِحَ عليه السؤال استعد وتهيأ لفهم الجواب[3]، وهذه طريقة في التعليم استقاها المصنف من هدي النبي ﷺ؛ فقد كان يسأل أصحابَه؛ حتى تتهيأ أذهانُهم للجواب، ثم يجيبهم، فقد التفت النبي ﷺ إلى أصحابه بعد صلاة الظهر مرّة على إثر سماء - أي: مطر -، ثم قال: **(هل تدرون ماذا قال ربكم؟)** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: **(أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا،**

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥)؛ والتنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٧)، الناشر: دار الصميعي، ط. الثالثة: ١٤١٧هـ.
(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٥٤).
(٣) المصدر السابق (٥٣).

فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)[١]، وقد أورد المصنف هذا الحديث في كتاب التوحيد تحت باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، ثم قال في مسائل الباب: «وفيه إخراج العالم التعليم للمسألة بالاستفهام عنها؛ لقوله: **(أتدرون ماذا قال ربكم)**»[٢] أهـ.

وتقرير هذه الأصول الثلاثة ليست من رأي المصنف بدون دليل، بل استنبطها من النصوص الشرعية، ويدل لذلك أمور منها:

الأول: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾[٣]، فتوسلوا إلى الله بأفضل ما يؤمنون به؛ فقوله: ﴿رَبَّنَآ﴾: دليل على: من ربك؟، وقوله: ﴿ءَامَنَّا﴾: دليل على: مادينك؟، وقوله: ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾: دليل على: من نبيك؟[٤].

الثاني: أن هذه الأصول الثلاثة ورد ذكرها مجتمعة في حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: **(ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً)**[٥]، ومن رضي هذه الأصول الثلاثة، وقالها عن يقين بعد قول المؤذن: (أشهد أن محمداً رسول الله): غفر له

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب صفة الصلاة، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلّم، برقم (٨٤٦)؛ ورواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، برقم (٧١).

(٢) كتاب التوحيد، للإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: د. دغش بن شبيب العجمي (٢٣٩)، الناشر: مكتبة أهل الأثر، ط. الأولى: ١٤٣٤هـ.

(٣) سورة آل عمران، الآية [٥٣].

(٤) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ٢٩٩).

(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، برقم (٣٤).

ما تقدم من ذنبه، كما في الحديث: **(من قال: حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه)**(١).

الثالث: ما ثبت في الصحيحين(٢) وغيرهما مرفوعاً(٣)، من سؤال الميت في قبره عن بعض أو مجموع هذه الأصول الثلاثة، ومن كان يعرف هذه الأصول بأدلتها، فحري به أن يُثبَّت عند سؤال الملكين في قبره(٤).

الرابع: أن الأولين والآخرين يُسألون يوم القيامة ثلاثة أسئلة، هي معنى هذه الثلاثة الأصول؛ فُيسألون: ماذا كنتم تعبدون؟ وهو سؤال عن الله تعالى وحقه؛ وماذا كنتم تعملون؟ وهو سؤال عن الاستقامة على الدين الذي شرعه الله تعالى لهم؛ وماذا أجبتم المرسلين؟ وهو سؤال عن اتباع النبي المرسل؟ فأمرٌ يُسأل عنه العبد في قبره، ويوم نشره وحشره، لا يخفى وجوب العلم والعمل به وتحتمه(٥)، **قال ابن القيم** –رحمه الله تعالى-: «وإنما يُسأل الناس في قبورهم، ويوم معادهم عن الرسول ﷺ؛ فيقال له في قبره: ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ ويوم يناديهم: ﴿فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾(٦)، ولا يُسأل

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب: القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، برقم (٣٨٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) ينظر: ص(١٦٧)، وص(٤٠٠).

(٣) ينظر: ص(٥٩).

(٤) التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٥).

(٥) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح القصير (٣٦).

(٦) سورة القصص، الآية [٦٥].

أحدٌ قط عن إمام ولا شيخ ولا متبوع غيره، بل يُسأل عمن اتبعه وائتمَّ به غيره، فلينظر بماذا يجيب؟ وليُعِدَّ للجواب صواباً»[1].

وقد استدل العلماء بقول المفتون في قبره: **(لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس)**[2]؛ على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاث[3]، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله تعالى-: «من اتبع الرسول بغير بصيرة ولا تبين، وهو الذي يسلم بظاهره من غير أن يدخل الإيمان إلى قلبه كالذي يقال له في القبر من ربك؟ وما دينك؟ وما نبيك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته هو مقلّد فيضرب بمرزبة من حديد»[4]، **وقال المصنف الإمام محمد بن عبد الوهاب** - رحمه الله تعالى -: «فالأصول: لا يجوز التقليد فيها بالإجماع، بل يجب على كل مكلف: معرفة الله تبارك وتعالى، ومعرفة الرسول ﷺ، وما بعث به من التوحيد، وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت، والجنة والنار، ومثل وجوب الفرائض، من الصلاة والزكاة، والحج، والصيام، ونحو هذا، فلا يجوز التقليد في هذا، والمقلد فيه ممن يعذب في البرزخ، كما ثبت ذلك في الأحاديث منها قوله: (وأما المنافق والمرتاب، فيقول: هاه، هاه،

---

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين (٥/١٣٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الميت يسمع خفق النعال، برقم (١٣٣٨) من حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **(العبد إذا وضع في قبره، وتولي، وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة)**، قال النبي ﷺ: **(فيراهما جميعا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)**.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٢٠٠).

لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته)[١]، **وقال أيضاً**: «فمن لم يعرف ربه، بمعنى: معبوده، ودينه، ورسوله الذي أرسله الله إليه، بدلائله في الدنيا، ولم يعمل به، سُئل عنه في القبر، فلم يعرفه...، ومن عرَفَه بدليله، وعمل به في الدنيا، ومات عليه، سُئل في القبر، فيجيب بالحق...، فالحذر الحذر من ذلك؛ تفقهوا في دينكم قبل الموت»[٢]، **وجاء في بعض رسائل المصنف** -رحمه الله تعالى- قوله: «فما ظنك به إذا وضع في قبره! وأتاه الملكان، وسألاه عما عاش عليه من الدين؟ بما يجيب؟ هاه، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته؛ وما ظنك إذا وقف بين يدي الله تعالى، وسأله: ماذا كنتم تعبدون؟ وبماذا أجبتم المرسلين؟ بماذا يجيب؟ رزقنا وإياك علما نبوياً، وعملا خالصا في الدنيا، ويوم نلقاه آمين، فانظر: يا رجل، حالك، وحال أهل هذا الزمان؛ أخذوا دينهم عن آبائهم، ودانوا بالعرف، والعادة، وما جاز عند أهل الزمان والمكان، دانوا به، وما لا، فلا؛ فأنت وذاك، وإن كانت نفسك عليك عزيزة، ولا ترضى لها بالهلاك، فالتفت لما تضمنت أركان الإسلام، من العلم والعمل، خصوصا: الشهادتان، من النفي، والإثبات، وذلك: ثابت من كلام الله، وكلام رسوله ﷺ»[٣]؛ ولما سبق بيانه كان لزاماً على العبد أن يتعلم دينه بأدلة ذلك؛ حتى يخرج عن التقليد؛ ويكون اعتقاده بهذا عن علم ومعرفة وبصيرة، لا على وجه المتابعة للناس[٤].

فهذه الرسالة صُنفت لبيان الأصول الثلاثة؛ وهي مسائل القبر وفتنته: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ والجواب عليها في هذه الرسالة، بل إن هذه

---

(١) الدرر السنية (٤/٢٧).

(٢) المصدر السابق (٢/٨١).

(٣) المصدر السابق (١/١١٥).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٣).

الرسالة من هذا الموضع إلى آخرها جوابٌ على هذه الأسئلة الثلاثة، فمن كان عالماً بما في هذه الرسالة من بيان تلك الأصول العظام، كان حَرِيًّا أن يُثبت عند السؤال؛ ذلك لأنها قُرنت بأدلتها، ولذلك اهتمّ المصنف-رحمه الله تعالى-بهذه الأصول وأفردها بالتأليف[1]؛ وذكَرَ بعد كل مسألة مما سيأتي، الدليل من القرآن أو السنة[2]، فمثل هذا العلم لا ينفع فيه التقليد، والواجب فيه أن يحصله العبدُ بدليله، فلابد من معرفة المسائل التي يجب اعتقادها بدليلها، وهذا الدليل أعم من أن يكون نصاً من القرآن، أو من سنة، أو من قول صاحب، أو من إجماع، أو قياس؛ فلابد أن يأخذ الحق بالدليل، وأهل السنة يقولون لابد من النظر في الدليل، لا لأجل الاستنباط، ولكن لأجل معرفة أن هذا قد جاء عليه دليل؛ وهذا يكون في المسائل التي لا يصح إسلام المرء إلا بها؛ مثل معرفة المسلم أن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة دونما سواه، فلابد أن يكون عنده برهان عليه، يعلمه في حياته ولو مرة، ليكون قد دخل في هذا الدين بعد معرفةِ الدليل، ولهذا كان العلماء يعلمون العامة في المساجد، ويحفظونهم هذه الرسالة - ثلاثة الأصول-؛ لأجل عظم شأن الأمر[3]، والمؤمن يخرج من التقليد، ويكون مستدلاً لما يعلمه، ويعتقده من هذه المسائل بالحق، إذا عَلِمَ الدليل عليها مرة في عمره، ثم اعتقد ما دل عليه الدليل، فإن استقام على ذلك حتى موته، فإنه يكون مؤمناً، مات على الإيمان؛ ولا يُشترط استمرار استحضار الدليل

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٩).

(٢) المصدر السابق (٥٠).

(٣) المصدر السابق (١٤-١٦).

والاستدلال، لكن الواجب أن يكون العبد في معرفته للحق في جواب هذه المسائل الثلاث عن دليل واستدلال ولو لِمرّة في عمره، ولهذا يعلم الصغار والأطفال رسالة الأصول؛ حتى إذا بلغ الغلام أو الجارية، فإذا هو قد عرف عن دليل واستدلال[1].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٠). وينظر: الأصول الثلاثة، حمد بن عبدالله الحمد (١٥).

قال المصنف رحمه الله: (**فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي، لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ**).

الشرح الإجمالي

بدأ المصنف بالأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه، (**فـــ**) قال لك: (**إذا**) سُئلت، و(**قيل لك**): (**من ربك؟**)، أي: من هو معبودك الذي خلقك ورزقك ورباك بالنعم الظاهرة والباطنة، (**فقل**) له: (**ربي**) هو (**الله**) لا أعبد إلا إياه، ولا أصرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره، وهو (**الذي**) أوجدني من العدم، و(**رباني**) بالنعم وحده لا شريك له، بل (**وربىّ**) كذلك (**جميع العالمين بنعمه**) الظاهرة والباطنة، فهو سبحانه المنعم على العباد بكل ما لديهم من النعم، (**وهو معبودي**)، أي: مألوهي المستحق للعبادة وحده لا شريك له، (**ليس لي معبود سواه**) أتذلل له أو أصرف له شيئاً من العبادات؛ فكما أنه وحده المتفرد بالخلق والرزق والتدبير لي ولجميع العالمين، فهو المتفرد والمستحق للعبادة وحده دون سواه [(١)].

الشرح التفصيلي

هذا شروع من المصنف -رحمه الله تعالى- في تفصيل الأصول الثلاثة التي تقدمت مجملة؛ حيث بدأ بذكرها هنا مفصلة، وابتدأ ببيان الأصل الأول، وهو: معرفة العبد ربه، وبدأ يشرح، ويفصل معنى: (معرفة العبد ربه) بطريقة السؤال والجواب؛ لأن هذا أوقع في النفس، وأقرب إلى التعليم؛ فكأنه قال: الأصل الأول من أصول الدين الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها: إذا قال

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٦)؛ والتنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٥٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (١٦).

لك قائل: من ربك؟ أي: من هو معبودك وخالقك ورازقك الذي ليس لك معبود سواه[١]، فقل له: (ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه)، أي: مربيهم بالنعم، فالرب هو الله، وربوبيته، هي: تربيته الخلق بنعمه الظاهرة والباطنة؛ وأعظم أنواع التربية التي ربى بها الله جل وعلا الناس أن بعث لهم الرسل يعلمونهم، ويرشدونهم ما يقربهم إلى الله جل وعلا، وهذه هي أعظم نعمة، قال جل وعلا: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[٢]، والتربية أنواع كثيرة منها: تربية الأجسام، وتربية الغرائز، وتربية الفكر، وتربية العقل، وكل هذا قد مَنَّ الله جل وعلا على ابن آدم به [٣]، فربوبية الله سبحانه وتعالى لجميع الخلق هي: قيامه سبحانه وتعالى بشؤونهم، وتدبيره لأمر خلقه، فهو القائم على كل نفسٍ بما كسبت، لا غنى لأحد عن فضله، بل كل مخلوق فهو تام الفقر إلى الله سبحانه وتعالى فقراً ذاتيّاً لازماً، لا يستطيع الانفكاك عنه، ولا الخلاص منه [٤]؛ وتربية الله لخلقه نوعان:

الأول: تربية عامة تشمل المؤمن والكافر، فالله جل جلاله ربى جميع الخلق بنعمه، فهو الذي خلقهم ورزقهم وأعطاهم السمع والبصر والأفئدة وأنعم عليهم بالنعم.

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥).

(٢) سورة يونس، الآية [٥٨].

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٦).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢١).

والثاني: تربية خاصة بالمؤمن، وهي تربيته بالإيمان، والعمل الصالح، بأن وفقه الله وهداه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر[1].

وقول المصنف: **(وربى جميع العالمين بنعمه)**؛ المقصود منه بيان أن ربوبية الله سبحانه وتعالى لا تختص بصنفٍ من الخلق، بل جميع الخلق مربوبٌ لله سبحانه وتعالى علويه وسفليه، فكل ذلك مربوبٌ له سبحانه وتعالى، لا يخرج عن رزقه ولا عن ملكه ولا عن تدبيره وتصريفه، ولا عن خلقه سبحانه وتعالى؛ ثم بعد أن أثبت المصنف الربوبية العامة لكل مخلوق في هذا العالم، ولكل ما سوى الله سبحانه وتعالى: أتبَعَ هذا الأمرَ بحق هذه الربوبية، وهو عبادته سبحانه وتعالى، فقال: **(وهو معبودي)**، يعني: وهو الذي أتقرَّبُ إليه بالعبادة؛ لأنه هو مربي الخلق، أي: لكونه رباً صار لي معبوداً، فالرب هو المستحق أن يكون المعبود، وسيأتي بيان العبادة التي هي حقه سبحانه وتعالى، ثم بيَّن المصنف أن هذه العبادة لا بد أن تكون خاليةً من الشرك، فقال: **(ليس لي معبود سواه)**، وهذا تأكيد على ما دلت عليه الجملة السابقة من إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، فقوله: (وهو معبودي): يفيد الحصر؛ لأنها لفظة مُعرَّفة بالإضافة، وهي مما يفيد الحصر في لغة العرب، فهو تعالى المعبود المستحق للعبادة، إلا أنه أكَّد ذلك بالعبارة الأخرى بقوله: (ليس لي معبود سواه)[2].

* * * * *

---

(١) تفسير السعدي (٣٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٣٦).

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]).**

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أنه سبحانه وتعالى هو الرب المربي الذي ربى جميع العالمين، وهو المعبود المستحق للعبادة الذي لا يستحق العبادة سواه؛ لكونه سبحانه وتعالى مربيًّا لجميع العالمين هو: **(قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾)**، واللام في قوله: (﴿ٱلْحَمْدُ﴾) للاستغراق؛ فتفيد استغراق جميع أنواع الحمد، مما هو موجود، أو وجد، أو يوجد، واللام في قوله: **(قوله: ﴿لِلَّهِ﴾)** لام الاستحقاق، فجميع المحامد مستحقة لله، الإله الذي لا يُعبد بحق إلا هو؛ وهذا فيه الإثبات بأنه سبحانه هو المعبود وحده لا شريك له، وقوله تعالى: (﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾)، أي: رب السماوات والأرض وما بينهما، وفيه إثبات ربوبيته سبحانه وتعالى، والربوبيةُ هنا مضافة إلى العالمين، فهي عامة شاملة لكل أحد، وهذا يُطابق المعنى الذي ذكره المصنف في قوله: (فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه)[2].

الشرح التفصيلي

معرفة الرب جل وعلا لا تنتهي إلى حد، بل كلما ازداد إيمان العبد وعلمه ازدادت معرفته بربه، ولما كان كمال الله عز وجل مما يعجز المخلوقون عن الإحاطة به؛ صارت معرفة الله على وجه الإحاطة متعذرة في حقهم، لكن هناك قدر من تلك المعرفة يتعين ويجب على كل أحد، وما زاد عن هذا القدر فإن

---

(١) سورة الفاتحة، الآية [٢].

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٧-٥٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٥٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٢).

الناس يتفاضلون فيه بحسب ما يفتح الله لهم من رحمة، وأصول معرفة الله المتعينة على كل أحد أربعة:

أولها: معرفة وجوده، بأن يؤمن أنه موجود.

وثانيها: معرفة ربوبيته، بأن يؤمن أنه رب كل شيء.

وثالثها: معرفة ألوهيته، بأن يؤمن العبد أنه هو الذي يعبد بحق وحده.

ورابعها: معرفة أسمائه وصفاته، بأن يؤمن العبد بأن الله له الأسماء الحسنى والصفات العلى [(١)].

وهذه هي الأصول الأربعة اللازمة لكل أحد في معرفة الله، وهذه الآية التي أوردها المصنف تتضمن الأصول الأربعة، فالربوبية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ إذ فيها التصريح بذلك، والألوهية في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، فهي دالة على ألوهية الله جل وعلا، فهو المستحق للحمد لكونه مألوهاً، وهي دالة أيضاً على وجود الله؛ لأن المعدوم لا يحمد، وذكرُ الربوبية والألوهية في الآية متضمنٌ لإثبات أسمائه الحسنى وصفاته العلى التي ينبغي أن يؤمن بها العبد، وفي الآية فردان من أفرادها وهما: اسم (الله)، واسم (رب العالمين)، المتضمنان لصفة الألوهية وصفة الربوبية؛ وهذا وجه دلالة الآية، وهي: فاتحة الكتاب، على الأصول الأربعة التي انطوى عليها كلام المصنف فيما يتعين على كل أحد من معرفة الله سبحانه وتعالى[(٢)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٧).

(٢) المصدر السابق (١٧).

قال المصنف رحمه الله: (وكل ما سِوَى الله عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ).

الشرح الإجمالي

(وكل ما سوى الله) من جميع الخلائق، من الجن والإنس والجبال والأشجار فهو **(عالَم)**، والله هو الخالق، **(وأنا)** المجيب بهذا وأنت وجميع الخلق **(واحد من)** جملة **(ذلك العالم)**، وتلك المخلوقات المربوبة [1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: **(وكل ما سوى الله عالم)**: وهذا فيه احتمالان:

الأول: أن تعود هذه الجملة على أقرب مذكور، وهو الدليل، وهو قول الله تعالى: (العالمين)، فيكون تفسيراً لها؛ فالمراد بالعالمين هنا: كل من سوى الله، فكل من سوى الله فهو عالَمْ؛ لأنه ما ثمّ إلا رب ومربوب، فإذا قيل: رب العالمين، تعيّن أن يكون المراد بالعالمين كل من سوى الله [2]، وما دام أنك واحد من ذلك العالم، فأنت أول من يخاطب بهذه الآية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ فيستيقن المؤمن بتلاوته لهذه الآية ربوبية الله جل وعلا له، واستحقاقه للحمد ولكل ثناء[3].

والاحتمال الثاني: هو عود هذه الجملة؛ لتقرير المعنى السابق الذي ذكره المصنف في قوله: (فقل: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه)؛ فيكون المعنى: الله جل وعلا هو الخالق، وكل ما سوى الله جل وعلا هو مربوب مقهور له سبحانه وتعالى، وهو داخل في العبودية لله سبحانه، وهي

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٤٧)؛ والتنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٨).

(٢) ينظر: تفسير جزء عم، لابن عثيمين (٨٦).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٩).

عبودية القهر التي لا يخرج عنها أحد، كما قال الله جل وعلا: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾[١]، فهذه العبودية هي عبودية القهر الشاملة لكل مخلوق[٢].

والعالَـمون: جمع عالَم، لا واحد له من لفظه، وهو اسم لكل موجود سوى الله عز وجل[٣]، أي: الخلق كله[٤]، وسمو عالَمًا؛ لأنهم علَمٌ، أي: علامةٌ واضحة دالة على خالقهم ومالكهم ومدبرهم[٥]، فالوجود قسمان: ربٌ ومربوب، فالرب هو الله الخالق، والمربوب المخلوق هو العالَم، وهو: كل من سوى الله من جميع الخلائق[٦]، قال الزجاج: «العالَم: كل ما خلقه الله في الدنيا والآخرة»[٧].

وقيل: إن العالَم اسم لكل جنس يُعْلَمُ به الخالق، ولا يطلق بالإفراد إلا

---

(١) سورة مريم، الآية [٩٣].

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٢)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٧٦).

(٣) تفسير ابن كثير (١/١٣١)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٢١٤)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (١/٦٧)؛ ومفاتيح الغيب، للرازي (١/٢٤).

(٤) جاء في كتاب العين، للفراهيدي (٦٧٦): «والعالَم: الطّمش، أي: الأنام، يعني: الخلق كله»؛ وفي الصحاح، للجوهري (٢/١٤٦٩): «والعالَم: الخلق، والعالَمون: أصناف الخلق».

(٥) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٢١٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٤٧)؛ والتنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٨).

(٦) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٥)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٤٧)؛ والتنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (١٨).

(٧) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١/٢١٥)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٦).

مضافاً لنوع يخصصه يقال: عالَم الإنس، عالم الحيوان، عالم النبات، وليس اسماً لمجموع ما سواه تعالى، وأن هذا هو تحقيق اللغة؛ فإنه لا يوجد في كلام العرب إطلاق (عالَم) على مجموع ما سوى الله تعالى[1]، وإنما أطلقه على هذا علماء الكلام في قولهم: العالَم حادث، فهو من المصطلحات؛ فإنهم رتبوا مقدمتين منطقيتين تتعلق بالمحدِثِ والمحدَث، فقالوا: الله قديم، والعالم حادث؛ فأنتجت المقدمتين: أن كل ما سوى الله عالَم[2]، ثم راجت هذه النتيجة المنطقية في كتب أهل العلم فأدخلوها في تفسير معنى العالم، وإلا فهي لا توجد في كلام العرب، فليس اسم العالم واقعاً في كلام العرب على إرادة ما سوى الله عز وجل؛ بل هو مطلق عندهم على الأفراد المؤتلفة من جنسٍ ما، فاسم العالمين في لسان العرب: اسم للمخلوقات المشتركة في جنس واحد من الأفراد المتجانسة، فيقولون: عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم النمل، فهي عُدت عوالم لا شتراك أفرادها في الجنس في شيء بينها، ولا يتعلق بكل ما سوى الله[3]، فالموجودات سوى الله تعالى نوعان:

أحدهما: الأفراد المتجانسة، أي: المشتركة في جنس واحد، وتُسمى عالم،

(١) جاء في معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦٦٤): «ومن الباب العالَمُون، وذلك أن كل جنس من الخلق فهو في نفسه مَعْلَم وعَلَم..».

(٢) جاء في التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (١/٣٨): «العالمين: جمع عالم، وهو عند المتكلمين: كل موجود سوى الله تعالى، وقيل: العالمين: الإنس والجن والملائكة، فجمعه جمع العقلاء، وقيل: الإنس خاصة، لقوله: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾».

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١/١٦٨)؛ وفتح الرحمن في تفسير القرآن، للعليمي، تحقيق: نور الدين طالب (١/٤٣)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٨).

ويُسمى مجموعها بالعالمين، كعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الملائكة.

والآخر: الأفراد التي لا نظير لها من جنسها، فلا يشاركها غيرها في حقيقتها وإن وافقها اسماً، كالعرش والكرسي والجنة والنار.

فالمخلوقات المشتركة في جنس واحد تسمى عالماً؛ وما لا جنس له، فإنه خارج عن اسم العالمين، فاسم العالمين يراد به أصناف الخلائق، أي: المخلوقات المصنفة أجناساً، وما لا صنف له فلا يدخل في العالمين؛ وحينئذ لا يستدل على عمومية ربوبية الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؛ لأنها تتعلق بربوبية الله للأفراد المتجانسة ولا تشمل غيرها، وإنما يستدل على عموم ربوبية الله للخلق جميعاً بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾[1]، فإنه يعم كل شيء[2].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الأنعام، الآية [١٦٤].

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٨).

قال المصنف رحمه الله: **(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ. وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ. وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ: السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا)**.

الشرح الإجمالي

(فإذا) سُئلت، و**(قيل لك: بم عرفت)**، أي: بأي شيء استدللت على معرفتك **(ربك)**، وخالقك ومعبودك الذي تعبده، **(فقل)** له: عرفته **(بآياته)** أي: علاماته وبراهينه ودلائله التي نصبها دلالة على وحدانيته، وتفرده بالربوبية والألوهية، **(و)** عرفته بـ**(مخلوقاته)** الباهرة التي أوجدها بعد العدم، وجعلها دالة عليه، **(ومن)** أعظم **(آياته)** المشاهدة بالأبصار الدالة على وحدانيته: إقبال **(الليل)**، **(و)** إدبار **(النهار)**، واختلافهما بالطول والقصر، وعدم اجتماعهما في زمن واحد، وهما يتعاقبان علينا تسخيراً لنا، فهذا يذهب، وهـذا يأتي بعده بانتظام كامل وتناسق بديع، **(و)** من الآيات الباهرات الدالة على وحدانية الله وتدبيره: **(الشمس)** المشرقة، وهي سراج الكون، **(والقمر)** المضيء في الدهماء، وكونهما يجريان هذا الجريان المتقن، وما فيهما من المنافع العظيمة، **(ومن مخلوقاته)** العظيمة: **(السموات السبع)**، وسعتها وارتفاعها، **(والأرضون السبع)**، وعلوها وسعتها واستدارتها، وعظم خلقها، **(ومن فيهن)**، أي: ما في السموات السبع من المخلوقات العظيمة التي لا يعلمها إلا خالقها، وما في الأرضين السبع من الجبال والبحار، وأصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات، وسائر الموجودات، **(وما بينهما)**، أي: ما بين السموات والأرض من الهواء وغيره، فتبارك الله رب العالمين[1].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٥٨-٦٠)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٥٨- ٦٠).

الشرح التفصيلي

هذا السؤال الثاني بعد السؤال الأول: (من ربك؟)، فالمصنف ذكر فيما سبق أن الله جل وعلا هو الرب، وبيَّن دليله؛ وأراد أن يبين هنا أنه يلزم على الإنسان أن يتعرف على ربه جل وعلا بالدليل؛ فقال: **(فإذا قيل لك بما عرفت ربك؟)**، وكشَفَ عن الدليل، فقال: **(فقل: بآياته ومخلوقاته)**، فالدليل المرشد إلى معرفة الرب عز وجل هو شيئان اثنان: أحدهما: التفكر في آياته الكونية؛ والآخر: التدبر في آياته الشرعية[١]، وهما مذكوران في قول المصنف -رحمه الله تعالى- : (بآياته)؛ لأن الآيات شرعاً لها معنيان:

أحدهما: الآيات الكونية الخلقية، وهي المخلوقات، مثل: السماوات والأرض والإنسان والحيوان والنبات وغير ذلك، فهن مخلوقات، وهن آيات، أي: علامات على خالقها وصانعها ومحكم نظامها.

والثاني: الآيات الشرعية القولية، وهي ما أنزله الله من الكتب، والوحي الذي جاءت به الرسل، فهو آية من آيات الله.

فالله جل وعلا عرَّف عباده بنفسه بآياته الكونية، وهي المخلوقات؛ وبآياته الشرعية، ومن أكبر الآيات الشرعية التي تدل على الرب جل وعلا القرآن، فهو من أكبر الآيات وأعظم المعجزات؛ ويتبع ذلك الآيات الشرعية الفعلية، ومنها معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[٢]؛ وعليه فقول المصنف: (ومخلوقاته) يدخل تحت قوله: (بآياته)؛ لأن المخلوقات هي الآيات الكونية، فيكون قوله:

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩)؛ وينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٧٦).

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (١٨)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٧٧).

(ومخلوقاته) من باب عطف الخاص على العام؛ لأن المخلوقات هي بعض الآيات، وهي مختصة بالآيات الكونية[١]؛ والخاص يُعطف على العام على سبيل الاهتمام بالخاص، ولفت الذهن إليه، ولهذا أفرد المصنف المخلوقات مع أنها داخلة في الآيات للاهتمام بها؛ لأنه مرئية يدركها العالم وغير العالم[٢]؛ فيكون قوله: (بآياته ومخلوقاته) من عطف الخاص على العام؛ اهتماماً به وتنويهاً بشأنه وتعظيماً له؛ ووجه عظمته في هذا المقام أن بُدُوَّ الربوبية في وجود المخلوقات أظهر من بدوها في الآيات الشرعية؛ فإن الآيات الشرعية النازلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نازعتهم فيها أقوامهم؛ وأما الآيات الكونية فإن الأمم قاطبة إلا نفراً قليلاً من الشُّذاذ مُقرين بذلك، ومن شذَّ فإنما جحدها علواً، فالفطر المبصرة للآيات الكونية تُذعن بأن هذه الآيات إنما وُجدت بتقدير ربٍّ هو الله جل جلاله[٣]؛ فالله عز وجل يُعْرف بآياته الشرعية وما فيها من العدل، والاشتمال على المصالح، ودفع المفاسد، الدالة على ربوبيته واستحقاقه للعبادة دون غيره، وآياته الشرعية سبحانه وتعالى كثيرة لا حصر لها؛ وكذلك يُعْرف بآياته الكونية، وهي المخلوقات العظيمة وما فيها من عجائب الصنعة، وبالغ الحكمة، ومعرفة العباد ربهم بآياته الكونية معرفة عقلية؛ لأن من ينظر في هذه الآيات ويتدبرها يدرك أن لها خالقاً، وأن الذي خلقها حكيم وعليم وقدير

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٤٧).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٥٨).

(٣) التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (٨).

وعظيم سبحانه وتعالى [1].

قال المصنف: (**ومن آياته: الليل، والنهار، والشمس، والقمر**)، و(من) هنا: للتبعيض، فذكَرَ أربع آيات، وذكَرَ الآيات الظاهرة البينة التي يدركها كل أحد، والتي توجب لفت الأنظار إليها في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، ثم قال: (**ومن مخلوقاته: السماوات السبع، والأرضون السبع، ومن فيهن، وما بينهما**)، وكل هذه آيات دالةٌ على أن الرب هو الله جل وعلا، وأنه الرب لكل شيءٍ سبحانه وتعالى؛ والمصنف فرَّق بين الآيات والمخلوقات، فجعل الليل والنهار والشمس والقمر مخصوصة باسم الآيات، وجعل السموات والأرض وما بينهما مخصوصة باسم المخلوقات، مع أنها كلها تدخل في جملة الآيات الكونية وتسمى مخلوقات، فالليل والنهار والشمس والقمر هي آيات ومخلوقات، والسموات والأرض ومن فيهن هي آيات ومخلوقات [2]، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3]، وقد اعترض بعضهم على المصنف في تفريقه هنا؛ ولكن تفريقه -رحمه الله تعالى- دقيقٌ مناسبٌ لأمور:

الأول: أن فيه موافقة ومتابعة للسياق القرآني؛ فإن غالب السياق الوارد في القرآن أنه إذا ذكر الليل والنهار والشمس والقمر، وصفن بكونهن آيات، وإذا ذكرت السماوات والأرض، أطلق عليهما صفة الخلق؛ كما سيأتي في الأدلة

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٤٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (١٨).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩).

(٣) سورة الروم، الآية [٢٢].

التي ساقها المصنف [١].

الثاني: أن فيه رعاية لحال من يُعَلَّم هذه الأصول، حيثُ مثَّل للآيات بمتغيرات لا تثبت، وهي: الليل والنهار والشمس والقمر، فهذا يذهب وذاك يجيء وهذا يشرق وذاك يغيب؛ ومثّل للمخلوقات بثوابت لا تتغير، فيُصبح العبد ويُمسي ويكبر، وهي ثابتة في نظره لم تتغير ولم تتبدل، فهو يصبح ويرى السماء، ويصبح ويرى الأرض، فإِلفُه للسماء وللأرض يحجب عنه كون هذه آيات؛ فكون المتغيرات أمثلة للآيات أظهر وأوضح؛ لأن ذلك ظاهر بَيِّنٌ واضح للمراد منه، فالأشياء المتغيرة المتقلبة التي تذهب وتجيء، هذه أظهر في كونها آية؛ فالمتغيرات من ليل ونهار وشمس وقمر هي في الدلالة أوضح وأظهر من المخلوقات الثابتة، مع كونها جميعاً آيات كونية مخلوقة، وفيها جميعاً دلالة على المراد [٢].

الثالث: أن فيه موافقة للوضع اللغوي للآية والخلق، فإن الآية أصدق في الدلالة على الليل والنهار؛ لأنها في لسان العرب: العلامة البينة الواضحة الدالة على المراد، والليل والنهار والشمس والقمر تتغير وتتحول في علامات ظاهرة، فلأجل دورانهن بالظهور والخفاء صرن علامات، فناسبهن اسم الآية؛ أما الخلق فإنه موضوع في لسان العرب على معنى التقدير الذي لا يطرأ عليه تغيير، والسموات والأرض لا تتغير بل هي مصورة على هذه الصورة الثابتة علينا دون

---

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦١)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩).

تغيير أو تبديل، فناسبها اسم الخلق، فعُبِّر عنها باسم المخلوقات وإن كانت من جملة الآيات؛ فيكون كلام المصنف -رحمه الله تعالى- غير مضطرب كما توهمه بعض الشراح، بل هو جار على متابعة السياق القرآني، الموافق للوضع اللغوي للآية والخلق[١].

والأمثلة التي ساقها المصنف للآيات تدل على إرادته هنا بالآيات التي تحصل بها معرفة الرب جل وعلا: الآيات الكونية دون الشرعية، ووجه تخصيص الآيات الكونية بالذكر هنا أمران:

أحدهما: أن دلالة الآيات الكونية على ربوبية الله أظهر وأجلى، وهي المقصود إثباته في هذه الجملة؛ فإن الربوبية طريق الإقرار بالألوهية، فإن العبد إذا أقر بالله رباً أقرَّ به معبوداً مألوهاً.

والآخر: عموم معرفة الآيات الكونية، فيشترك في معرفتها المؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ لأنها ظاهرة قاهرة[٢].

* * * * *

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٩).

(٢) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾[1]، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾)[2].

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله: **(قوله تعالى:** ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ﴾) الدالة على كمال قدرته، ووحدانيته، ونفوذ مشيئته: (﴿ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾)، اللذان لا تستقيم معايش العباد إلا بهما، (﴿لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ﴾)؛ فإنهما مدبَّران مسخَّران مخلوقان، (﴿وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾) أي: اعبدوه وحده، فهو (﴿ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾)؛ فإنهما وإن كبر حجمهما، فإن ذلك ليس منهما، وإنما هو من خالقها، (﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ﴾) وحده جل وعلا (﴿تَعۡبُدُونَ﴾) فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين؛ (**و**) الدليل على أن السموات السبع، والأرضين السبع، من مخلوقات الله الدالة عليه جل وعلا: (**قوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾) وما فيهما، وأتقن خلقهما، وأحكم بنيانهما (﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾) أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، (﴿ثُمَّ﴾) لما قضاها

---

(١) سورة فصلت، الآية [٣٧].

(٢) سورة الأعراف، الآية [٥٤].

وأودع فيها من أمره ما أودع (﴿ٱسْتَوَىٰ﴾) جل وعلا (﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾) العظيم الذي وسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهو سبحانه (﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾) المظلم بـ(﴿ٱلنَّهَارَ﴾) المضيء، فيظلم ما على وجه الأرض، وتأوي المخلوقات إلى مساكنها (﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾) أي: سريعاً لا يتأخر عنه، كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما جاء النهار ذهب الليل، (﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ اوَٱلنُّجُومَ﴾) الثابتة والسائرة (﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾)، أي: مذللات جارية في مجاريها بتسخير الله تعالى، فهي تسير بدقة وإتقان بأمر الله وليس بأمرها هي، (﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾)، فالله جل وعلا متفرد بالخلق ومتفرد بالأمر، فله الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات، وله الأمر المتضمن للشرائع والنبوات (﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾)، أي: بلغ في البركة نهايتها، وهي صيغة لا تصلح إلا لله، فهو سبحانه وتعالى عظم وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره، وهو سبحانه (﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) المنعم عليهم بخيراته وسابغ فضله [1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف الدليل على أن الله خلق الليل والنهار والشمس والقمر، وأنها من آياته الكونية، فقال: (**والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَار وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾**)، والمقصود من سياق هذه الآية بيان أن الشمس والقمر والليل

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٢٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦١- ٦٢)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٦٢- ٦٤)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٩٢-٩٣).

والنهار من آيات الله سبحانه وتعالى الدالة على عِظَمِ الرب، وأنه سبحانه وتعالى رب كل شيء، فإن المتأمل إذا تأمل الليل والنهار وجد هذا يدخل في هذا، وذاك يدخل في ذاك، وهذا يطول وذاك يقصر، والشمس إذا أتت بضيائها صار نهاراً، وإذا ذهبت الشمس أتى القمر فصار ليلاً، وعلم أنها أشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها، بل هي مفعول بها، والذي خلقها وسيرها على هذا النحو الدقيق العجيب هو رب العالمين[1].

ثم ذكر الدليل على أن الله تعالى خلق السماوات والأرض فقال: (**وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾)، فهو سبحانه خالق هذه العوالم، إذاً هن مخلوقات، وآيات؛ أي: علامات على خالقها وصانعها ومُحكم نظامها.

* * * * *

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٢٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦١).

قال المصنف رحمه الله: (وَالرَّبُّ، هُوَ: الْمَعْبُودُ).

الشرح الإجمالي

(والرب) الخالق لكل شيء، ولتلك المخلوقات العظيمة، من السماوات السبع، وما فيهن، وما بينهما، هو: المالك والمتصرف، ومربي جميع خلقه بالنعم، و(هو: المعبود) المألوه المستحق للعبادة وحده دون من سواه؛ لكونه رباً، فهو الذي يُعبد؛ لاستحقاقه للعبادة، وما سواه مخلوق ضعيف لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، ولا يستحق شيئاً من العبادة؛ لأنه مربوب وليس رباً[1].

الشرح التفصيلي

بيّن المصنف فيما سبق أن الله جل وعلا هو الرب الخالق الرازق الذي ليس للخلق معبود سواه، وبين دليله من سورة الفاتحة؛ ثم بين الدليل المرشد إلى معرفة الرب عز وجل، وهو معرفته: بآياته ومخلوقاته، وذكر الآيات الدالة على ذلك، وانتقل هنا ليبين وجوب إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة؛ لأن الرب هو المستحق للعبادة وحده دون سواه، فقال: **(والرب، هو: المعبود)**، أي: والرب الذي تقرر معناه ودليله فيما سبق[2]؛ هو: المستحق أن يكون معبوداً، أو هو

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (١١٨).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٦١).

الذي يُعبد لاستحقاقه للعبادة[١]، فليس المعنى أن كل من عُبد فهو رب[٢]، وليس المراد أن من معاني الرب: المعبود، وإلا لزم منه أن كل ما عُبد من دون الله فهو رب، وهذا ليس بصحيح [٣]؛ فليس كلامه هذا تفسيراً للفظ الرب، وأنه يقع كذلك في لسان العرب؛ فإن لفظ الرب لا يطلق في لسان العرب على إرادة المعبود في أصح قولي أهل العلم من اللغويين -رحمهم الله تعالى- [٤]؛ فصار مقصود المصنف هنا بيان استحقاق الله جل وعلا للعبادة، وأن موجب هذا الاستحقاق كونه رباً، فمن كان رباً وجب أن يكون معبوداً، فالمراد من قوله: (والرب هو المعبود)، أي: والرب الخالق لكل شيء المربي لعباده بنعمه هو المستحق للعبادة؛ لكونه رباً خالقاً، وقد مُلئ القرآن بالآيات الكثيرة التي

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٤٧)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥١)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٨)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (١١٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٦٦)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٧)؛ وشرح ثلاثة الأصول، خالد بن عبدالعزيز الباتلي (٦١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥١).

(٣) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٦٦).

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢١).

قال ابن فارس في معجمه (٣٧٨): «الراء الباء يدل على أصول، فالأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، فالرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرب؛ لأنه مُصلح أحوال خلقه.

والأصل الآخر: لزوم الشيء والإقامة عليه، وهو مُناسب للأصل الأول.

والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضاً مناسب لما قبله، ومتى أُنعم النظر كان الباب كله قياساً واحداً».

وجاء في مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٣٦): «الرب في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، ولا يُقال الرب مطلقاً إلا لله تعالى المتكفل بمصلحة الموجودات».

تدل على الربوبية ؛ وإنما مُلئ القرآن ببيان ربوبية الله عز وجل ؛ لإيصال الخلق منها إلى وجوب توحيده جل وعلا بالألوهية ، فمن كان رباً وجب أن يكون معبوداً[١].

وقيل إن المراد بقول المصنف: (والرب هو: المعبود)، أي: ومن معاني الرب، ومما يُطْلَق عليه هو: المعبود، كما أنه يُطلق على الخالق والرزاق، والمالك والمتصرف، ومربي جميع الخلق بالنعم[٢] ؛ ومما يدل على أن الرب يطلق ويراد به المعبود ؛ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣] ، أي: لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين معبودين ؛ لأن النزاع معهم كان في العبادة لا في الخلق والرزق[٤]، وإذا قيل: إن المقصود بقوله: (والرب: هو المعبود): أي: من معاني الرب: المعبود ؛ فينبغي تقييدها بقولنا (بحق) ؛ لأن المعبود يكون بحق، ويكون بغير حق، فالأولى أن يُقال: (والرب: هو المعبود بحق) [٥].

والمقصود أن المصنف -رحمه الله تعالى- أراد بيان أن معنى الربوبية هو

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢١) ؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، د.محمد أمان الجامي (٤٧) ؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٨).

(٢) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٠).

(٣) سورة آل عمران، الآية [٨٠].

(٤) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٤٤).

(٥) التعليقات البهية على الرسائل العقدية، أحمد بن يحيى النجمي (١٠٨)، تحقيق: حسن الدغريري، الناشر: منارة الإسلام، القاهرة، ط. الأولى: ١٤٣١هـ.

العبادة[١]، فمن معاني ربوبية الله استحقاقه للعبادة، فالربوبية تُطلق ويُراد منها العبودية في بعض المواضع، تارة بالاستلزام وتارة بالقصد [٢]؛ ولذا فسَّر المصنف نفسه الربوبية بالألوهية في قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا﴾؛ حيث قال: «قولهم: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٣] هذه الربوبية هي الألوهية»[٤]، وبعض العلماء يقول: إن لفظ الألوهية والربوبية يمكن أن يدخل في الألفاظ التي يُقال: إنها إذا اجتمعت افترقت، وإذا افترقت اجتمعت، فالرب عند الإطلاق يدخل فيه المعبود المألوه، كما أن المألوه المعبود عند الإطلاق يدخل فيه الرب [٥]، فالمقصود أن الربوبية تستلزم الألوهية، فدليل وجوب توحيد الله جل وعلا في العبادة أنه جل جلاله هو الواحد في الربوبية، وأنه لا رب معه، ولا رب سواه جل وعلا، فمن أيقن بذلك على الحقيقة فإنه يقوده إلى توحيد العبادة، فتوحيد الربوبية لمن نظر فيه وعقل مستلزم لتوحيد الإلهية [٦]؛ فالرب هو المعبود، والفاعل لتلك الأشياء هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه [٧]؛ وتقرير هذا يُفيد في الرد على شبهة عند بعض المخالفين الذين يقولون: إن الإنسان إذا سئل في قبره: من ربك؟ فهذا سؤال عن توحيد الربوبية وليس عن توحيد الألوهية، والجواب

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٤).

(٢) المصدر السابق (٥٣).

(٣) سورة الكهف، الآية [١٤].

(٤) مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب: القسم الرابع_ التفسير (٢٤٣).

(٥) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٣).

(٦) الأجوبة والبحوث والمدارسات المشتملة عليها الدروس العلمية، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٤/١).

(٧) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٥).

عن هذا من وجهين:

الأول: أن الرب يُطلق بمعنى المعبود، كما تقدم.

والثاني: أنه إذا سئل عن الربوبية، فهو سؤال أيضاً عن الألوهية؛ لأن الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الربوبية [(١)].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: **(والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاس ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[(٢)].**

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ - رحمه الله تعالى-: «الخَالِقُ لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة»).

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن الرب هو المعبود المستحق للعبادة، وأن العبادة خاصة بالرب: **(قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاس﴾)** من ذكر وأنثى، **(﴿ٱعۡبُدُواْ﴾)**، أي: وحدوا **(﴿رَبَّكُمُ﴾)**، وأخلصوا له العبادة؛ لأنه ربكم **(﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ﴾)**، وأوجدكم من العدم، **(﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾)** كذلك خلقهم الله بعد أن لم يكونوا شيئاً، وذكَّركم بهذه النعمة العظيمة؛ **(﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾)** خالقكم وتأتمرون بأوامره وتجتنبون

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٤٥).

(٢) سورة البقرة، الآيتان [٢١-٢٢].

نواهيه؛ فهو (﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾)، (﴿وَٱلسَّمَآءَ﴾) جعلها (﴿بِنَآءً﴾) فوقنا، وسقفاً محفوظاً، وزينها بالنجوم والشمس والقمر، ﴿وَأَنزَلَ مِنَ﴾ السحاب الذي في (﴿ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾) طهوراً؛ (﴿فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾) المتنوعة من نخيل وفواكه وزروع وغيرها (﴿رِزْقًا﴾) طيباً ﴿لَّكُمْ﴾، أي: عطاء ومتاعاً لكم، والفاعل لتلك الأشياء الذي خلق وجعل الأرض فراشاً والسماء بناء، وأنزل المطر، وأنبت الزرع هو المستحق أن يُعْبَد وحده، (﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾) وشركاء معه في العبادة، (﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾) أنه لا ند له سبحانه، وأنه الذي خلقكم ولم يشاركه في خلقكم مشارك، وما دام أنكم تعلمون أنه هو وحده المتفرد بالربوبية، فيجب أن تُفردوه بالعبادة.

(قال) الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر **(ابن كثير–رحمه الله تعالى–:)** وأسكنه جناته: **(الخالق)** الموجد **(لهذه الأشياء)** من العدم، على غير مثال سابق **(هو المستحق للعبادة)** الذي يجب أن يُعبد وحده لا شريك له، وغيره مخلوق مربوب [1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاس ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د.عبدالمحسن القاسم (٦٣–٦٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥١–٥٢)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٩٥–٩٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (١١٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٥).

ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾)، وهذه أول آية في القرآن فيها الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ؛ فأمر الله سبحانه وتعالى جميع الناس أن يعبدوه ويتركوا عبادة ما سواه ، فقوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاس ٱعْبُدُواْ﴾ هذا أمرٌ بالتوحيد يتضمن إثبات العبادة لله ، وهو أول أمر وأعظم أمر في القرآن ، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله) ، وذكر سبحانه وتعالى المعاني المقتضية لعبادته وهي : أنه خالقهم وخالق آبائهم وخالق السماوات والأرض ، وهو الذي يُنزِّل الغيث ويخرج الأرزاق ، ومن هذا شأنه فهو المستحق للعبادة ، وهذا وجه ذكر هذه الأشياء بعد الأمر بالعبادة ، فصار معنى الآية : إن المستحق للعبادة هو الموصوف بهذه الصفات ، وهو المدبر الخالق المالك ؛ وهذا استدلال بتوحيد الربوبية على وجوب إفراد الله بالعبادة وهو توحيد الإلهية ، وقوله جل وعلا في آخر الآية : ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ هذا نهي عن الشرك يتضمن نفي إلهية من سوى الله ؛ لأنه تعالى لا ند له[1].

قال المصنف : **(قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – : «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة»)** ، والمصنف لخص معنى كلام ابن كثير في هذه العبارة الوجيزة ، وكلام ابن كثير في "تفسيره" مغاير لما ذكره المصنف[2] ، والمعنى واحد ،

(١) ينظر : شرح الأصول الثلاثة ، عبدالرحمن بن ناصر البراك (١٨) ؛ وشرح الأصول الثلاثة ، د.خالد بن عبدالله المصلح (٢٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير (١/١٩٤) ونصه : «ومضمونه : أنه الخالق الرازق مالك الدار ، وساكنيها ، ورازقهم ، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره». وجاء في تفسير ابن كثير (٥/٣٠٤) عند قوله تعالى : ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ قال : «يعنون : لا نختارك على

وهو أن الآيات المذكورة دلت على أن الذي خلق هذه الأشياء وأوجدها من العدم على غير مثال سابق هو الذي يستحق أن يعبد وحده، ولا يشرك به غيره؛ لأن كل من سواه تعالى وتقدس مخلوقٌ مربوبٌ متصرف فيه[١]؛ وهذا يدل على أن المصنف -رحمه الله تعالى- لم يقصد بقوله (والرب هو: المعبود) أن من معاني (الرب): المعبود، وإنما قَصَد أن الرب هو المستحق لأن يُعبد؛ لأنه بعد أن ساق الآية من سورة البقرة ذكَرَ قول ابن كثير - رحمه الله تعالى- : «الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة»[٢]، وتقدير الكلام: والرب هو المستحق أن يكون معبوداً للأمر بالعبادة في قوله تعالى: ﴿ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ مع ذكر الموجب للاستحقاق وهو التفرد بالربوبية المذكور في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إلى تمام الآية؛ فإن الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، كما بينه المصنف فيما نقله عن ابن كثير في معنى كلامه في "التفسير"[٣].

* * * * *

فاطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم، المبتدئ خلقنا من الطين، فهو المستحق للعبادة والخضوع لا أنت».

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٠).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٦٥).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢١).

قال المصنف رحمه الله: (وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا؛ مِثْلُ: الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ).

الشرح الإجمالي

لما بيَّن المصنف وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة، وذكر الأدلة على ذلك: شرع في بيان شيء من أنواع العبادة، فقال: **(وأنواع)**، أي: أصناف **(العبادة التي أمر الله بها)** عِبادَهَ، وتعبَّدَهُم بها كثيرةٌ جداً **(مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان)**، وهذه الثلاثة مراتب تشمل الدين كله، وهي أصول العبادات، لذلك بدأ المصنف بها [1].

الشرح التفصيلي

بيَّن المصنف في الأصل الأول، وهو: معرفة العبد ربه: أن الله جل وعلا هو الرب، وبيَّن دليله؛ ثم بيَّن الدليل المرشد إلى معرفة الرب عز وجل، وذكر الآيات الدالة على ربوبية الله عز وجل، ثم انتقل ليبين وجوب إفراده سبحانه وتعالى بالعبادة، وأن الرب هو المستحق للعبادة وحده دون سواه؛ ولما قرَّر المصنف -رحمه الله تعالى- وجوب عبادة الله علينا، واستحقاقه لها بما له من الربوبية: شرَعَ هنا يبين حقيقة العبادة بالإرشاد إلى أنواعها، وكان من المتوقع أن يذكر المصنف أنواع العبادة تحت الأصل الثاني: (معرفة دين الإسلام)؛ لأنها جزء منه، ولكنه قدمها هنا لمَّا تهيأت النفوس لعبادة الله والتقرب إليه، وهذه طريقة تربوية؛ لأن النفوس إذا تهيأت لقبول أمرٍ فلا ينبغي تأخيره [2]؛ فكان من

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٤)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٦٥)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٣)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٥).

(٢) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٣٣٦).

المناسب -بعد ذكر استحقاق الرب للعبادة- أن تُذكر أنواع العبادة التي تفعل لهذا الرب المعبود، ويُعبد الله جل وعلا بها؛ لأن من عرف أفراداً من العبادة عرف حقيقتها؛ ولهذا شرع المصنف في بيان أنواع العبادة المأمور بها إجمالاً وتفصيلاً، فإجمالها في الإسلام والإيمان والإحسان، وتفصيلها في الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة ... إلى آخر ما ذكر، فقال -رحمه الله تعالى-: **(وأنواع العبادة التي أمر الله بها؛ مثل: الإسلام، والإيمان، والإحسان)**، فبدأ في ذكر العبادات بذكر أصولها، فأصول العبادات: الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه الثلاثة: أعلى مراتب الدين، وأهم أنواع العبادة، وكل العبادات ترجع إلى هذه الأنواع الثلاثة، فلذلك بدأ بها المصنف[1]، **فالإسلام:** ترجع إليه عبادات الجوارح الظاهرة؛ فكل ما أَمر الله به من أعمال الإسلام عبادة: من صلاة وصوم وغير ذلك؛ **والإيمان:** يرجع إليه عبادات القلب بأعماله الباطنة؛ كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، وكذلك الخوف، والمحبة، والرجاء، وما يتعلق بالقلوب كله داخل في العبادة؛ **والإحسان:** هو منتهى العبادة القلبية، وأعلى أنواع العبادة وأعظمها، فهذه المراتب الثلاث هي مراتب الدين، وهي أصوله، وسيأتي شرحها في كلام المصنف -رحمه الله تعالى- في الأصل الثاني [2].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنْهُ: الدُّعَاء).

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٤).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز ابن باز (٤٤)، وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٨).

الشرح الإجمالي

(ومنه): أي: من أنواع العبادات التي أمر الله بها (**الدعاء**)، وإنزال الحوائج به سبحانه وتعالى [١].

الشرح التفصيلي

قول المصنف يرحمه الله: **(ومنه)**: الضمير في قوله: (ومنه) يرجع إلى أمرِ أو نوعِ العبادة، فيكون المعنى: ومن أمر العبادة، ومن نوع العبادة التي أمر الله بها [٢]، وقيل: الضمير راجع إلى فعل العبادة، أي: ومن فعل العبادة التي تتعلق بالإسلام والإيمان والإحسان [٣]؛ وقيل: «الضمير يعود على العبادة، وهي مؤنث، أو يعود على الأنواع، وهي جمع؛ فيكون تصويب اللفظة: (ومنها)، أي: ومن العبادات الكثيرة: الدعاء والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة.. الخ؛ وتكون لفظة: (ومنه) خطأ مطبعي»[٤].

قال المصنف: **(ومنه: الدعاء)**: وفيه أنه اعتَبَر العبادة بمعنى: الذل والخضوع، واعتَبَر الدعاء بمعنى: السؤال والطلب؛ ولذا فإن العبادة في كلامه أعم من الدعاء، وهذا الاعتبار من المصنف -رحمه الله تعالى- هو المناسب لأفهام من يخاطبهم بهذه الرسالة، فالمصنف يقصد بالدعاء هنا المعنى الخاص له، وهو: السؤال والطلب، فقوله: (ومنه الدعاء) أي: ومن أنواع العبادة

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٧).

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٤٠)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ٣٤٠).

(٣) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٤) شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٥٠).

دعاء المسألة ؛ لأنه متضمن للعبادة [١]، وقد ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- الدعاء (أولاً) ؛ لأن أكثر الشرك الواقع من الناس فيه، فهو أكثر وأعظم ما يقع من أنواع الشرك، ومن استقرأ آيات القرآن العظيم في التحذير من الشرك بالله تعالى، وجد أن أكثرها في التحذير من الشرك في الدعاء ؛ ولأن دعاء الله وحده هو أعظم وأهم أنواع العبادة، فإنه يجتمع فيه من أنواع التعبد ما لا يجتمع في غيره، فهو من العبادات القلبية، لتوجه القلب إلى الله، فيستدعي حضور القلب وعبادة الله بالتوجه والقصد، والرجاء، والتوكل، والرغبة فيما عنده، والرهبة من عذابه ؛ وهو كذلك من العبادات اللسانية، فهو يستدعي عبادة اللسان من اللهج بالتمجيد، والتحميد، والتقديس، والطلب، والمسألة، والابتهال، والتضرع ؛ وفيه عبادة البدن، بالانكسار والاستكانة بين يدي الله تعالى [٢]، وللدعاء شرعاً معنيان:

أحدهما عام: وهو امتثال خطاب الشرع المقترن بالحب والذل، وهو: ما لم يكن فيه صيغة سؤال ولا طلب، فيشمل جميع أفراد العبادة، ويسمى دعاء العبادة، وهو دعاء الله بأي نوع من أنواع العبادة، وسميت العبادة دعاء ؛ لأن العبد طالبٌ للثواب، ففي العبادة معنى الطلب، فكل عمل يتعبد به الإنسان لربه فإنه يقصد من ورائه طلب رضا الله ؛ ليدخل جنته، وينجو من ناره، فدعاء العبادة: هو كل عبادة يتقرب بها الإنسان لله عز وجل من أنواع التعبدات،

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن سعد أباحسين (٨٨).

(٢) ينظر: تصحيح الدعاء، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد (١٧ ، ١٩)، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط. الأولى: ١٤١٩هـ.

وتكون إما بالعمل بالجوارح: كالصلاة والصيام والحج ونحو ذلك؛ أو تكون بالذكر باللسان دون السؤال، وهو: أن يُثني العبدُ على الله تعالى بصفات كماله ونعوت عظمته وجلاله؛ كأن يقول: لا إله إلا الله، الحمد لله كثيراً، سبحان الله العظيم، فيُثنى على الله تعالى بهذه الكلمات ونحوها تعبداً لله تعالى؛ أي: طلباً لثوابه أو توسلاً إلى الله تعالى في التماس حاجته.

والآخر خاص: وهو طلب العبد من ربه حصول ما ينفعه ودوامه، أو دفع ما يضره ورفعه، وهو الطلب الصريح، ويسمى دعاء الطلب والمسألة [(١)]، وهو الذي يغلب عند عامة المسلمين في تسمية الدعـاء، فإذا قيل: دعا فلان؛ يعني سأل ربه -جل وعلا-، وصار هذا النوع من الدعاء عبادة؛ لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، والانكسار بين يديه، كأن يقول: ربي اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني، وهكذا؛ ويتضمن كذلك اللجوء إليه واعتقاد أنه يقضي الحاجة؛ لإحاطة سمعه وبصره، وعظم غناه، وسعة جوده وفضله، وكمال قدرته.

وقد قرَّر المحقون من أهل العلم أنه لا انفكاك في الحقيقة بين دعاء المسألة، ودعاء العبادة؛ لأن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، ووجه كون دعاء المسألة يتضمن دعاء العبادة؛ أن الله -جل وعلا- يحب من عباده أن يسألوه، فإذا دعا السائل ربه، فإنه يكون قد أخلص سؤاله لله، وذلك من أفضل العبادات، فدعاء المسألة متضمن للعبادة؛ لأن الداعي يرغب إلى المدعو ويخضع له ويتذلل، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء

---

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

المسألة ؛ يعني : أن من سأل الله -جل وعلا- شيئا : فهو داع دعاء مسألة ، وهذا متضمن لعبادة الله ، فالذاكر لله تعالى ، والتالي لكتابه ، والمصلي والمتقرب بالنسك ونحوه ، طالب من الله في المعنى ، فيكون داعياً عابداً ، يعني : أن من صلى ، فيلزم من إنشائه الصلاة أن يسأل الله القبول ، ويسأل الله الثواب ، فيكون دعاء المسألة متضمنا لدعاء العبادة ، ودعاء العبادة مستلزما لدعاء المسألة [(١)] ؛ وهذا التقسيم : مهم في فهم حجج القرآن ، وفي فهم الحجج التي يوردها أهل العلم ؛ لأنه قد حصل من الداعين إلى الشرك : أنهم يؤولون الآيات التي فيها ذكر الدعاء بدعاء العبادة ، فهم لا ينكرون دعاء العبادة ، ولكنهم أنكروا أن يكون دعاء المسألة عبادة ، ويقولون : نحن لا نصلي للمقبور ، ولا نسجد له ، ولكن نسأله سؤالاً ، والجواب : أنه لا انفكاك بين دعاء المسألة ، ودعاء العبادة ، فهذا هو ذاك : إما بالتضمن أو باللزوم ، ومعلوم أن دلالات التضمن واللزوم دلالات لغوية واضحة جاءت في القرآن ، وجاءت في السنة[(٢)] ، **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله تعالى- موضحاً هذا المعنى : «إن المعبود لا بد أن يكون مالكاً للنفع والضر ، فهو يُدعى للنفع والضر دعاء مسألة ، ويُدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة ، فعُلِمَ أن النوعين متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم

---

(١) ينظر : التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٧٩-١٨٠) ، الناشر : دار المنهاج ، ط. الرابعة : ١٤٣٦هـ.

(٢) ينظر : شرح فتح المجيد ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٥٠٩) ، تحقيق وعناية : عادل بن محمد رفاعي ، الناشر : مكتبة دار الحجار ، ط. ١٤٣٥هـ ؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول ، عبدالله الغنيمان (٩٧).

لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لـدعاء العبادة، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١] يتناول نوعي الدعاء، وبكلٍّ منها فُسرت الآية؛ قيل: أُعطيه إذا سألني، وقيل: أُثيبه إذا عبدني، والقولان متلازمان، وليس هذا من استعمال اللفظ المشترك في معنييه كليهما، أو استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه، بل هذا استعماله في حقيقته المتضمنة للأمرين جميعاً، فتأمله فإنه موضوع عظيم النفع، وقل ما يُفْطَنُ له، وأكثر آيات القرآن دالة على معنيين فصاعداً، فهي من هذا القبيل»[٢].

* * * * *

(١) سورة البقرة، الآية [١٨٦].

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر).**

الشرح الإجمالي

(و) من أنواع العبادات أيضاً التي أَمر الله بها: **(الخوف)** منه جل وعلا، **(والرجاء)** والطمع بما عند الله، **(والتوكل)** وتفويض الأمور إليه، **(والرغبة)** فيما عند الله، **(والرهبة)** منه جل وعلا، **(والخشوع)** لله، **(والخشية)** منه، **(والإنابة)** إلى الله، والرجوع إليه، **(والاستعانة)** به سبحانه، **(والاستعاذة)** باللجوء إليه، **(والاستغاثة)** به جل وعلا، **(والذبح)** له وحده، **(و)** كذلك **(النذر)** لا يكون إلا له وحده جل جلاله [1].

الشرح التفصيلي

شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في تفصيل أنواع العبادة، وأن منها: الاعتقادات والأعمال القلبية، والأقوال اللسانية، وأعمال الجوارح، فذكر أربعة عشر عبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى، ابتدأها فيما سبق بالدعاء، وذكر هنا جملة من العبادات، وهذه الأنواع منها ما هو عبادات قلبية وهو الأكثر والغالب: كالخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة والخشية؛ ومنها ما هو عبادات فعلية: كالنذر؛ ومنها ما هو عبادات قولية: كالدعاء، فمثَّل -رحمه الله تعالى- لجميع العبادات: القولية، والفعلية، والقلبية [2]، وسيأتي إن شاء الله تعالى تفصيل الكلام عليها عند ذكر أدلتها في كلام المصنف[3].

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٧).

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (١٩)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٦).

(٣) ينظر: ص(٢٢٣).

قال المصنف رحمه الله: **(وغير ذلك من أنواع الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ الله بِهَا، كُلُّهَا للهِ تعالى)**.

الشرح الإجمالي

(وغير ذلك من أنواع العبادة) الكثيرة المتنوعة، **(التي أمر الله بها)**، فكل ما أمر الله به وأمر به رسوله، سواء كان أمرَ وجوبٍ أو أمر استحباب فإنه عبادة؛ كبرِّ الوالدين، وصلة الأرحام، وإكرام الضيف، وحسن الخلق، فـ**(كلها لله تعالى)**، أي: جميع أنواع العبادة مما ذُكر وغيره، فهي لله وحده لا شريك له، لا يصلح منها شيء لغير الله عز وجل، لا لملك مقرب، ولا لنبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، ولا أضل ولا أظلم ممن يجعل لمخلوق مربوب منها شيئاً[١].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف أمثلة للعبادة، ثم ذكر الضابط الذي ينتظم جميع العبادات في قوله: **(التي أمر الله بها)**، ففيه إشارة إلى بعض حدود العبادة عند العلماء، وأصل العبادة في اللغة هي: الخضوع والذل [٢]، فإذا انضاف إليها المحبة والانقياد صارت عبادة شرعية[٣]. **يقول ابن تيمية** - رحمه الله -: «والعبادة أصْلُ معناها الذل أيضاً، يقال: طريق معبد، إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له» [٤].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٤)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٧).

(٢) الصحاح، للجوهري (١/٤٢٧).

(٣) شرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٥٩).

(٤) رسالة العبودية مطبوعة ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٥٣).

وعبادة الله لها معنيان في الشرع:

أحدهما عام: وهو امتثال خطاب الشرع المقترن بالحب والخضوع [١].

والثاني خاص: وهو التوحيد[٢].

وقد عُرِّفت العبادة بمعناها العام في الشرع بعدة تعريفات، منها:

الأول: مَا أَمر بِهِ الشَّارِع من غير اطراد عرفي ولَا اقْتِضَاء عَقْلِي[٣]. وهذا هو التعريف المشهور عند كثير من العلماء، ومعنى ذلك: أن الشيء الذي أُمر به من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به، ومن غير أن يَطَّرِدَ به عرف، يسمى عبادة[٤]؛ لأن العبادة توقيفية لا تثبت بالعقل ولا بالعرف، وإنما تثبت

---

(١) «وعُبِّر (بالخضوع) في بيان المعنى العام للعبادة دون الذل لأمرين:

أحدهما: اقتفاء الخطاب الشرعي؛ لأن (الخضوع) مما يعبد الله به بخلاف (الذل) فهو كوني قدري لا ديني شرعي، فلا يقال حينئذ: ذُلو لله، وإنما يقال: اخضعوا لله، والدليل في الحديث هو أنه: **(إذا قضى الله الأمر من السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله)**، وهو في صحيح البخاري. وأفعال الملائكة دينية شرعية وليست كونية قدرية. وحينئذ يكون الخضوع شرعياً وكونياً بخلاف الذل فإنه لا يكون إلا كونياً قدرياً، والدليل على كون الخضوع عبادة للمخاطبين بالأمر والنهي ما روى البيهقي بسند صحيح في السنن الكبرى في قنوت عمر ﷺ أنه كان يقول: **(ونؤمن بك ونخضع لك)**. فهذا خبر عن عبادة يُتقرَّب بها إلى الله عز وجل، فالخضوع عبادة تُقرُّب إلى الله، بخلاف الذل فإنه أمر قدري كوني.

والآخر: أن قلب الذليل فارغ من الإقبال الذي هو حقيقة العبادة؛ وعليه فما جرى في كلام جماعة من أهل العلم: أن العبادة تجمع الذل والمحبة فيه نظر، وإنما تجمع الخضوع والمحبة؛ لأجل ما ذُكر».

تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علي بن سليمان المرداوي (٢/١٠٠١)، تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراح، الناشر: مكتبة الرشد -السعودية/ الرياض، ط. الأولى: ١٤٢١هـ.

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٦).

بالشرع[١]، فالعبادة: ما أمر به الشارع من غير أن يدل عليه العرف المطرد عند الناس، ومن غير أن يكون دل عليه العقل.

الثاني: عرفها ابن تيمية -رحمه الله تعالى- بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[٢].

ويتبين من التعريف أن أنواع العبادات هي: الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها، وهي: ما كان مأموراً بها، أو مُخْبَراً عنها بأن الله جل وعلا يحبها ويرضاها[٣]، وهذا التعريف من أشمل ما عُرفت به العبادة، فكل فرد من أفراد العبادة داخل فيه[٤].

الثالث: أن العبادة: «كل ما أمر الله به ورسوله أمر إيجاب أو استحباب»[٥]، فإذا كان الشيء طُلب فعله في الشرع، ورُتب الثواب على ذلك، فهذا الفعل المأمور به يعد عبادة؛ لأنه مما يحبه الله ويرضاه[٦][٧]، والأحسن أن يجمع بين هذا

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٢٣)

(٢) رسالة العبودية ضمن مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٧).

(٤) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٤).

(٥) تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، تأليف: عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (١/١٠١)، تحقيق: عبد السلام بن برجس العبد الكريم، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الأولى: ١٤٢٢هـ.

(٦) ينظر: شرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٥٩)، تحقيق: عادل بن محمد رفاعي.

(٧) قال ابن تيمية: «الوضوء عبادة؛ لأنه لا يُعلم إلا من الشارع، وكل فعل لا يُعلم إلا من الشارع، فهو عبادة، كالصلاة والصوم؛ ولأنه مستلزم للثواب كما وعد عليه النبي ﷺ المتوضئ بتكفير خطاياه». ينظر: المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/٢٩)، جمعه: محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم، ط. الأولى: ١٤١٨هـ.

التعريف والتعريف السابق للعبادة، ليكون تعريف العبادة: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة الواجبة والمستحبة»؛ حتى يتضح أن العبادات لا تقتصر فقط على الواجبات، بل حتى المستحبات داخلة في مسمى العبادة[١].

وهذه الأقوال الثلاثة في تعريف العبادة تلتقي، ولا تختلف[٢]، فكل ما يرضاه الله من قول أو عمل أو تركه، وكل ما يرجى ثوابه فعلاً أو تركاً، فهو عبادة، فيدخل في هذا الواجبات والمستحبات فعلاً، والمحرمات والمكروهات تركاً، فالعبادة تشمل الدين كله، وتتضمن كمال الحب لله تعالى ونهايته، وكمال الخضوع لله سبحانه ونهايته[٣].

ويتحصل مما سبق: أن كل قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع، أو مدحه الشارع أو أثنى على من قام به فهو عبادة وقربة، وكل أمر ثبت النهي عنه من الشارع، أو ذمه الشارع أو ذم من قام به، فإن الانتهاء عنه وتركه والبعد عنه عبادة أيضاً، وقربة. وطاعةُ الله جل وعلا في جميع ذلك هي: توحيد وإيمان وعبادة واخلاص، وصرفه أو صرف نوع منه أو فرد من أفراده لغير الله شرك وكفر[٤]، فالعبادة الظاهرة أو الباطنة، القلبية أو اللسانية، أو التي موردها

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٢٩).

(٢) ينظر: شرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٦٠)، تحقيق: عادل بن محمد رفاعي.

(٣) ينظر: تصحيح الدعاء، تأليف: بكر بن عبدالله أبو زيد (٢٣٥).

(٤) عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، المؤلف: صالح بن عبد الله العبود (١/٦٤٦).

الجوارح ، لا تصلح إلا لله جل وعلا ؛ فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد توجّه بالعبادة لغير الله منافيا لإقراره بأن معبوده هو الله جل وعلا ، إذا أقر العبد بأن قوله : من ربك؟ يعني : من معبودك؟ ومنافياً لما قال الله جل وعلا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾[1] ؛ أي : وحدوه دون ما سواه ؛ فإنه إذا توجه بشيء من هذه الأنواع لغير الله جل وعلا كان متوجهاً بالعبادة لغير الله ، وذلك هو الشرك[2].

* * * * *

(١) سورة البقرة ، الآية [٢١].

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٦٩).

قال المصنف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) (١).

الشرح الإجمالي

وجميع أنواع العبادة مما ذُكر وغيره، كلها لله تعالى، لا يصلح منها شيء لغير الله، (والدليل) على ذلك، أي: الدليل على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة: (قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾)، أي: أماكن الصلوات أو أعضاء السجود كلها ملك (﴿لِلَّهِ﴾) ملكاً وخلقاً واستحقاقاً للعبادة فيها، لا لأحد سواه، (﴿فَلَا تَدْعُواْ﴾) لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة، ولا تُشركوا في الأرض، (﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾) كائناً من كان، فإن الأرض جميعها ملك لله وحده، فأفردوه فيها بالعبادة (٢).

الشرح التفصيلي

استدل المصنف بهذه الآية على وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وسبق ذكر أقوال أهل التفسير في كلمة (المساجد)(٣)، والمشهور فيها تفسيران:

أحدهما: أنها المواضع التي بُنيت لعبادة الله، فالمعنى: أنها إنما بُنيت لعبادة الله وحده، فلا تعبدوا فيها غيره.

والثاني: أنها الأعضاء التي خلقها الله للعبد ليُسجَد له عليها، وهي: الوجه واليدان والركبتان والقدمان، فلا يسجد بها لغيره، والآية تشتمل المعنيين: **(﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾)**، أي: البقاع التي يُصلى فيها، وأعضاء السجود كلها لله -عز

---

(١) سورة الجن، الآية [١٨].

(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٩)؛ وينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٢).

(٣) ينظر: ص(١٠٤).

وجل-، (﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾) في هذه المساجد، لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة، أي: **فلا تجعلوا هذه المساجد وهذه البقاع محلًا للشرك ودعوة غير الله**، بل يجب أن تُطهر المساجد عن الشرك والبدع والمعاصي؛ لأنها لله عز وجل، فلا يكون فيها إلا ما يرضي الله عز وجل، فلا يكون فيها قبور، ولا يكون فيها دعاء لغير الله، ولا يكون فيها بدع ومحدثات؛ **ولا تستخدموا أعضاءكم بالسجود لغير الله عز وجل**؛ لأن الأعضاء نعمةٌ من الله وهبها لكم، فهي له، فيجب أن يُشكر عليها، وأن يتعبد بها، فلا تعبدوا بها معه أحداً [١]، فالمقصود أن المساجد تعم موضع السجود، ومواطن العبادة، وأفعال العبادة: فلا تسجد بمواضع سجودك في المساجد -بيوت العبادة- فاعلاً ذلك لغير الله تعالى؛ فإن السجود لغير الله شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام[٢].

ووجه الدلالة من الآية على وجوب إفراد الله جل بالعبادة، من جهتين:

الأولى: أن الله جل وعلا قال: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾، وكون المساجد -وهي محال العبادة- لله وحده لا شريك له؛ يقتضي إفراده تعالى بالعبادة وألا يدعى معه أحد[٣].

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وكلمة: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة جاءت في سياق النهي، فتعم كل أحد؛ لأن النكرات إذا أتت في سياق النفي، أو النهي، أو الشرط، أو الاستفهام، فإنها تعُم، فكل ما سوى الله أحد، أي: لا

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٥)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٩٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٢).

(٢) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله القصير(٥٨).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي (٨/٣٥٠).

تدع ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شجراً ولا حجراً ولا جناً ولا جماداً ولا غير ذلك[١]، والنهي عن دعوة غير الله معه، دليل على أن العبادة كلها لله وحده؛ لأن النهي عن عبادة غير الله يستلزم الأمر بمقابله، وهو عبادة الله وحده؛ فكأن نسق الآية في سياقها: فلا تعبدوا مع الله أحداً؛ بل اعبدوا الله وحده[٢].

والنهي في هذه الآية يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة؛ يعني: **لا تعبدوا** مع الله أحداً، **ولا تسألوا** مع الله أحداً، فهذه الآية دليل على وجوب إفراد الله جل وعلا بجميع أنواع العبادة [٣]؛ لأن كل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة؛ وبهذا التحقيق يندفع ما يقوله البعض إذا احتُج عليهم بما ذكَرَ الله في القرآن من الأمر بإخلاص الدعاء له، قالوا: المراد به العبادة، فيقولون في مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾: (لا تعبدوا)، فيُقال لهم: حتى وإن أريد به دعاء العبادة، فهذا لا ينفي أن يدخل دعاء المسألة في العبادة؛ لأن دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، كما أن دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، هذا لو لم يرد في دعاء المسألة بخصوصه من القرآن إلا الآيات التي ذُكر فيها دعاء العبادة، فكيف وقد ذكره الله في القرآن في غير

---

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٢٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (٥٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٦).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٩، ٢٤).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٠).

موضع[١].

وقوله جل وعلا: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، يصح الاستدلال به لأي عبادة على عدم جواز صرفها لغير الله تعالى؛ فإن الله جل وعلا جعل أماكن العبادة مستحقةً له، وهذا يفهم منه أن ما يكون فيها يجب أن يكون له جل جلاله، ولذا أكدَّ ذلك بقوله: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وأُشير إلى العبادة في هذه الآية بقوله جل وعلا: ﴿تَدْعُواْ﴾؛ لأن الدعاء يقع اسماً لجميع أنواع العبادة تعظيماً له؛ وإنما عُبِّر كثيراً في خطاب الشرع في القرآن والسنة عن العبادة بالدعاء؛ لأن الدعاء هو عمود العبادة كما صحّ في الحديث: **(الدعاء هو العبادة)**[٢][٣].

* * * * *

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ (١/٤٧٢)، تحقيق: أسامة بن عطايا العتيبي، الناشر: دار الصميعي، ط. الثانية: ١٤٢٩هـ.

(٢) أخرجه أبو داود، باب الدعاء (١٤٧٩)؛ وابن ماجة، باب فضل الدعاء (٣٨٢٨)؛ والترمذي، في أبواب التفسير (٢٩٦٩)، وقال: (حديث حسن صحيح)؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه، باب الأدعية، برقم (٨٩٠)؛ وأخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب الدعاء، (١٨٢٢)، وقال: «صحيح الإسناد، ولم يخرجاه».

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٤).

قال المصنف رحمه الله: **(فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ الله؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ)**.

الشرح الإجمالي

(فمن صرف منها) يعني من توجه بشيء من أنواع تلك العبادات التي ذُكرت فيما سبق أو غيرها، ولو **(شيئاً)** يسيراً، **(لغير الله)** عز وجل، ولو أفرد بقية العبادات لله سبحانه، وأخلصها له فإنه لا ينفعه، بل: **(فهو مشرك)**؛ **لأنه عبد مع الله غيره، وجعله نداً لله في عبادته، وهو (كافر) لجحوده ما أوجب الله عليه من التوحيد** [1].

الشرح التفصيلي

هذا صلة لما سبق بيانه من أن العبادة حق لله جل وعلا، وأن كل معبود سوى الله جل جلاله فإن عبادته بغير الحق، بل هي بالباطل والظلم والطغيان؛ فبعد أن ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أنواع العبادات التي موردها اللسان والقلب والجوارح، وذكر الدليل على وجوب إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، قال: **(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)**[2]، ولو عُبِّر هنا عن لفظ "الصرف" بلفظ "الجعل" لكان أولى؛ لأمرين:

أحدهما: أنه الوارد في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وفي الحديث: لما سُئل: أي الذنب أعظم، قال عليه الصلاة والسلام: **(أن تجعل**

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٢٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٠)؛ وإفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله القصير(٥٨).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٣).

(٣) سورة البقرة، الآية [٢٢].

لله نداً وهو خلقك) [١].

والثاني: أن فعل (الجعل) يتضمن معنى الإقبال القلبي، والتأله وقصد القربة؛ أما فعل (الصرف) فهو موضوع لتحويل الشيء عن وجهه دون التزام مقصود به في المحول إليه[٢].

وقول المصنف: (**فهو مشرك كافر**): أي: الشرك الأكبر، والكفر المخرج من الملة[٣]؛ فكل نوع من الأنواع التي تدخل في مسمى العبادة، صرْفها لغير الله جل وعلا شرك أكبر يخرج من الملة، وصاحبه مشركٌ كافر؛ إما الكفر الظاهر، وإما الكفر الظاهر والباطن معاً[٤].

والكفر في اللغة: يطلق على الجحود والستر والتغطية[٥]؛ بينما الشرك: يُطلق على التسوية[٦]، فالمشرك يعبد الله ويعبد معه غيره، والكافر لا يعبد الله، وقد يعبد غير الله، وقد لا يعبد أحداً، فالشرك يقابله التوحيد؛ أما الكفر فهو نقيض الإيمان، فكل من جحد الرب وأنكر ذاته أو أفعاله أو أسماءه وصفاته أو أنكر الرسالة أو أنكر أصلاً من أصول الإيمان فهو كافر كالملحدين؛ ومن ساوى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (٤٤٧٧)؛ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، برقم (١٤٢).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (١٤).

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٥)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٥٥)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٤).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٨٩٧)؛ والصحاح، للجوهري (١/٦٥٠)؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٦٠٥).

(٦) ينظر: لسان العرب، لابن منظور (٧/٩٩)؛ وأساس البلاغة، للزمخشري (١/٤٨٩).

بين الخالق والمخلوق في شيء من خصائص الله جل وعلا، كالألوهية والأسماء والصفات فهو مشرك، كمشركي قريش؛ وقد يجتمع الكفر والشرك في شخص أو طائفة من وجه عام أو خاص كحال أهل الكتاب فقد جمعوا بين الكفر بجحودهم برسالة محمد ﷺ، والشرك بعبادة عيسى عليه الصلاة والسلام، وإذا أُطلق أحد اللفظين دخل في معناه الآخر، قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾(٢)، فسمَّى دعاءهم غير الله شركاً في هذه الآية، وفي الآية الأولى سماه كفراً؛ وإذا اقترنا دل كل واحد منهما على معنى خاص، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾(٣)، فإذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا؛ وأما في الآخرة فمآل الكافر والمشرك سواء، فكلاهما مخلد في النار والعياذ بالله.

والمشرك في الحقيقة كافر؛ لأنه أنكر شيئاً من حق الله وعبادته وصَرَفَها لغيره، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٤)، فبيَّن الله جل وعلا أنهم إذا أشركوا كفروا ولا بد؛ فكل شرك كفر، فقول المصنف:

---

(١) سورة المؤمنون، الآية [١١٧].

(٢) سورة فاطر، الآيتان [١٣، ١٤].

(٣) سورة البينة، الآية [٦].

(٤) سورة الروم، الآيتان [٣٣، ٣٤].

«فهو مشرك كافر»: يدل على أن كل مشرك كافر، والكافر قد يكون مشركا أيضاً وقد لا يكون مشركاً، كالملحد الذي ينكر وجود الرب ولا يعبد شيئاً، فليس كل كفر شركًا، ومثال ذلك: أن الذبح لغير الله شرك، ويقال عنه كفر، أما سبُّ الرسول ﷺ فكفر، ولا يقال عنه شرك، ومن استهزأ بشيء من الدين فهو كافر، ولا يُسمى مشركاً؛ لأنه لم يُشرك مع الله أحداً في ذلك، بل استهزاؤه كفر؛ واليهودي الذي لا يعبد الأصنام وإنما يعبد الله تعالى، ولكنه لم يؤمن بمحمد ﷺ يكون كافراً، وإن لم يكن مشركاً؛ ولهذا قسَّم العلماء الكفر أقساماً خمسة، و أَحَدُ هذه الأقسام الشرك [(١)]، فيكون الكفر أعم من الشرك، والشرك: نوعٌ داخل فيه، فالشرك فردٌ من أفراد الكفر؛ فإن الكفر يكون بالشرك وبغيره، فالشرك يستلزم جعل شريك، والكفر يوجد هذا فيه تارة، ويُفقد منه تارة أخرى، فتارة يكفر العبد بالشرك؛ وتارة يكفر العبد بغير الشرك [(٢)].

وقيل: الكفر والشرك مترادفان في الشرع، فكل كافر مشرك، وكل مشرك كافر، فكل منهما كافر ومشرك من وجه، فهو مشرك؛ لأنه عبد هواه، ومن عبد الهوى والشيطان فهو مشرك، وهو كافر؛ لأنه جَحَد التوحيد وجَحَد الحق، لكن إذا كان فعله يتعلق بالجحود فهذا خاص بالكفر، وإذا كان يتعلق

---

(١) ينظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، حامد بن محمد بن حسين بن محسن (١/٤٤)، تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار المؤيد، ط. الأولى: ١٤١٧هـ؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (٩٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٦٩).

(٢) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

بالإشراك في العبادة فهو خاص بالشرك[١]، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٢]، فسمى الكفار به كفاراً، وسماهم مشركين؛ فدل ذلك على أن الكافر يسمى مشركاً، والمشرك يسمى كافراً؛ ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: **(بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)**[٣].

قال النووي -رحمه الله تعالى-: «الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد، وهو الكفر بالله تعالى؛ وقد يفرق بينهما فيخص الشرك بعبادة الأوثان وغيرها من المخلوقات مع اعترافهم بالله تعالى ككفار قريش، فيكون الكفر أعم من الشرك»[٤]، فالشرك والكفر قد يجتمعان فيمن لا إيمان له، فيقال: إنه مشرك كافر؛ وقد ينفرد الشرك بقصد الأوثان من قبور وغيرها، وإن كان يعترف بالله تعالى فلا يطلق عليه كافر، لكنه مشرك كافر إذا صرف شيئًا من أنواع العبادة لغير الله منكرًا أن الله سبحانه وتعالى مستحقٌّ لهذه الأنواع؛ ولهذا قال المصنف -رحمه الله تعالى-: **(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)**[٥].

وقول المصنف: **(فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر)**: هذا هو

---

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٤).

(٢) سورة التوبة، الآيتان [٣٢، ٣٣].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، برقم (١٣٤).

(٤) شرح صحيح مسلم" (٧١/٢)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٥).

(٥) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٢).

الحكم المطلق على مَن صرف شيئًا من العبادة لغير الله، ففرقٌ بين تكفير المطلق وتكفير المعين، ففي الأول: يطلق القول بتكفير صاحبه -الذي تلبس بالكفر- فيقال: من قال كذا، أو فعل كذا، فهو كافر؛ ولكن الشخص المعين الذي قاله أو فعله، لا يُحكم بكفره إطلاقاً حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، فالحكم على الفعل الظاهر بأنه كفر، هذا متعلق ببيان الحكم الشرعي، وهو حُكْمٌ على الفعل دون الفاعل، وتكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، فالتكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين، فالكفر من الوعيد الذي يُطلق القول به، ولكن لا يُحكم للمعين بدخوله في ذلك المطلق، حتى يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له [(١)]، قال المصنف الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى-: «ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[(٢)].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا

---

(١) نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف (٥٢-٥٤)، الناشر: دار الوطن، ط. الأولى: ١٤١٤هـ؛ وينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٥٧٩)؛ ومعجم التوحيد، إبراهيم بن سعد أبا حسين (١/٤٧٩)، الناشر: دار القبس، الرياض، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

(٢) الدرر السنية (٨/٢٤٤).

بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(**والدليل**) على أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك كافر، (**قوله تعالى:** ﴿وَمَن يَدۡعُ﴾)، أي: ومن يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، كأن يدعو (﴿مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾)، أي: معبوداً آخر، (﴿لَا بُرۡهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾)، أي: لا حجة له، ولا بينة عنده على ألوهيته، وهذا قيدٌ ملازمٌ لكل من دعا غير الله؛ لأنه لا حجة لأحد في دعوى الشرك، فكل دعوة لغير الله هي دعوةٌ بغير برهان، ومن فعَلَ ذلك: (﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾) يوم القيامة بخلوده في النار، وهذا فيه تهديدٌ عظيم لكل من دعا غير الله عز وجل؛ لأنه ذُكر الحساب، وأنه يكون عند الله جل وعلا (﴿إِنَّهُۥ﴾)، أي: من أشرك معه غيره (﴿لَا يُفۡلِحُ﴾) لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأولئك هم (﴿ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾)، الخارجون عن ملة الإسلام، وفي الآية أوضح برهان على أن من دعا مع الله غيره فهو كافر؛ فإن الله تعالى سماهم كافرين لدعائهم مع الله غيره[2].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك كافر، واستدل **بقوله تعالى:** ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾، ووجه دلالة الآية على ما ذكر مُرَكَّبٌ من أمرين:

أحدهما: ذِكْرُ فعلٍ متوعد عليه في قولـه تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾؛

---

(١) سورة المؤمنون، الآية [١١٧].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٥)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٧٠)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٦).

والفعل المذكور هنا هو: عبادة غير الله، وأُشير إليها بالدعاء؛ لأن الدعاء يقع اسماً للعبادة كلها كما تقدم، فتقدير الكلام: (ومن يعبد مع الله الهاً آخر).

والآخر: تهديده بالحساب مع بيان المآل، في قوله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِۦٓ**﴾، فتَوعدُّهُ بالحساب تهديدٌ له، وما اقترفه هو كفر؛ لأنه أُشير إلى مصيره بعد حسابه بقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾، وهذا يدل على أن الفعل المذكور من أفعال الكافرين، ونفيُ فلاحهم دالٌ على أن كفرهم هو الكفر الأكبر؛ لأن الفلاح إذا نُفي فالأصل كونه خروج العبد من الملة، فكأن معنى قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ**﴾، أي: (ومن يعبد إلهاً آخر فإن فعله من أفعال الكافرين)، فالفعل المذكور من الشرك أوجَبَ لصاحبه الكفر، فجَعْلُ شيء من العبادة لغير الله هو شرك، وهو كائنٌ كفراً؛ لأن الكفر يكون بالشرك وبغيره، والمذكور من الكفر هنا الشرك [(١)]. والدعاء في القرآن قد يكون دعاء مسألة وقد يكون دعاء عبادة، فإذا لم يكن في الدليل قرينة تحدد أحد المعنيين، حُمل على المعنيين جميعاً؛ لأن حمل النص على أحد المعنيين دون دليل وبرهان تحكُّمٌ في النص، وذلك لا يجوز[(٢)]، وقد ذكر **شيخ الإسلام ابن تيمية** -رحمه الله تعالى- في هذا قاعدة مفيدة، فقال: «وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأوثانهم فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة»[(٣)]، وهذا الضابط مفيد فيما ذكره

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٥).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٧).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣).

الله عز وجل من الدعاء والدعوة عن المشركين في كتابه، فإن المقصود به دعاء العبادة المتضمن لدعاء المسألة [١]؛ فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، هذا نكرة في سياق الشرط، فتعم كل مدعو، وتعم أيضاً كل دعاء، فهذا يشمل العموم في المدعو، والعموم في الفعل أيضاً، وهو الدعاء، فيشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة [٢].

وفائدة قوله تعالى: ﴿لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ﴾: أنه وصفٌ كاشف مبين للأمر الواقع؛ وهو أنهم يدعون مع الله غيره بلا برهان، فالداعي منعوت بأنه لا برهان له بما فعل، ولا دليل، وفائدة الوصف الكاشف: زيادة البيان والتأكيد على هؤلاء الذين صرفوا العبادة لغير الله بأنهم صرفوها بلا بينة ولا برهان؛ لأنه لا يمكن أن يكون برهان على أن مع الله إلها آخر [٣].

* * * * *

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣١).

(٢) المصدر السابق (٣٠).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٥)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٠).

قال المصنف رحمه الله: (وَفِي الْحَدِيثِ: (الدُّعَاءُ مخ الْعِبَادَةِ)[(١)]).

الشرح الإجمالي

لما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أنواعاً من العبادة مجملة، شرع في ذكر أدلتها، فبدأ أولاً بالدعاء الذي هو أصل العبادات وأساسها، فقال: (**وفي الحديث**) الذي يدل على منـزلة الدعاء من بين أنواع العبادة ما رواه الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**الدعاء**) وسؤال الله الحوائج (**مخ**)، أي: لبُّ وخالص (**العبادة**) التي أمر الله بها الخلق[(٢)].

الشرح التفصيلي

سرد المصنف فيما تقدم أنواع العبادة، فذكر أربعة عشر عبادة يُتقرب بها إلى الله تعالى، ابتدأها بالدعاء، وهذا شروعٌ منه في ذكر أدلة أنواع العبادة التي ذكرها مجملة، وذكر الأدلة على كونها عبادة، وابتدأ المصنف هذه العبادات بعبادة عظيمة جليلة، وهي عبادة الدعاء، وجعَلَ الحديث الذي ذكره كالترجمة له، فقوله: **(وفي الحديث: (الدعاء مخ العبادة))**، هذا شروعٌ في جملة جديدة من الكلام، وليس دليلاً آخر للمسألة السابقة كما توهمه بعضهم؛ فهو إيذانٌ بالشروع في تعديد أنواع من العبادات، وذِكْرُ أدلتها، فكأنه يقول: ومن أنواع العبادة الدعاء؛ ووجه عدول المصنف في الإشارة إلى الدعاء عن جادته في العبادات المذكورة معه هو رعاية مقامه، فلما للدعاء من منزلة عظيمة في العبادة عبَّر عنه المصنف بحديث، وإن كان فيه ضعف؛ مقتدياً بغيره من الأئمة، وهذا

(١) أخرجه الترمذي كتاب الدعوات، باب: فضل الدعاء برقم (٣٣٧١)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة». اهـ؛ وأخرجه الطبراني في "الدعاء" (٨)، وفي "المعجم الأوسط" برقم (٣١٩٦)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن أبان إلا عبيد الله، تفرد به ابن لهيعة». والحديث إسناده فيه ضعف.

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٦)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٧١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٥).

يفعله كثيراً الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- ؛ فإنه ربما ترجم بحديث نبوي ضعيف للدلالة على مقصوده، فالمصنف جَعَل الحديث كالترجمة للنوع الأول من العبادات التي أراد الاستدلال لها، وهو: عبادة الدعاء[1].

قال المصنف: **(وفي الحديث: (الدعاء مخ العبادة))**: ومخ الشيء: لبه وما يقوم به، ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلالته على الإقبال على الله جل وعلا، والإعراض عما سواه[2]؛ وهذا الحديث الذي أورده المصنف يفسره الحديث الآخر أن النبي ﷺ قال: **(الدعاء هو العبادة)**[3]، فجَعَل الدعاء هو عين العبادة، فدلَّ هذا الحديث على أن الدعاء أهم أنواع العبادات، وذلك من وجهين:

الأول: الإتيان بضمير الفصل "هو"، وضمير الفصل يفيد التوكيد.

الثاني: أنه عَرَّف الخبر بالألف واللام في قوله: "العبادة"؛ ليدل على الحصر، وأن العبادة لا تختلف عن الدعاء، وإنما هي الدعاء نفسه، فكأنه قال: الدعاء هو العبادة لا غيرها[4].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

قال المصنف رحمه الله: (وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٦). وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٦)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٤).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٤٥)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٥).

(٣) سبق تخريجه ص(٢١٣).

(٤) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٦)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٤).

لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(**والدليل**) على أن الدعاء من أنواع العبادة: (**قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ﴾)، وخالقكم: (﴿ٱدْعُونِىٓ﴾) وأنزلوا بي حوائجكم، (﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)، وأعطيكم سؤلكم، (﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾) ويعرضون، (﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾) ودعائي، (﴿سَيَدْخُلُونَ﴾) نار، (﴿جَهَنَّمَ﴾) والعياذ بالله، (﴿دَاخِرِينَ﴾) ذليلين حقيرين، فتضمنت الآية الأمر بالدعاء، فدل على أن الدعاء عبادة، وأنه مما يحبه الله[2].

الشرح التفصيلي

ساق المصنف هذه الآية؛ لبيان أن الدعاء عبادة، وإذا ثبت أنه عبادة، فإنما يُتوَجَّهُ به إلى الله وحده فيما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا هو الدليل من الكتاب على أن الدعاء عبادة[3]. قال المصنف في بعض رسائله لمن يدعون غير الله من الأنبياء أو الصالحين أو الأولياء: «فيقال لهذا الجاهل: إن كنت تعرف أن الإله، هو: المعبود، وتعرف: أن الدعاء من العبادة؛ فكيف تدعو مخلوقاً، ميتاً، عاجزاً؟! وتترك الحي، القيوم، الحاضر، الرؤوف، الرحيم، القدير؟»[4].

ووجه الاستدلال من الآية على أنَّ الدُّعاءَ عبادةٌ من ثلاثة وجوهٍ:

١) الأمْرُ بهِ: ﴿ٱدْعُونِىٓ﴾؛ وكلُّ ما أَمَرَ اللهُ به فهو عبادَةٌ.

(١) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٢) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٧١).

(٣) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٧٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٦).

(٤) الدرر السنية (٢/١٠٤).

٢) الوَعْدُ باستِجابَةِ وعْدِ الدَّاعينَ: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾؛ ولا تكُونُ الاستجَابةُ إلَّا في مَرْضيٍّ عندَ الله محبُوبٍ له، وكلُّ ما أحبَّهُ الله ورَضِيَه فهُو عِبادةٌ.

٣) التَّصْرِيحُ بذلكَ في قولِه: ﴿عَنْ عِبَادَتِي﴾، فصرَّح بالعبادة بعد ذكر الدعاء، فدل على أن من لم يدعه لم يعبده، ومن لم يعبده يدخل ناره ذليلاً حقيراً جزاء لاستكباره؛ وهذا يدل على أن الدعاء عبادة من العبادات يجب إفراد الله تعالى بها[1].

والدعاء المأمور به في الآية يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة، فإن كان دعاء عبادة: فإن استجابته -سبحانه- هو: الإثابة على هذه العبادة وقَبولها؛ وإن كان دعاء مسألة، فإنَّ استجابته -سبحانه- هو: حصول المطلوب للداعي، والإثابة عليه أيضاً؛ لأن كل من دعا ولو كان دعاؤه بأمر دنيوي فإنه يثاب على دعائه، والمطلوب قد يتأخَّر حصوله و قد لا يَحصل؛ لحكمةٍ أرادها الله تعالى في تحقيق مطلوب العبد أو ادخار ذلك له في الآخرة أو دفع شر عنه نظير ما دعا أو مثلما دعا[2].

ودعاء غير الله مع الله فيما هو من خصائص الله تعالى شركٌ أكبر والعياذ

---

(١) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٢١)؛ والشرك في القديم والحديث، أبو بكر زكريا (١١٦١/٢).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٤٦)؛ وينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٦).

بالله[١]؛ كدعاء الميت، أو الغائب، أو الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ أما دعاء المخلوق الحي الحاضر القادر في الشيء المقدور عليه، فلا بأس به، ولا يعتبر داخلاً في الشرك؛ فهذه من الأسباب التي جعلها الله بين العباد يتخذ فيها بعضهم سخريا[٢]؛ ومن صور الشرك في عبادة الدعاء:

١) أن يطلب من غير الله مالا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ سواء كان المدعو حياً أو ميتاً[٣]؛ كما لو طلب من مخلوق إنزال الغيث، أو إحياء الميت، أو كشف الضر الذي لا يكشفه إلا الله تعالى، قال المصنف في إحدى رسائله: «فمن دعا غير الله، طالباً منه مالا يقدر عليه إلا الله، من جلب خير أو دفع ضر، فقد أشرك في عبادة الله»[٤].

٢) أن يقع على وجه العبادة؛ بأن يكون طلبه مقروناً برغبة، ورهبة، وحب، وتضرع[٥]، قال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن: «إسناد الخطاب إلى غير الله في شيء من الأمور بياء النداء إذا كان يشتمل على رغبة أو رهبة، فهذا

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن إبراهيم القرعاوي (٤٥)، الناشر: دار الصميعي، ط.الأولى: ١٤٣٤هـ.

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن إبراهيم القرعاوي (٤٦)؛ وشبهات المبتدعة في توحيد العبادة، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل (١/٣٦٠)، الناشر: مكتبة الرشد، ط. الثانية: ١٤٣٣هـ.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/١١٠، ١٢٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٦).

(٤) الدرر السنية (٢/٣٦).

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (١/٢٦١)، الناشر: دار ابن الجوزي، ط. الثالثة: ١٤١٩هـ.

هو الدعاء الذي صرفه لغير الله شرك»[١].

٣) أن يكون المدعو بعيداً عن الداعي، كما لو دعا ميتاً أو غائباً؛ لاعتقاده أن له تصرفاً في الكون، أو أنه يعلم الغيب؛ فإن اتساع السمع لسماع البعيد خاصٌ بالله رب العالمين، الذي يسمع أصوات العباد كلهم [٢].

* * * * *

---

(١) الدرر السنية (١/٥٤١).

(٢) ينظر: الإخنائية (أو الرد على الإخنائي)، لابن تيمية (٣٤٨)؛ ومجموع الفتاوى (١/٢٦٥، ٣٥٠)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٦).

قال المصنف رحمه الله: **(وَدَلِيلُ الْخَوْفِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1])**.

الشرح الإجمالي

(ودليلُ) أن **(الخوف)** عبادة من العبادات لا يصرف إلا لله: **(قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾)**، أي: المشركين، فنهى عز وجل عن الخوف من غيره، ثم قال: **(﴿وَخَافُونِ﴾)**، وهذا أمر بالخوف من الله جل وعلا، فـ**(﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾)** بي، فخافوني ولا تخافوهم، وهذا الدليل فيه أن الخوف من غير الله منهي عنه، وأن الخوف من الله جل وعلا مأمور به [2].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف فيما سبق أنواعاً من العبادات؛ كالخوف، والرجاء، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والتوكل، والذبح، والنذر إلى آخره؛ وهذا مع ما سبق شروعٌ من المصنف -رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة- في بيان أدلة كون تلك التي ذكر من أنواع العبادات، فكأنَّ قائلا قال: ما الدليل على أن هذه من العبادات التي من صرَفها لغير الله جل وعلا كَفر؟ فأتى بالأدلة على ذلك، والأدلة التي سيوردها المصنف على نوعين:

النوع الأول: أن يُستَدل بدليل يُثبت كون تلك المسألة من العبادة، فيُثْبتُ كون الخوف من أنواع العبادة، ويثبت كون الرجاء من العبادة، فإذا ثَبَت كونه من العبادة، أُستدل بالأدلة السابقة كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٧٥].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٧)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٧).

﴿ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي﴾[(٢)]، ونحوها من الأدلة العامة الدالة على أن من توجه بالعبادة لغير الله فهو مشرك؛ فهذا النوع من الأدلة متركب من شيئين:

أحدهما: أن يقام الدليل على أن هذه المسألة من العبادة؛ فيُستدل على أن الخوف من العبادة، وعلى أن الرجاء من العبادة.

والآخر: إذا استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة، فيُستدل بالأدلة العامة على أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك.

النوع الثاني: خاص؛ وهو أن كل نوع من تلك الأنواع من العبادات له دليل خاص، يُثبت أن صرفه لغير الله جل وعلا شرك، وأنه يجب إفراد المولى جل وعلا بذلك النوع من أنواع العبادة.

وسيأتي ذكر المصنف لهذه الأدلة، وبعضها من النوع الأول، وبعضها من النوع الثاني[(٣)].

قال المصنف: (**ودليل الخوف؛ قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾**): ابتدأ المصنف فيما سبق بعبادة الدعاء، **وهنا ذكرَ دليل العبادة الثانية: وهي عبادة الخوف**، والخوف من العبادات القلبية، بل هو ركن العبادة الأعظم، ولا يستقيم إخلاص الدين لله إلا به[(٤)].

والخوف: هو توقع المكروه في المستقبل[(٥)].

---

(١) سورة الجن، الآية [١٨].

(٢) سورة غافر، الآية [٦٠].

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٨).

(٤) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٧).

(٥) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/٥١٣)؛ وبلغة السالك لأقرب المسالك، للصاوي (٤/٤٣٨).

وفي الشرع هو: فرار القلب إلى الله ذُعراً وفزعاً[١].

والآية التي ساقها المصنف دليلٌ على أن الخوف عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، وذلك من وجهين:

الأول: أن الله جل وعلا نهى عن الخوف من غيره وأمر بالخوف منه، وما دام أنه جل وعلا أمر بالخوف منه؛ فإنه يصدق على الخوف تعريف العبادة: (أنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه)؛ لأنه جل وعلا لا يأمر شرعاً إلا بما هو محبوب له ومرضيٌ عنده، فيصدق عليه تعريف العبادة، وقد دلت الأدلة العامة على أن من صرف شيئا من العبادة لغير الله فهو مشرك، وهذا دليل من النوع الأول.

الثاني: أنه جل وعلا قال: ﴿**وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾، فجعل حصول الإيمان مشروطًا بالخوف منه سبحانه وتعالى، فمن لم يأت به لم يأت بالإيمان الواجب، والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافون ولا تخافوهم، وهذا يدل على وجوب إفراد الله تعالى بالخوف المراد في الآية، فإذا خاف الإنسان غير الله سبحانه خوف تعبد وتأله مستقر بالقلب يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية، فإن هذا الخوف من أنواع الشرك؛ لأن الله جل وعلا جعله من مقتضيات الإيمان، فمن صرف هذا لغير الله تعالى فليس بمؤمن، وهذا دليل من النوع الثاني[٢].

والخوف الذي يجب إفراد الله جل وعلا به، ومن لم يفرد الله جل وعلا به فهو مشرك كافر، هو نوع من أنواع الخوف، وليس كل أنواعه، وهو خوف

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٩)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٨).

العبادة، وخوف العبادة هو: الخوف الذي يكون فيه الذل والتعظيم؛ بأن يخاف من غير الله خوف تعبدٍ بكمال ذل ومحبة، فيخاف منه وهو يعظمه[١]؛ أو أن يخاف غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى[٢]، كأن يخاف من ميت، أو غائب حي لا سبب له أن يصيبه بمكروه؛ أو يخاف من حي حاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأنه سوَّى غير الله تعالى بالله فيما هو من خصائص الله، إذ خاف من المخلوق خوفه من الله جل وعلا[٣]؛ ويسمي هذا النوع من الخوف بـــ "خوف السر"، وهو أن يخاف أن يُصيبه المَخوفُ منه بشيء في نفسه-يعني في نفس ذلك الخائف- كما يصيبه الله جل وعلا بأنواع المصائب من غير أسباب ظاهرة، ولا شيء يمكن الاحتراز منه [٤]؛ يعني: أن يعتقد أنَّ عنده قوة وتَصَرُّف بحيث يؤذيه بدون سبب، فيخاف من أجل قدرة خاصة سرية ليست حسب الحس؛ **فخوف السر**: الذي ذكره بعض أئمَّة الدَّعوة النَّجْدية؛ كالشَّيْخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد، ثُمَّ تَبعَه جماعةٌ، لا يُريدُون به -كما فَهِمَه بعضُ أهل العَصْرِ واسْتنكرَه- بأنَّه هو الخوفُ الذِي يقع في الباطن، حيثُ فَهِمَ مِن **(السِّرِّ)** باطِنَ الإنسانِ، واعترضَ على ذلك بأنَّ الخوفَ أصْلًا محلُّه الباطنُ؛ فإنَّ أئمةَ الدعوةِ لا يُريدُون هذا الْـمَعْنَى، وإنَّما

(١) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان (١٣٣).

(٣) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله القصير (٥١).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٠).

الْـمُرادُ بالسِّرِّ: القُدرةُ على التأثيرِ؛ كما يعتقده بعضُ أهلِ الخرافةِ في مُعَظِّميهِم مِن أدعياءِ الأولياءِ، بأن يعتقِدُوا أنَّ لهم قدرةً على التأثيرِ ولو بَعُدُوا؛ فمثلُ هذا يُقال فيه: خوف السِّر، وهذا هو معنى السِّر الذي يُذكَرُ في كلام أهل البدع؛ كما يُقال في دعائهم: **(فُلانٌ قدَّس اللهُ سِرَّهُ)**، فإن مرادهم: عَظَّم اللهُ تأثيرَه في النَّفع والضُّرِّ، والْفُرقان بين دعاءِ أهل السنةِ وأهلِ البدعة في هذا الْمقَام؛ أنَّ أهل السنة يقولون في حقّ الـميِّتِ الـمُعظَّم: **(قدَّس اللهُ رُوحَه)**؛ أي: نزَّهها وطَّهرها ورفعَ منزلَتَها؛ وأما أهلُ البدعِ فيقولون: **(فلان قدَّس اللهُ سِرَّهُ)** ويُريدون به الْـمَعْنَى الذِي تقدَّم [(١)]؛ فخوف السر هو الخوف الذي يتقرَّب ويتعبد به الخائف للمَخُوف منه؛ كما كان المشركون يخافون آلهتهم خوف السر؛ أن يصيبهم ذلك الإله، وذلك السيد، أو الولي، كما يصيبهم الله جل وعلا بالأشياء، فيقع في قلوبهم الخوف من تلك الآلهة من جنس الخوف الذي يكون من الله جل وعلا؛ وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله جل وعلا: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [(٢)]، فقوله: ﴿**وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ**﴾؛ لأنهم يخافون آلهتهم هذا النوع من الخوف، لهذا تجد قلوبهم معلقة بآلهتهم، لأنهم يخافونهم خوف السر، وقال جل وعلا مخبراً عن قول قوم هود حيث قالوا

---

(١) فوائد من تقريرات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي، على شرح ثلاثة الأصول، للعلامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله، مفرغٌ، ومنشور على الشبكة العنكبوتية.

(٢) سورة الأنعام، الآية [٨١].

لهود عليه السلام: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[١]، يعني بمصيبة في نفسك، فهم خافوا الآلهة؛ لأنها عندهم تصيب بسوء[٢]، وهذا النوع من الخوف هو الذي يختص الله -عز وجل- به، فهذا الخوف لا يكون إلا لله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر؛ لأنه ليس هناك من يُصيب من يشاء بما يشاء بقدرته غير الله جل وعلا [٣]، فلا أحد يوجد المسببات بدون مباشرة الأسباب إلا الله عز وجل، فهو الذي يقول للشيء كن فيكون؛ فإن الله جل وعلا له الملكوت كله، وله الملك، وهو على كل شيء قدير، بيده تصريف الأمر، يرسل ما يشاء من الخير، و يمسك ما يشاء من الخير، يرسل المصائب، وكل ذلك دون أسباب يعلمها العبد، وقد يكون لبعضها أسباب [٤]؛ أما إذا كان الخوف ليس خوف اعتقاد، وإنما ناتج عن ضعف الإنسان، وكان له سبب ظاهر، أو كان له سبب طبيعي؛ فهذا من أنواع الخوف الجائزة، وهو الخوف الجبلي: الذي قام سببه؛ كخوف الإنسان من السبع أو النار أو الغرق أو العدو، أو الخوف من الدخول في الأماكن المهجورة أو في الظلام أو نحو ذلك، فيخاف من الأسباب العادية التي جعل الله فيها ما يخاف ابن آدم منه، فهذا يدخل في الخوف الطبيعي الذي يخشاه الإنسان ولا يدخل في الخوف الشركي[٥]؛ لأنه مما جبَلَ الله جل وعلا الخلق

---

(١) سورة هود، الآية [٥٤].

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٢).

(٣) الشرك في القديم والحديث (١٠٨٦/٢).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٠).

(٥) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٣).

عليه، وهذا لا يلام عليه ما لم يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، فهنا يكون الخوف محرماً [١]، ومثله الخوف الذي يكون من سلطة متسلط ظالم أن يناله بظلمه، ولكنه لا يعظمه، وإنما يخاف من بطشه، وقلبُهُ يُبغضه ويكرهه، فهذا ليس من العبادة [٢].

❋ ❋ ❋ ❋ ❋

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٧).

(٢) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٢).

قال المصنف رحمه الله: (**ودليل الرجاء؛ قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن (الرجاء) عبادة لا تصرف لغير الله (قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾**)، يعني: يطمع في ملاقاة الله عز وجل، والرجوع إليه، ورؤيته عيانًا يوم القيامة: (**﴿فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾**)، وهو الخالص من الرياء، الموافق لشرع الله عز وجل، (**﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾**)، أي: لا يجعل مع الله شريكاً في عبادته[2].**

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة الثالثة، وهي: الرجاء**، والرجاء: توقع العبد أن يحصل له الخير، فتوقع الخير من الله عبادة، وهو من معنى أن الله يجلب المنافع لعباده، وكل إنسان يرجو رحمة ربه وعفوه، ويخاف من ذنوبه، وهذا من أفضل العبادة[3]، فالرجاء عبادة قلبية حقيقتها الطمع والرغبة في الحصول على شيء مرجو[4]، **ورجاءُ الله شرعاً هو:** أملُ العبد بربه في حصول المقصود مع بذل الجهد وحسن التوكل[5]، وذكَرَ المصنفُ الرجاءَ بعد الخوف؛ لأنه قرينُه،

---

(١) سورة الكهف، الآية [١١٠].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٧)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٥).

(٣) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٣).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٥).

(٥) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

فالإنسان له جناحان يطير بهما، الخـوف والرجاء، وبهما يبلغ المأمن[١].

قال المصنف: (**ودليل الرجاء؛ قوله تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾)، ووجه الاستدلال من الآية على أن الرجاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى: أن الله جل وعلا امتدح من قام به هذا الرجاء، وهو من يرجو لقاءه، وجعل طريق ذلك العمل الصالح، وترك الشرك؛ فدلَّ على أن هذا النوع من الرجاء محبوبٌ لديه مرضيٌّ عنده، فيصدق عليه حدُّ العبادة من أنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ لأن في الآية الثناء على من قام بذلك الرجاء، وإذا كان كذلك، فإن تعريف العبادة ينطبق على الرجاء المراد هنا، فهو عبادة يجب صرفها لله تعالى وحده [٢].

وهناك وجه آخر للاستدلال من الآية على كون الرجاء عبادة، وهو: أن الله جل وعلا أمر بالعمل الذي هو علامة الرجاء الحقيقي؛ فدل على أن الرجاء عبادة، ولما كان الرجاء عبادة صار صرفه لغير الله شركاً [٣].

والرجاء منه ما هو رجاء عبادة؛ ومنه ما ليس من العبادة، **والمقصود ها هنا هو: رجاء العبادة**، وهو الرجاء المتضمن للذل والخضوع، فهذا لا يكون إلا لله عز وجل، ولا يجوز صرفه لغير الله تعالى[٤]، فمن رجا غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله، وطمع منه في شيء لا يملكه إلا الله عز وجل، فهو مشرك

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٣٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٥).

(٣) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ٥١٧).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٧٩).

الشرك الأكبر[١] ؛ فهناك من الرجاء ما هو مختص بالله تعالى، بمعنى أن المرجو فيه لا يصلح إلا لله تعالى؛ كرجاء كشف الضر والسوء وتحويله، وإجابة المضطر، وإنزال المطر من السماء، وبسط الرزق، وإعطاء الذرية، ومغفرة الذنوب، ونحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى[٢]، فهذه أنواع من الرجاء، لا تُرجى وتُطلب وتؤمل إلا من الله جل وعلا، وهذا هو معنى رجاء العبادة [٣] ؛ أما إذا كان الرجاء لشيء، ممن يملك ذلك الشيء، فإن هذا رجاءٌ طبيعي؛ وليس هو رجاء العبادة [٤].

وإذا ثبت أن الرجاء عبادة؛ فيجب على العبد أن يُعلق رجاءه بالله وحده، ولا يتعلق بمخلوق، ولا بقوة العبد ولا بعمله؛ فإن تعليق الرجاء بغير الله شرك، وإن كان الله تعالى قد جعل له أسبابًا، فالسبب لا يستقل بنفسه، بل لابد له من معاون، ولابد أن يُمنع المعارض المعوق له، وهو لا يحصل ولا يبقى إلا بمشيئة الله تعالى [٥].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (ودَلِيلُ التَّوَكُّلِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٨).

(٢) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني (٢/٦٤)، اعتنى به: نبيل صلاح سليم، الناشر: دار التوحيد للتراث، مصر، ط. الأولى: ١٤٣١هـ.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٥).

(٤) المصدر السابق؛ وينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٠).

(٥) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٠/٢٥٦).

مُّؤۡمِنِينَ﴾[(١)]**، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾** [(٢)]**).**

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(التوكل)** عبادة لا يصرف إلا لله: **(قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾)**، أي: عليه وحده لا على غيره، **(﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾)** وفوضوا أموركم إليه، **(﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾)** به، والمُعلَّقُ على الشرط يعدم عند عدمه، وهذا يدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل، فمن لا توكل له لا إيمان له، **(و)** الدليل الآخر على أن التوكل عبادة لا يصرف إلا لله: **(قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾)** ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه، **(﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾)**، أي: كافيه [(٣)].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف دليل العبادة الرابعة، وهي: التوكل، ومعنى: توكل عليه، أي: استسلم إليه، واعتمد عليه، وفوضَّ إليه أمره[(٤)].

والتوكل على الله شرعاً هو: إظهار العبد عجزه لله، واعتماده عليه في حصول النتيجة بعد فعل الأسباب [(٥)].

والتوكل عبادة من أجلِّ أنواع العبادة، وأعلى مقامات التوحيد، **قال ابن**

---

(١) سورة المائدة، الآية [٢٣].

(٢) سورة الطلاق، الآية [٣].

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٧٩).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٠٦٣)؛ والصحاح، للجوهري (١٣٧١/٢)؛ وكتاب العين، للفراهيدي (١٠٦٦)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الأولى: ١٤٢١هـ.

(٥) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٢).

القيم -رحمه الله تعالى- : «التوكل نصف الدين ، والنصف الثاني الإنابة ؛ فإن الدين استعانة وعبادة ، فالتوكل هو : الاستعانة ، والإنابة هي : العبادة ، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها»[١].

وحقيقة التوكل : صدق التفويض والاعتماد على الله في جميع الأمور مع الأخذ بالأسباب المشروعة ، وعدم الاعتماد عليها [٢].

فالتوكل هو ما يجمع شيئين :

الأول : تفويض الأمر إلى الله جل وعلا ، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره ، ولا شيء إلا بما قدَّره وأَذن به كوناً ؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والثاني : عدم رؤية السبب الذي فُعل بعد فعله.

فلا يجوز للعبد أن يتخلى عن بذل السبب ؛ لأن بذل السبب من تمام التوكل ، ولكنه لا يُلتفت إلى السبب ، فالعبد المؤمن إذا فعل السبب ، وهو جزء بما تحصل به حقيقة التوكل ، فإنه لا يلتفت لهذا السبب ، لأنه يعلم أن هذا السبب لا يحصل المراد به وحده ، وإنما قد يحصل المراد به ، وقد لا يحصل ، ولا تنافي بين التوكل على الله والأخذ بالأسباب ، فيعمل العبد بالأسباب التي أُمِر بعملها ، ولكن مع عدم الركون إليها ، وإنما يعتمد على الله وحده[٣]. قال **ابن القيم** - رحمه الله تعالى- : «من أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام

(١) مدارج السالكين (١١٣/٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٥١).

(٣) ينظر : شرح فتح المجيد ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٥٤/٢) ؛ وشرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٠).

التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها»[١].

قال المصنف: **(ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾)**، ووجه الاستدلال من الآية على أن التوكل عبادة لا يجوز صرفه لغير الله تعالى، من وجوه:

الأول: أن الله جل وعلا أمر بالتوكل عليه، ولا يأمر إلا بما يُحب ويرضى؛ وهذا يدل على أن التوكل على الله جل وعلا عبادة.

الثاني: أن الله جل وعلا جعل التوكل عليه شرطًا للإيمان، فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾، فدَلَّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه، فمن لا توكُّلَ له لا إيمان له، ومعنى ذلك أن الإيمان لا يحصل إلا بالتوكل على الله جل وعلا وحده، فإذا لم يحصل التوكل على الله فليس العبد بمؤمن[٢].

ووجه ثالث: أنه قدم الجار والمجرور العامل مع أن حقه التأخير فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾، وأصل الكلام: (توكلوا على الله)، فقدم المعمول وهو قوله: (وعَلَى اللّهِ) على العامل وهو كلمة: (توكلوا)، وتقديمُ ما حقّه التأخير يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، وهنا يفيدهما، فيكون معنى الآية: احصروا واقصروا وخصّوا توكلكم بالله جل وعلا إن كنتم مؤمنين[٣].

---

(١) مدارج السالكين (٢/١٢٠).

(٢) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩١).

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز

وهذا يدل على أن التوكل عبادة لا يصرف إلا لله جل وعلا.

ثم ذكر المصنف دليلاً آخر في الاستدلال على أن التوكل عبادة، وهو: **(قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾)**، ووجه الاستدلال من الآية: أن الله جل وعلا أثنى على من يتوكل عليه، وهو سبحانه لا يُثني إلا على عمل يحبه ويرضاه، وما أحبه الله ورضيه فإنه يدخل في أنواع العبادة[1]؛ وهناك وجه آخر للاستدلال على كون المذكور عبادة، وهو: بيان أجره بتولي كفايته، والأجر إنما يقع على عبادة مأمور بها، فما رُتِّب عليه أجر فهو عبادة، فهو دال على أن التوكل عبادة[2].

ومن عادة المصنف ألاَّ يسوق إلا آية واحدة للاستدلال على كل نوع من أنواع العبادة، وهنا ساق آيتين؛ ليُبيِّن في الآية الأولى: الدليل على وجوب التوكل في قوله: ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ وليبين في الآية الثانية: ثواب وجزاء التوكل في قوله: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾، فالمتوكل على الله يُحصِّل مطلوبه ومراده[3].

والدليل هنا مركب من نوعي الاستدلال اللذين تقدم بيانهما، وهما:

الأول: الاستدلال العام؛ وذلك أنه أثْبَت أن التوكل عبادة، فيُستدل بعد ذلك بالأدلة العامة التي يصلح الاستدلال بها في كل ما ثبت أنه عبادة؛ فإذا

آل الشيخ (٩١).

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩١).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣١).

(٣) ينظر: تيسير الوصول إلى شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن حمود الفريح (٤٧)، منشور على الشبكة العنكبوتية؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٣).

استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة، فيُستدل بالأدلة العامة على أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك.

والثاني: الاستدلال الخاص؛ من جهة إثبات أن عبادة التوكل لا تصرف لغير الله جل وعلا بدليل خاص، فهو المستفاد من قوله جل وعلا: ﴿**فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾[1].

والتوكل عبادة قلبية محضة، ولهذا صار إفراد الله بها واجباً، وصار صرفها لغير الله جل وعلا شركاً، بمعنى: أن يفوض الأمر لغير الله جل وعلا [2]؛ فالتوكل يجب إفراد الله سبحانه وتعالى به لفظاً وعقداً [3]:

وأما عقداً: فلا يجوز أن يركن بقلبه وأن يعتمد على غير الله جل وعلا، بل يجب تمحيض الاعتماد وتخليصه من كل نظرٍ إلى مخلوق أو سبب، والمخلوق وإن كان له نوع قدرة فلا يعتمد عليه، ولو كان فيما أقدره الله عليه، بل يعتمد العبد على الله عز وجل وحده، فالتوكل لا يصلح إلا لله عز وجل؛ لأنه تفويض الأمر إلى من بيده الأمر، والمخلوق ليس بيده الأمر، فلا يقدر على شيء استقلالاً، وإنما هو سبب، فإذا كان سبباً، فإنه لا يجوز التوكل عليه، وإنما يجعله سبباً فيما أقدره الله عليه، ويفوض أمر النفع بهذا السبب إلى الله جل وعلا[4]؛ فالتوكل عبادة قلبية، فمن توكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩١).

(٢) المصدر السابق (٩٠).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٣).

(٤) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٨٥)؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٦٠)؛ والشرك في القديم والحديث (١٠٩٩/٢).

الله، فذلك هو الشرك الأكبر، ومن توكل على غير الله فيما أقدره الله عليه، فذلك هو الشرك الخفي الأصغر، فالتوكل على غير الله تعالى له صورتان:

إحداهما: الاعتماد بالقلب على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا، وهو شرك أكبر، كمن يتوكل على المخلوق في مغفرة الذنب، أو تحصيل الخيرات الأخروية، أو يتوكل على المخلوق في تحصيل الولد أو الشفاء، وهو لا يقدر على ذلك الشيء، وهذا يكثر عند عباد القبور والأولياء.

وثانيهما: الاعتماد بالقلب على الأحياء الحاضرين القادرين فيما يقدرون عليه، مما أقدرهم الله جل وعلا من جلب نفع أو دفع ضر، وهو شرك أصغر[1].

وأما لفظاً: فلا يجوز أن يقال: توكلت على فلان، وإنما تقول: وكلت فلاناً؛ لأن التوكل كله عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله[2]؛ وكذلك لا يجوز أن يقال: توكلت على الله ثم على فلان[3]؛ لأن المخلوق ليس له نصيب من

---

(١) المصادر السابقة.

(٢) ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/١٧٠)؛ وتيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن محمد بن عبدالوهاب (٢/٩٩٣)؛ والمحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، عبدالله الغنيمان (٢/٧٩٧)، كتبه وخرج أحاديثه: عبدالعزيز بن صالح الحماد، الناشر: دار ابن الجوزي، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٦٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٣٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، حمد بن عبدالله الحمد (١٤).

(٣) ينظر: فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/١٧٠)؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٦٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، حمد بن عبدالله الحمد (١٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن سعد أبا حسين (١١٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٦٠).

جاء في الفتاوى، لابن تيمية (٣/٣٩٥): «فكل من غلا في حي؛ أو في رجل صالح كمثل علي رضي الله عنه أو

التوكل، فإن التوكل إنما هو تفويض الأمر والالتجاء بالقلب إلى من بيده الأمر، وهو الله جل وعلا، والمخلوق لا يستحق شيئاً من ذلك.

ويرى بعض أهل العلم: أنه يجوز أن يُقال: توكلت على الله ثم على فلان؛ إذا كان في أمر يقدر عليه [(١)]؛ لأن التوكل على العبد بعد التوكل على الله جل وعلا تفويضٌ للعبد فيما يقدر عليه، فالله له مشيئة، والعبد له مشيئة، ومشيئة العبد تابعة لمشيئة الله تعالى [(٢)].

وهناك شيء آخر ليس من توكل العبادة، وهو التوكيل المعروف في باب الوكالة عند الفقهاء، **والوكالة هي**: الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه، فهذا جائز أن يوكل أحدًا يقضي له حاجة، وقد وكل النبي ﷺ من ينوبون عنه في بعض الأعمال، فالتوكيل والوكالة باب آخر، أما التوكل فهو عبادة قلبية، ويضبط ذلك أن الوكالة فيها المعنى الظاهر؛ أما التوكل فهو عمل

(عدي) أو نحوه؛ أو فيمن يعتقد فيه الصلاح؛ كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القتي ونحوهم، وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول: كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده، أو يقول إذا ذبح شاة: باسم سيدي، أو يعبده بالسجود له أو لغيره، أو يدعوه من دون الله تعالى؛ مثل أن يقول: يا سيدي فلان اغفر لي، أو ارحمني، أو انصرني، أو ارزقني، أو أغثني، أو أجرني، **أو توكلت عليك،** أو أنت حسبي، أو أنا في حسبك، **أو نحو هذه الأقوال والأفعال؛ التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى،** فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل؛ فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلها آخر».

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٣٧٧)؛ والتعليقات البهية على الرسائل العقدية، أحمد بن يحيى النجمي (١٢٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ٣٧٧).

قلبي [١]، فيجوز أن يسند إلى أحد من الخلق تصرفًا، لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكّل فيه، فلا يتوكل عليه، بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه إما بنفسه أو بنائبه، وهذا لا يسمى توكلًا إنما يسمى توكيلًا [٢].

* * * * *

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩١).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٨٥).

قال المصنف رحمه الله: (**وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(الرغبة)** فيما عند الله، **(والرهبة)** من عذابه، **(والخشوع)** والخضوع له وحده: من أنواع العبادة، ما ذكره الله تعالى عن الأنبياء والصالحين في معرض الثناء عليهم في **(قوله تعالى:** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ﴾**)**، ويسابقون (﴿فِي الْخَيْرَاتِ﴾)، والطاعات وعمل القربات، (﴿وَيَدْعُونَنَا﴾) وحدنا، ويسألوننا (﴿رَغَبًا﴾) ورجاء فيما عندنا من الثواب، (﴿وَرَهَبًا﴾) وخوفاً منا ومما عندنا من العقاب، (﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾) خاضعين متذللين متضرعين، وهذا من كمال معرفتهم بربهم [2].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف مجموعة من العبادات، **فذكر العبادة الخامسة وهي: الرغبة**، والرغبُ في الشيء: الميل إليه، والإرادة له بالحرص عليه[3]، وفي اللسان: «الرغباء: الضراعة والمسألة»[4]، فالرغبة: السؤال والتضرع والابتهال، مع

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [٩٠].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٩٣).

(٣) الصحاح، للجوهري (١/١٥٩)؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي، مادة (ر غ ب)؛ وينظر: الكليات، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (٤٨٢)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الثانية: ١٤١٩هـ.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، مادة (ر غ ب).

محبة الوصول إلى الشيء المحبوب[١]، فإذا كان يدعو وعنده قوة لحصول مطلوبه فهذه رغبة[٢]، فالرغبة، هي: الرجاء المؤكد الذي معه حب وخضوع لمن يرجوه، وهذا لابد منه في جميع العبادات، فيرجو رجاء متضمناً للذل والخضوع الذي معه التعظيم[٣].

والرغبة إلى الله شرعاً هي: إرادة مرضاة الله في الوصول إلى المقصود محبة له ورجاء[٤]، وقد أَمرَ الله نبيه محمداً ﷺ أن يرغب إليه وحده جل وعلا فقال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾[٥][٦].

ثم ذكر المصنف العبادة السادسة، وهي: الرهبة، وأصل الرهبُ لغة: الخوف[٧]، فالرهبة: الخوف المثمر للهرب من الشيء المخوف، فهي خوف مقرون بعمل[٨]، قال الراغب: «الرهبة: مخافة مع تحرز واضطراب»[٩]؛ ولذا فهي أخص من الخوف، فالخوف هربٌ من المكروه؛ وأما الرهبة فهي الإمعان

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٤)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٨٧).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٤).

(٣) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٥).

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

(٥) سورة الشرح، الآية [٨].

(٦) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

(٧) الصحاح، للجوهري (١/١٦١)؛ والعين، للفراهيدي (٣٧٢).

(٨) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٥٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٤).

(٩) مفردات ألفاظ القرآن (٣٦٦).

في الهرب من المكروه [١].

والرهبة من الله شرعاً هي: فرار القلب إلى الله ذعراً وفزعاً، مع عمل ما يرضيه[٢].

والفرق بين الرغبة والرهبة، هو: أن الرغبة رجاء خاص؛ فالرجاء طمع، والرغبة طلب، فإذا قوي الطمع صار طلباً [٣]؛ أما الرهبة فهي: خوف خاص ووَجَلٌ خاص، فالرغبة نوع من الرجاء، وهي: أعلاه، والرهبة نوع من الخوف، وهي: منتهاه [٤]، فالرغبة والرهبة كل منهما ملتئم من الرجاء والخوف، والرجاء على الرغبة أغلب، والخوف على الرهبة أغلب [٥].

ثم ذكر المصنف العبادة السابعة، وهي: الخشوع، والخشوعُ في اللغة: الخضوع، والخضوع هو: التطامن والتواضع[٦]، فالخشوع سكونٌ فيه ذل وخضوع، إلا أن الخضوع يغلب أن يكون في البدن، والخشوع يكون في البدن والصوت والبصر[٧]، فالخشوع أبلغ من الخوف؛ لأنه يكون في القلب، وهو محل الخشوع، ويكون في البصر بأن تذرف العين وتدمع، ويكون في السمع بأن

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (١/٥٠٨)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ.

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٧).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٥٦).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٤).

(٥) مدارج السالكين، لابن القيم (١/١٥٨).

(٦) الصحاح، للجوهري (٢/٩٣٤).

(٧) لسان العرب (٨/٧١)؛ والعين، للفراهيدي (٢٤٦)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٤).

يخشع ؛ كما قال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾[(١)] ، وقال تعالى : ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾[(٢)] .

والخشوع لله شرعاً هو: فرار القلب إلى الله ذعراً وفزعاً مع الخضوع له[(٣)] .

ثم ذكر المصنف : دليل كون الرغبة والرهبة والخشوع عبادات لا يجوز صرفها لغير الله تعالى ، **وهو قوله تعالى :** ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ ، ووجه الاستدلال من الآية : أن الله جل وعلا أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سورة الأنبياء بأنهم يدعونه راغبين راهبين ، ويكون مع الدعاء خشوع القلب والأبصار والسمع ؛ والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة[(٤)] ، فأثنى عليهم بأنهم ذوو رغب ، وذوو رهب ، وذوو خشوع لله جل وعلا ، فدل ذلك على أن هذه الأفعال محبوبة لديه مرضية عنده ، فتدخل في حد العبادة ؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، فدلت الآية على أن هذه الثلاثة الأنواع من أجلّ أنواع العبادة ، فمن صرف شيئاً منها لغير الله فهو مشرك كافر[(٥)] ؛ وهكذا حال المشركين عند آلهتهم ، وحال عباد القبور عند المشاهد ؛

---

(١) سورة طه ، الآية [١٠٨].

(٢) سورة القلم ، الآية [٤٣].

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالله العصيمي (٣١).

(٤) ينظر : شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين (٦٠) ؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول ، عبدالله الغنيمان (١٠٧).

(٥) حاشية ثلاثة الأصول ، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩-٤٠).

فإنه يكون عندهم وَجَلٌ خاص ورهبة، ومزيد رجاء وهو الرغبة، وخشوع وتطامن وعدم حركة وسكون في الجوارح والأنفاس، وحتى في الألحاظ، وهي الرؤية، وهذا كله مما لا يسوغ أن يكون إلا لله جل وعلا [(١)]؛ وهذا الدليل العام من الآية؛ وهناك وجه استدلال آخر من الآية متعلق بالدليل الخاص في الخشوع وحده، وهو قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾؛ حيث قدم الجار والمجرور (لنا) على ما يتعلق به وهو اسم الفاعل (خاشع)، وأصل سبك الكلام: كانوا خاشعين لنا، فلما قدّم ما حقه التأخير كان ذلك مفيدًا للحصر والقصر والاختصاص [(٢)]، فأفاد بأن الخشوع مختص بالله تعالى؛ كما ذكر اختصاصه بالعبادة عمومًا في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[(٣)(٤)]، **والخشوع الشركي:** هو خشوع العبد لغير الله تقرباً إليه ورجاء لما عنده وخوفاً منه [(٥)].

* * * * *

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٤).

(٢) ينظر: المصدر السابق (٩١، ٩٥).

(٣) سورة الزمر، الآية [٦٦].

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٣٩٠).

(٥) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٣٨).

قال المصنف رحمه الله: **(وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ؛ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾[1])**.

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(الخشية)** عبادة من العبادات: **(قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي﴾)**، أي: فلا تخشوا من المشركين، فليسوا أهلاً للخشية، واخشوا وخافوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم؛ فنهى تعالى عن خَشْيَةِ غيره خَشْيَةَ العبادة، وأمر بخشيته وحده[2].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة الثامنة وهي:** الخشية، والخشيةُ في اللغة: الخوف[3]، لكنها أخص منه، وتفارقه بأنها خوفٌ يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن عِلْمٍ بما يُخشى منه[4]، فالخشية: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه، وكمال سلطانه[5].

ولذلك خصَّ الله العلماء بها، وحصرها فيهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾[6][7].

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٥٠].

(٢) ينظر: تفسير السعدي (٢٢٠)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٣٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٥٤).

(٣) الصحاح، للجوهري (٢/١٦٩٤)؛ والعين، للفراهيدي (٢٤٧).

(٤) مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (٢٨٣).

(٥) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٠).

(٦) سورة فاطر، الآية [٢٨].

(٧) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٤٥).

والخشية لله شرعاً هي: فرار القلب إلى الله ذعراً وفزعاً مع العلم به وبأمره[(١)].

وإذا اقتَرنَ الخوفُ بالعملِ فهو: **رَهْبَةٌ**؛ وإذا اقترن الخوفُ بالعِلمِ فهو: **خَشْيَةٌ**؛ وإذا اقترنَ الخوفُ بالخضُوعِ والذلِّ فهو: **خُشُوعٌ**؛ فتجتَمِع في الخوفِ، الذِي هو: فرار القلْبِ إلى اللهِ ذُعرًا وفزَعًا، ثم يتزَايدُ بعضُها عن بعضٍ بشيْءٍ مِن الأوصافِ يتغيَّر به حَقيقةُ الشيءِ؛ وبهذا يتبين أن الرهبة والخشوع والخشية ترجع إلى عبادة الخوف، لكن لما تميزت عنها بشيء خرجت إلى معنى آخر، فمثلاً الخشية زادت عن مجرد الخوف بكون العبد عالماً بالله وبأمره، فصارت هذه هي حقيقة الخشية [(٢)]؛ فالخوف والرهبة والخشية مراتب، فأعلاها مرتبة: الخشية، ثم الرهبة، ثم الخوف؛ فكل خاشٍ راهب خائف، وليس كلُّ خائف راهب خاشيا [(٣)].

واستدل المصنف على أن الخشية عبادة **بقوله تعالى:** ﴿**فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى**﴾؛ ووجه الاستدلال من الآية: أنه سبحانه وتعالى نهى المسلمين عن خشية الكفار، وأمر بخشيته وحده لا شريك له، ولا يأمر إلا بما يحب ويرضى[(٤)].

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٨).

(٢) المصدر السابق (٢٨).

(٣) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٤٩).

(٤) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٨٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، عبدالله القرعاوي (٦٣).

والخشية من أجلّ أنواع العبادة، وصرفُها لغير الله شرك أكبر[(١)]، **والخشية الشركية هي:** خشية غير الله خشية التعظيم والعبادة والطاعة[(٢)]؛ أو خشية غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا[(٣)]، ويقال في أقسام أحكام الخشية ما يقال في أقسام أحكام الخوف، وقد مضى[(٤)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٠).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز، لابن عطية (١٤٨/٨)؛ وإعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان (٥٤/٢)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الثانية: ١٤٢٢هـ.

(٣) التعليقات البهية على الرسائل العقدية، أحمد بن يحيى النجمي (١٢٢).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦١)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، د. محمد أمان الجامي (٦٢).

قال المصنف رحمه الله: (**وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾**[١]).

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(الإنابة)** عبادة عظيمة: أن الله جل وعلا أمرَ عباده بها في **(قوله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾)** بقلوبكم، وارجعوا إليه بالطاعة، **(﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾)** بجوارحكم، وأخلصوا له التوحيد، فهو ظاهرٌ في أنها عبادة، وأنه يحبها شرعاً وديناً[٢].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة التاسعة وهي الإنابة**، والإنابة هي: الرجوع، وأصل الكلمة في اللغة يدل على اعتياد مكان ورجوع إليه[٣]، والنوب: رجوع الشيء مرة بعد أخرى، يقال: فلانٌ ينتاب فلاناً، أي: يقصده مرة بعد أخرى[٤].

والإنابة إلى الله شرعاً هي: رجوع القلب عما سوى الله جل وعلا إلى الله جل وعلا محبة وخوفاً ورجاءً[٥]، فهي: رجوع مع العمل الذي يتضمن الذل والتعظيم[٦].

---

(١) سورة الزمر، الآية [٥٤].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٩٩).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٩٦٦).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٨٢٧).

(٥) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٧).

(٦) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٠٨).

ومن جميل الترتيب ذكر الإنابة بعد الخشية ؛ لأن الذي يخشى الله لابد أن يخاف عقابه ، فيُنيب إليه[١] ، والإنابة بمعنى التوبة ، ولكنها آكد من التوبة ؛ لأنها توبة مع إقبال إلى الله عز وجل ، فالتوبة إقلاع وندم على ما مضى ، وعزم على أن لا يعود ، والإنابة فيها المعاني الثلاثة ، وتزيد معنى آخر وهو : الإقبال على الله تعالى بالعبادات ، فإذا تجدد له الإقبال بعد توبته فهذا منيب إلى الله تعالى[٢] ؛ ولهذا اقتصر المصنف على ذكر الإنابة ، ولم يذكر التوبة من أنواع العبادة ؛ لأن صورة العبادة بالنسبة للإنابة أوضح من صورتها بالنسبة إلى التوبة ، بسبب زيادة الإقبال على العبادة ، ولأن الإنابة أعم من التوبة[٣].

واستدل المصنف على كون الإنابة عبادة **بقوله تعالى:** ﴿**وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ**﴾ ، ووجه الاستدلال من الآية : أن الله تعالى أمر بالإنابة إليه ؛ ولا يأمر إلا بما هو محبوب عنده مرضيٌ لديه ، فتكون داخلة في تعريف العبادة ، وهذا الدليل العام على كونها من العبادة ، ومادام ثبت كونها عبادة ، فلا يجوز التوجه بها لغير الله تعالى ؛ لأن الأدلة العامة دلت على أن أي نوع من أنواع العبادة لا يجوز أن يُتوجه به لغير الله تعالى ، ومن توجه به لغير الله جل وعلا فقد كفر ، ومن هذه الأدلة العامة قوله تعالى : ﴿**وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا**﴾[٤] ، وقوله : ﴿**وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ**

(١) ينظر : تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول ، د. عبدالرحمن الشمسان (١/ ٤٤٩).

(٢) ينظر : حاشية ثلاثة الأصول ، عبدالرحمن بن قاسم (٤٠) ؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبدالله الفوزان (٩٠).

(٣) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبدالله الفوزان (٩١).

(٤) سورة الجن ، الآية [١٨].

﴿ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[(١)]، ونحو هذه الأدلة[(٢)]. هذا الاستدلال العام، وهناك دليل خاص في أنه يجب إفراد الله جل وعلا بالإنابة، وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٣)]، وهذه الكلمة قالها شعيب عليه السلام، وأخبر الله جل وعلا بها عنه في معرض الثناء عليه، قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾؛ أي: عليه وحده لا غيره توكلت، ومجيء الجارّ والمجرور متقدماً على ما يتعلق به وهو الفعل دالٌ على وجوب حصرها وقصرها واختصاصها بالله جل وعلا، ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ وحده لا إلى سواه؛ أي: أرجعُ محبًّا راجيًا خائفًا عن كل ما سوى الله جل وعلا إلى الله وحده، فلما قدم الجارّ والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل، دل على أن هذه العبادة، وهي: الإنابة مختصة بالله جل وعلا[(٤)]؛ فإذاً الإنابة صارت عبادة بهذا الدليل؛ وأيضاً لأنها شيء متعلق بالقلب، ولا تقوم بالقلب إلا مع أنواع أخر من العبوديات؛ فحقيقة الإنابة رجوع القلب عما سوى الله جل وعلا إلى الله جل وعلا وحده؛ وهذا الرجوع ليس رجوعاً مجرداً، ولكنه رجوع للقلب مع تعلقه ورجائه، فحقيقة الإنابة أنها لا تقوم وحدها، فالقلب المنيب إلى الله جل وعلا إذا أناب إليه فإنه يرجع، وقد قام به أنواع من العبودية؛ منها الرجاء والخوف والمحبة ونحو ذلك، فالمنيب إلى الله جل وعلا هو الذي رجع إلى الله جل وعلا عما سوى الله جل وعلا، ولا يكون رجوعه هذا إلا بعد أن يقوم بقلبه

---

(١) سورة المؤمنون، الآية [١١٧].

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٨).

(٣) سورة هود، الآية [٨٨].

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٨).

أنواع من العبوديات أعظمها محبة الله جل وعلا، والخوف منه، ورجاؤه[(١)].

وإذا ثبت أن الإنابة عبادة؛ فإنه يجب إفراد الله تعالى بها، وقد حصر الله تعالى في آيات عديدة الإنابة إليه وحده؛ كما حكى الله عن أنبيائه عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[(٢)]؛ وحكى الله تعالى عن نبيه شعيب عليه السلام قوله لقومه كما تقدم: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٣)]، وقوله تعالى حكاية عن نبيه محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٤)]، وكان من دعاء النبي ﷺ إذا قام يتهجد من الليل: **(اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت)**[(٥)].

والإنابة الشركية، هي: الإنابة إلى غير الله جل وعلا فيما هو من أمور الشرع والدين؛ كما يفعله كثير من مريدي الشيوخ الذين إذا ارتكبوا الذنوب جاءوا إلى شيوخهم فاعترفوا عندهم، وذلوا وتابوا إليهم، فإذا قَبِلَ الشيخ توبتهم، وإنابتهم، رفعها إلى الله، فتاب عليهم بزعمهم[(٦)].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٩٧).

(٢) سورة الممتحنة، الآية [٤].

(٣) سورة هود، الآية [٨٨].

(٤) سورة الشورى، الآية [١٠].

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التهجد، باب: التهجد بالليل، برقم (١١٢٠)؛ وأخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم (٧٦٩).

(٦) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٤٥٣/١).

﴿نَسْتَعِينُ﴾[(١)]، وفي الحديث: (إذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بالله)[(٢)].

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(الاستعانة)** من أنواع العبادة **(قوله تعالى:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾**)، أي:** **نخصك وحدك بالعبادة، (﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾)، أي: نفردك بالاستعانة بك دون خلقك، فلا يُعْبَدُ إلا الله، ولا يُستعان إلا به جل وعلا؛ (و) أيضاً أَمَرَ النبيُ ﷺ بالاستعانة بالله فقال: في الحديث: (إذا استعنت فاستعن بالله)، فحصر الاستعانة بالله وحده دون غيره** [(٣)].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة العاشرة وهي: الاستعانة**، وقد ذكر الاستعانة بعدما ذكر الإنابة، والاستعانة: طلب العون؛ لأن الألف والسين والتاء في اللغة للطلب، فإذا قيل استعان: فمعناه: طلب الإعانة، وإذا قيل: استغاث، أي: طلب الغوث والعون والمساعدة.

والاستعانة بالله شرعاً هي: طلبُ العون من الله في الوصول إلى المقصود[(٤)]، وطلب العون من الله جل وعلا يكون على الأمور الدينية وعلى

---

(١) سورة الفاتحة، الآية [٥].

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة برقم (٢٥١٦)، وقال: "هذا حديث حسنٌ صحيح".

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤١)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٠).

(٤) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٨).

الأمور الدنيوية[1].

واستدل المصنف على عبودية الاستعانة بآية وحديث، فقال: **(ودليل الاستعانة قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾):** وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، أي: لا نعبد إلا أنت، وأفاد أن العبادة خاصة بالله جل وعلا، وهذا دليل عام في العبادات جميعاً؛ ثم قال بعدها، وهو مراد المصنف بالاستدلال: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقد ذكر الله في كتابه الاستعانة بعد العبادة؛ لأنها فرعُ الإقرار بعبودية الله سبحانه وتعالى، فإن من أقرَّ بأن الله هو المعبود طلبَ العون منه وحده؛ لأن المعبود هو الكامل في أوصافه [2]؛ ولأنه لا يمكن أداء العبادة على وجهها الصحيح دون الاستعانة بالله سبحانه وتعالى[3]، **ووجه الاستدلال من الآية:** أن الله تعالى قدم المعمول: (إياك)، على العامل الذي هو (نعبد)، وأصل الكلام (نَعْبُدُ إِيَّاكَ)، وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر والاختصاص، أي: نستعين بك وحدك دون كل من سواك، فحصر الاستعانة بالله جل وعلا، وذلك في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يجوز صرفها لغير الله، إذ هي مختصة بالله جل وعلا[4]، وهناك وجه آخر من الآية يدل على كون الاستعانة عبادة، وهو: نسبة التقرب بها إلى المؤمنين

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٣٤).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٠)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٣٤).

(٣) إتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول، عبيد بن عبدالله الجابري (٧٥).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٠).

من الأنبياء وغيرهم، وأفعال المؤمنين من القُرب عبادات(١)؛ فأثبت في هذا الدليل أنه لا يجوز صرف الاستعانة لغير الله؛ إذ هي مختصة بالله جل وعلا؛ وأثبت أنها عبادة؛ فصرفها لغير الله تعالى شرك وكفر(٢).

ثم ذكر المصنف أيضاً في أدلتها: **حديث: (إذا استعنت فاستعن بالله)،** وفي هذا الحديث حَصَر الاستعانة بالله وحده دون غيره من الخلق، وهو يدل على أن الاستعانة عبادة؛ للأمر بها، فإنه لا يؤمر إلا بما يُعبد به الله جل وعلا(٣)؛ ثم إن الأمر بالاستعانة بالله جاء في جواب الشرط (إذا)، فصار مُتَرتباً مع ما قبله لما يفيد الحصر والقصر، يعني: إذا كنت متوجهاً للاستعانة فلا تستعن بأحد إلا بالله جل وعلا؛ فلما أَمر به علمنا أنه من العبادة، ثم لما جاء في جواب الشرط أفاد الحصر(٤).

والاستعانة فيها معنى الطلب، وما كان فيها معنى الطلب من العبادات، فإنه يصلح دليلاً لها كل ما فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بالطلب والسؤال، فأي دليل فيه وجوب إفراد الله جل وعلا بالدعاء يصلح دليلاً بإفراد الله جل وعلا بأنواع الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٥)؛ فإنه يصلح

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣١).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠١).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣١).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٣).

(٥) سورة غافر، الآية [٦٠].

دليلاً للاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، ونحو ذلك[1].

والاستعانة بالله جل وعلا تتضمن ثلاثة أمور:

الأول: كمال الخضوع والتذلل لله تعالى.

والثاني: الثقة بالله جل وعلا، واعتقاد كفايته.

والثالث: الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وتفويض الأمر إليه؛ وهذه لا تكون إلا لله جل وعلا، فمن استعان بغير الله محققًا هذه المعاني الثلاثة فقد أشرك مع الله غيره[2].

فالاستعانة الشركية هي: الاستعانة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كالاستعانة بالأموات، أو بالأحياء الغائبين، أو بالأحياء الحاضرين على أمر لا يقدرون عليه فهذا شرك؛ لأنه إذا استعان بالميت أو بحي على أمر بعيد غائب عنه لا يقدر عليه؛ فهذا لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفًا في الكون، وأن مع الله مدبرًا[3].

وإفراد الله بالاستعانة وإخلاص الاستعانة به سبحانه دون غيره كل هذا في استعانة العبادة؛ أما الاستعانة بالمخلوق في الأمور العادية فلا بأس به، مادام

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٤).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٢)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٩٢).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٣)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٩٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٢)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٥٩).

المستعان به حياً حاضراً قادراً على الإعانة [١] ؛ كما طَلَبَ ذو القرنين من الذين اشتكوا إليه يأجوج ومأجوج الإعانة حتى يبني لهم السد ، كما في قوله تعالى : ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[٢] ، فالاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر على أمر قادر عليه ، أو وهو غائب ويُتَصلُ به إما مباشرة أو بكتاب ؛ فهذا ليس محذوراً ، ولكن تركه من كمال إيمان العبد ، ولذلك كان الأصل في سؤال الناس وطلبهم النهي [٣].

* * * * *

---

(١) شرح الأصول الثلاثة ، عبدالعزيز الراجحي (٥٩) ؛ وينظر : مجموع الفتاوى ، لابن تيمية (١/٣٥٧).

(٢) سورة الكهف ، الآية [٩٥].

(٣) ينظر : شرح الأصول الثلاثة ، د. خالد المصلح (٣٤) ؛ وإتحاف العقول بشرح الثلاثة الأصول ، عبيد بن عبدالله الجابري (٧٥) ؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول ، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٥٩).

قال المصنف رحمه الله: **(وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾[١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾[٢])**.

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(الاستعاذة)** من أنواع العبادة: **(قوله تعالى: ﴿قُلْ﴾)** يا أيها النبي متعوذاً، والخطاب أيضاً لجميع أمته: **(﴿أَعُوذُ﴾)**، أي: أعتصم و ألتجيء **(﴿بِرَبِّ﴾)**، وخالق، **(﴿ٱلْفَلَقِ﴾)**، وهو الصبح، **(و)** من الأدلة أيضاً: قوله تعالى: **(﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ﴾)**، وخالق **(﴿ٱلنَّاسِ﴾)**[٣].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة الحادية عشرة، وهي: الاستعاذة**، والاستعاذة: طلب العوذ، والعوذ في اللغة: اللجوء والالتجاء للشيء[٤]، وحقيقتها: طلب الالتجاء إلى من يمنعك من محذور تخافه من أجل أن يدفع عنك هذا الشيء [٥].

والاستعاذة بالله شرعاً هي: طلب العوذ من الله عند ورود المُخوِّف[٦]، ويدخل في الاستعاذة بالله جل وعلا: الاستعاذة بأسمائه وصفاته [٧].

---

(١) سورة الفلق، الآية [١].

(٢) سورة الناس، الآية [١].

(٣) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٣).

(٤) الصحاح، للجوهري (١/٤٧١)؛ ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦٩٣).

(٥) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، صالح الفوزان (١٧٤).

(٦) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٨).

(٧) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/٣٣٦).

واستدل المصنف على كون الاستعاذة عبادة بـــ: **(قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾)**، ووجه الاستدلال من الآيتين: أن الله جل وعلا أَمر نبيه الكريم أن يستعيذ به، وما دام أنه أُمر بها فهي عبادة؛ لأنه سبحانه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه، فأَمر بالاستعاذة به فدل على أنها عبادة[1].

والاستعاذة الشركية، هي: الاستعاذة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا؛ فإذا استعاذ بميت، أو بغائب، أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك[2]، واختلف العلماء في الاستعاذة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه؛ كأن يُقال له: أعوذ بك من شرك، أو أعوذ بك من شر فلان وهو يستطيعه، أو أعوذ بالله ثم بك، وذلك على قولين، وهما قولان مشهوران ويُفتى بهما[3]:

القول الأول: أن الاستعاذة لا تصلح إلا بالله وحده، ولا يُستعاذ بمخلوق مطلقاً، ولو كان فيما يقدر عليه، فلفظ الاستعاذة كلفظ التوكل لا يكون إلا بالله وحده، فكما أنه لا يجوز أن يقال: توكلت على فلان، أو يقال: توكلت على الله ثم على فلان؛ لأن التوكل كله عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله؛ فلا يجوز كذلك أن يُقال: يافلان أعوذ بك، أو أعوذ بالله ثم بك[4]؛ لأن الاستعاذة: توجه القلب واعتصامه، والتجاؤه، ورَغَبه، ورَهَبه، ففيها هذه

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٧).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٤)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٩٥)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٦٩).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٧).

(٤) ينظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، عبدالله الغنيمان (١/٣٣٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، حمد ابن عبدالله الحمد (١٤).

المعاني جميعاً، وهذه المعاني جميعاً لا تصلح إلا لله جل وعلا[(١)]، ففي الاستعاذة: الالتجاء والاحتماء بالقلب أولاً قبل القول وقبل الفعل، وما يقوم بالقلب من الالتجاء والانطراح بين يدي الله، والخضوع له، هذا لا يجوز أن يكون شيء منه لغير الله أصلاً؛ لأنه هو العبادة والتأله؛ ولأن الذي يُطلب منه الشيء يجب أن يكون مالكاً له، والمخلوق لا يملك إلا ما ملَّكه الله جل وعلا، فالمخلوق ضعيف، ولا يستطيع أن يمنع حتى شر ولده[(٢)].

قال ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: «والاستعاذة لا تصح بمخلوق، كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة؛ وذلك مما استدلوا به على أن كلام الله غير مخلوق؛ ولأنه قد ثبت في الصحيح[(٣)] وغيره عن النبي ﷺ أنه كان يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، قالوا: والاستعاذة لا تكون بمخلوق»[(٤)]؛ وقال **البيهقي - رحمه الله تعالى -**: «ولا يصح أن يستعيذ بمخلوق عن مخلوق»[(٥)].

القول الثاني: أن الاستعاذة بما يُمكن العوذ به جائزة؛ فالاستعاذة طلبٌ

---

(١) شرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٤٨٨).

(٢) المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، عبدالله الغنيمان (١/٣٣٥).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بابٌ: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، برقم (٢٧٠٨).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/٣٢٣)، تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، ط. السابعة: ١٤١٩هـ.

(٥) الأسماء والصفات (٢٤١).

للاعتصام والاحتراز؛ وعليه يجوز أن يستعيذ بالمخلوق الحي القادر المستطيع على أن يعصمه من الشر الذي خافه بقوله: أعوذ بك، أو أعوذ بالله ثم بك[١].

قال الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد: «المخلوق يطلب منه ما يقدر عليه ويُستعاذ به فيه، بخلاف ما لا يقدر عليه إلا الله، فلا يستعاذ فيه إلا بالله، كالدعاء، فإن الاستعاذة من أنواعه»[٢]، وقد جاءت أدلة تدل على أنه يُستعاذ بالمخلوق فيما يقدر عليه، ومنها: قول النبي ﷺ عن الفتن: **(ومن وجد فيها ملجأ أو معاذًا فليعذ به)**[٣]، وفي صحيح مسلم: (أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتي بها إلى النبي ﷺ فعاذت بأم سلمة)[٤]، وقوله ﷺ: **(يعوذ عائذ بالبيت فيُبعث إليه بعث...)**[٥]، وقد روي عن **إبراهيم النخعي** أنه: يجوز أن يقول الرجل: أعوذ بالله ثم بك[٦].

---

(١) ينظر: تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين (٨٣)؛ وحاشية كتاب التوحيد، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (١١٠)، ط. الثالثة: ١٤٠٨هـ؛ وفوائد من شرح كتاب التوحيد، لابن باز (٣١١/٢، ٣١٣)، اعتنى بإخراجه: عبدالسلام السليمان، ط. الأولى: ١٤٣٣هـ؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٦٤).

(٢) (٤٦٢/١)؛

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الفتن، باب: تكون فتن القاعد فيها خير من القائم؛ ومسلم، كتاب الفتن، باب: نزول الفتن كمواقع القطر.

(٤) رواه مسلم، كتاب الحدود، باب: قطع السارق الشريف وغيره.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب الفتن، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت.

(٦) رواه عبدالرزاق بن معمر في جامعه (١٩٨١١)؛ وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، رقم (٣٤٤).

والاستعاذة عبادة قلبية ؛ من حيث كونها فيها الاعتصام والالتجاء والتّحرُّز. وطلبُ العوذ وإن كان باللسان، بقول أحد لآخر: أعوذ بك، أو أعذني، ونحو ذلك ؛ ولكن يقوم في مقابله في القلب التجاء واعتصام واحتراز بمن استُعيذ به، فلو قامت تلك المعاني في القلب، صار مستعيذًا بمن التجأ قلبه به ؛ فحقيقة الاستعاذة تجمع الطلب الظاهر، وهو الاستعاذة بالقول ؛ وتجمع المعنى الباطن، **ولهذا اختلف أهل العلم فيها:** فمنهم من راعى المعنى الظاهر، وإمكانَ المخلوق أن يعيذ، فصحَّحه ؛ ومنهم من منع ذلك مطلقاً ؛ نظراً إلى أن الاستعاذة عمل قلبي بحت، وأنها إنما تكون بالله جل وعلا، وهذا على نحو قول: توكلت على الله ثم عليك، ونحو ذلك، فلا يصلح أن يتعلق بغير الله جل وعلا ؛ لأنه وإن كان الالتجاء قد يكون بالفعل الظاهر، فإن فعل الجوارح يتبع القلب ؛ لأنه لا يقع فعل للعاقل إلا إذا سبقه فعل القلب، فلا بد من اجتماع فعل الجوارح مع فعل القلب في كل عبادة ؛ ولأن إجازتها في الظاهر قد يستتبعه الإجازة لتعلق القلب عند من لم يفهم المراد[(١)] ؛ وقول: أعوذ بك، هذا أبعد في الإجازة[(٢)] ؛ وأما قول: أعوذ بالله ثم بك، **فالذي يظهر أن المقام فيه تفصيل**، وهو: أن الاستعاذة فيها عمل ظاهر، وفيها عمل باطن ؛ فالعمل الظاهر: أن يطلب العوذ، وهو أن يُعصم من هذا الشر، أو أن ينجو من هذا الشر ؛ والعمل الباطن

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٥- ١٠٧) ؛ والمحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، عبدالله الغنيمان (١/ ٣٣٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٦) ؛ وينظر: المفيد على كتاب التوحيد، عبدالله بن صالح القصير (١٠٣).

هو: توجه القلب وسكينته، واضطراره، وحاجته إلى هذا المستعاذ به، واعتصامه بهذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاته إليه؛ فإذا كانت الاستعاذة تجمع هذين النوعين فيصح أن يقال: إن الاستعاذة لا تصلح إلا بالله، لأن منها ما هو عمل قلبي كما تقدم، وهو بالإجماع لا يصلح التوجه به إلا لله؛ أما إذا قصد بالاستعاذة العمل الظاهر فقط، وهو طلب العياذ والملجأ، فيجوز أن يتوجه بها إلى المخلوق؛ لأنه إنما يُراد منه الاستعاذة بالقول، ورغب القلب في أن يخلص مما هو فيه من البلاء، وهذا يجوز أن يُتوجَّه به إلى المخلوق، وعليه تُحمل الأدلة الوارد في جوازها [1].

* * * * *

(١) شرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٤٨٨/١)؛ وينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٤٧٠/١).

قال المصنف رحمه الله: (**وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾[1]).

الشرح الإجمالي **(ودليل) أن (الاستغاثة) من أنواع العبادة: (قوله تعالى:** ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾**)، أي: حين تستجيرون ربكم يوم بدر، وتطلبون منه الغوث والنصر، (**﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾**) فأمدكم بالنصر على عدوكم، وظهر الإسلام، وسُمي يوم الفرقان**[2].

الشرح التفصيلي ذكر المصنف **دليل العبادة الثانية عشرة، وهي: الاستغاثة**، والاستغاثة: طلب الغوث، والغوث في اللغة: الإعانة والنصرة عند الشدة[3].

والاستغاثة أخص أنواع الدعاء؛ لأنها لا تكون إلا عند وقوع الشدة والمكروب؛ أما الدعاء فيكون من المكروب وغيره؛ ولذا فإن دعاء المكروب يقال له: استغاثة[4].

والاستغاثة كالاستعاذة تتضمن كمال الافتقار إلى الله واعتقاد كفايته؛ والفرق بينهما: أن الاستعاذة طلب دفع الشر قبل وقوعه، والاستغاثة طلب رفعه بعد نزوله[5].

والاستغاثة الشركية، هي: الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر؛ أو الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر

---

(١) سورة الأنفال، الآية [٩]

(٢) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٧٧٨).

(٤) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٦).

(٥) ينظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان(٩٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٦).

عليه المستغاث به؛ كالاستغاثة بالغائب أو الميت أو الحي الحاضر الذي لا يقدر على الإغاثة؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون، فيجعل لهم حظاً من الربوبية[١].

وضابط ذلك: أن يستغيث بغير الله فيما لا يقدر عليه المستغاث به، أي: يستغيثُ بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله؛ فالاستغاثة بغير الله تكون شركاً إذا كان قد استغاث بما لا يقدر عليه المستغاث به حال الاستغاثة، لكونه ميتاً أو غائباً؛ أو أن يكون الشيء مما لا يقدر على إزالته إلا الله جل وعلا، كما لو استغاث بحي حاضر لينزل المطر[٢]؛ وإن استغاث بالمخلوق فيما يقدر عليه غير الله من المخلوقين، لكن هذا المخلوق المعين لم يقدر على هذا الشيء المعين، فإنه لا يكون شركاً؛ لأنه لم يعتقد في المخلوق شيئاً لا يصلح إلا لله جل وعلا؛ كمن وقع في غرق واستغاث برجل لا يُحسن السباحة، فهذا استغاث بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، ولكن لا تعتبر استغاثته به شركاً؛ لأن الإغاثة من الغرق ونحوه، يصلح في الغالب أن يكون المخلوق قادراً عليها؛ فالاستغاثة عمل ظاهر وليست عملاً قلبيًا كالاستعاذة؛ ولذا تجوز بالمخلوق بشرطين:

الأول: أن يكون المستغاث به حياً، وحاضراً: فإذا كان المستغاث به ميتاً، أو

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١/١٠٦)؛ والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، محمد ابن علي الشوكاني (٩)، الناشر: دار ابن خزيمة، ط. الأولى: ١٤١٤هـ؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٣)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٦)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٧٦).

(٢) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٧٦)؛ وشرح فتح المجيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١/٥٠٦)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (١/٢٦٠).

غائباً فالاستغاثة به شرك ؛ لأن الأموات جميعاً والغائبين لا يقدرون على الإغاثة ؛ فالاستغاثة بهم فيها تعلق قلب المستغيث بأنهم يستطيعون ويقدرون أن يغيثوه، واعتقاده فيهم ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه ؛ والاستغاثة عبادة، ولا مُغيث على الإطلاق إلا الله جل جلاله.

الثاني: أن يكون المستغاث به الحي الحاضر قادراً على ما طُلب منه، فإذا لم يكن قادراً فالاستغاثة به شرك [(١)].

فالمقصود: أنه لا تجوز الاستغاثة بميت، أو بحي غائب، أو بحي حاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله [(٢)].

قال المصنف: **(ودليل كون الاستغاثة عبادة قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم﴾)**، وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي ﷺ إلى المشركين في ألف رجل، وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: **(اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض)**، وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتزمه من ورائه، وقال: (يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١١) ؛ وإفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله القصير (٥٥).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٦٠)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٧٨).

فإنه سينجز لك وعدك)؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية [(١)]؛ ووجه الاستدلال منها على كون الاستغاثة عبادة: أن الله جل وعلا أتى بالاستغاثة في معرض الثناء، ورتب عليها الإجابة، وما دام أنه رتب على فعلهم وهو الاستغاثة به إجابته جل وعلا؛ فإن ذلك يعني أن ذلك الفعل يحبُّه الله ويرضاه؛ فنتج أنه عبادة، إذ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[(٢)]، فدلَّ قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾ على أنَّ الاسْتِغاثةَ عبادة من وجهين:

الأول: مدح المؤمنين بهذا، إذ أخبر الله تعالى عنهم بأنهم استغاثوا به؛ في قوله: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾، ومَدْحُ العامل على عمله مؤذنٌ بكون العمل محبوباً عند الله، وكل ما أحبه الله فهو عبادة.

الثاني: ترتيبُ الاستجابَة عليها؛ في قوله: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾[(٣)].

والاستغاثة والاستعاذة تتعلق بالربوبية؛ ولذلك جاء فيما استدل به المصنف ذكر الربوبية: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾، وفي الاستعاذة: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾؛ وذلك لأن الغياث، والعياذ من مقتضيات الربوبية، فالذي يُغيث ويُعيذ هو الرب المالك المدبر جل جلاله[(٤)].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم، كتاب السير والجهاد، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، برقم (١٧٦٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٨).

(٣) من تقريرات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي، على شرح ثلاثة الأصول، للعلامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله.

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٠٨).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(ودليل الذبح؛ قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[1])**.

الشرح الإجمالي **(ودليل)** أن **(الذبح)** عبادة من أعظم العبادات، وأفضل القربات إلى الله **(قوله تعالى:** ﴿قُلۡ﴾**)**، أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله، ويذبحون لغيره: **(**﴿إِنَّ﴾**)** تعبدي بـ**(**﴿صَلَاتِي﴾**)**، أي: صلواتي، **(**﴿وَنُسُكِي﴾**)** بالذبح، **(**﴿وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي﴾**)**، أي: ما آتيه في حياتي، وأحيا عليه من العمل الصالح، وما أموت عليه، كل ذلك **(**﴿لِلَّهِ﴾**)** استحقاقاً لا لغيره، ووجه استحقاقه بذلك أنه: **(**﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾**)**، ومعبودهم، **(**﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾**)** في شيء من ذلك، ولا في غيره من أنواع العبادة؛ وهذا فيه بيان انفراده جل وعلا بالعبادة، **(**﴿وَبِذَٰلِكَ﴾**)**، أي: بإخلاص تلك الأعمال لله **(**﴿أُمِرۡتُ﴾**)** أمراً حتماً يجب عليَّ امتثاله، فهذا ليس أمراً من قبلي، بل هو أمر من الله سبحانه وتعالى، **(**﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾**)** المنقادين المبادرين لامتثال هذا الأمر من هذه الأمة، فإن من سخَّر جسده بالتعبد لله، وماله بذبح القرابين لربه فهو المسلم حقاً[2].

الشرح التفصيلي ذكر المصنف **دليل العبادة الثالثة عشر، وهي الذبح**، والذبح لغةً: الشق[3]، وذبح الحيوان: قطع حلقومه[4].

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان [١٦٢ – ١٦٣].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٨).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٧٢)؛ والصحاح، للجوهري (١/٣٢٥).

(٤) العين، للفراهيدي (٣١٥).

والذبح لله شرعاً هو: قطْعُ العبد الحلقوم والمريء من بهيمة الأنعام تقرباً إلى الله تعالى على صفة معلومة.

ويقصد بذبح العبادة: إراقة الدماء تعظيماً للمذبوح له وتقرباً إليه [١].

وعبادة الذبح لله جل وعلا مختصة ببهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، وبها اختصت الذبائح الشرعية: الهدي والعقيقة والأضحية، فالذبح لا يُتقرَّب به إلى الله عز وجل إلا ببهيمة الأنعام [٢]، وما عداها لا يُتقرب بذبحها؛ بل يُتقرب بلحمها صدقة أو هدية، فالذي يذبح دجاجة لا يتقرب إلى الله بذبحها، وإنما يتقرب إلى الله بالصدقة بلحمها، بخلاف من يذبح بهيمة الأنعام؛ فإنه تقع منه عبادة الذبح، ولا يعني هذا أن من ذبح دجاجة تقرباً إلى غير الله، لا يكون مشركاً، بل يكون مشركاً؛ لأنه تقرب بما فعل، وإن كانت لا تُقبل عبادة، فهو يكفر بذلك؛ لإرادة التقرب لغير الله، وقيام معنى العبودية لذلك المعظم من صنم أو وثن أو غيره [٣].

والذبح يقال للبقر والغنم من الضأن والماعز، وأما الإبل فالنحر، فهي لا تذبح ذبحاً، لكنها تطعن بالسكين أو بالحَرْبَة في وَهدتها، وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين وانتثر الدم ماتت، والذبحُ يشمل الذبحَ الذي هو قسيم النحر، ويطلق كذلك على النحر الخاص للإبل، وعبر بالذبح؛ لأنه الأكثر [٤].

والذبح والنحر لله تعالى، عبادة من أجَلِّ الطاعات، وأعظم القربات، والمقصود منها: إراقة الدم، وإراقة الدم - من حيث هو- لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب، فإذا أراق الدم لله جل وعلا تعلق القلب بالله جل وعلا، فالذبح عبادة

---

(١) المحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، عبدالله الغنيمان (١/٢٨٨).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٢٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٢).

ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية ، ولذا قال العلماء : إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبوديات ، منها : الذل لربه جل وعلا ، والتعظيم له ، ورجاء ما عنده حال ذبحه ، وطلب البركة ؛ لأنه ما ذبح إلا لله ، وهذه كلها عبادات قلبية ، فالذبح فيه عمل ظاهر ؛ به تحريك اليد ، وتحريك اللسان ببعض القول ؛ وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات ، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر ؛ لصرفه عبادة لغير الله ، ولتعلق قلبه بغير الله ، فصار شركه من جهتين [١].

والذبح إن كان على وجه التعبد ، وجَبَ أن يكون لله عز وجل قصداً ولفظاً ؛ فيجب أن يذبح متقرباً إلى الله جل وعلا وحده لا شريك له ، ويجب أن يذكر اسم الله جل وعلا عند الذبح ، أي : يفرده لفظاً ، بقول : باسم الله عند الذبح ؛ فإن ذبح متقرباً بالدم إلى غير الله جل وعلا ، فهو مشرك ؛ وإن ذبح لله قصداً ، وذكر اسم غيره لفظاً ، فهو مشرك ؛ لأنه مما أُهلّ به لغير الله جل وعلا ؛ فالتسمية على الذبيحة : استعانة ، فإذا سمَّى الله عند الذبح ، فإنه يستعين في هذا الذبح بالله ، لأن الباء في قول : بسم الله ؛ يعني : أذبح متبركاً ، ومستعيناً باسم الله جل وعلا ، فجهة التسمية إذاً جهة استعانة ؛ وأما القصد : فهذه جهة عبودية ومقاصد ، فمن ذبح باسم الله لله : كانت الاستعانة بالله ، وكان القصد من الذبح التقرب لله جل وعلا[٢] ؛ فالمقصود : أنَّ قصد غير الله بالذبح شرك في العبودية ، وذكر غير اسم الله على الذبيحة شرك في الاستعانة ، فالشرك يقع في الذبح من جهتين : إما من جهة الاستعانة : فيما إذا ذكر غير اسم الله على الذبيحة ؛ وإما من جهة العبودية

(١) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٣- ١١٦).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٠).

والتعظيم وإراقة الدم لغير الله جل وعلا [١]، فصارت الأحوال أربعة:

١) أن يذبح باسم الله لله، فهذا هو التوحيد.

٢) أن يذبح باسم الله لغير الله، وهذا شرك في العبادة.

٣) أن يذبح باسم غير الله لغير الله، وهذا شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة أيضاً.

٤) أن يذبح بغير اسم الله، ويجعل الذبيحة لله، فهذا شرك في الاستعانة[٢].

والذبح إذا لم يكن على وجه التعبد والتقرب، وإنما يقصد منه اللحم؛ كأن يكون إكراماً للأضياف، فهذا لا يدخله الشرك؛ لكون إراقة الدم فيه جاء تبعاً لا قصداً، وإنما المقصود به اللحم، بخلاف الذبح الذي يُذكر في أبواب التوحيد؛ فإن إراقة الدم فيه جاء قصداً لاتبعاً[٣]؛ فلا يُشترط في الذبح أن ينوي الذابح التقرب بالذبيحة إلى الله جل وعلا؛ فإذا ذبح ولم يقصد التقرب به لغير الله، وأيضاً لم يقصد التقرب به لله، وإنما ذبح باسم الله، وأراد به اللحم، يعني: للأكل، فهو مأذون به[٤].

وقد استدل المصنف على أن الذبح عبادة **بقوله تعالى:** ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، والصلاة في الآية قيل: المراد بها الدعاء، وقيل: المراد بها الصلاة المعروفة المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم[٥]، فالصلاة تكون

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٢).

(٢) المصدر السابق (١٤١).

(٣) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١/٤٨٨)؛ وقواعد ومسائل في توحيد الإلهية، عبدالعزيز الريس (٧٦).

(٤) ينظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤١).

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٩/١٣٨)

لله جل وعلا استحقاقاً، وقوله تعالى: ﴿وَنُسُكِى﴾ قيل في تفسيره هو: الذبح لله، وقيل: إن النسك هنا يشمل كل ما يُتعبد به، فالمناسك هنا لا تقتصر على الذبح والتقرّب به فقط، بل النسك يشمل الذبح ويشمل غيره(١)، ووجه الاستدلال من الآية: في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ﴾، والمعنى: أن ذبحي لله رب العالمين، هذا هو الشاهد، و(اللام) هنا للاستحقاق؛ فالذبح مستحق لله رب العالمين لا شريك له؛ كما أن الصلاة مستحقة له وحده لا شريك له، وهذا يدل على أن الذبح لله جل وعلا عبادة مستحقة له وحده دون ما سواه؛ وثم وجه استدلال آخر من الآية، وهو قوله جل وعلا: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾، وهذا يدل على أن الذبح لله جل وعلا وحده، مأمورٌ به، فدل على أنه عبادة(٢).

ومِثْلُ هذه الآية قوله جل وعلا: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾(٣): حيث أمرَ بالصلاة له، وأمرَ بالذبح له؛ فدل على أن الصلاة والذبح عبادتان لا يجوز صرفهما لغير الله جل وعلا.

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَمِنَ السُنَّةِ: (لعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله)(٤)).

الشرح الإجمالي

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري (٤٢٠/٥)؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (١٣٨/٩)؛ ومجموع الفتاوى، لابن تيمية (٣٦٨/٢٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٤).

(٣) سورة الكوثر، الآية [٢].

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى، برقم (١٩٧٨).

(**و**) الدليل (**من السنة**) النبوية التي أَمرنا الله جل وعلا باتباعها على أن الذبح عبادة، قوله ﷺ: (**لعن الله**) واللعن: الطرد والإبعاد من رحمة الله، (**من ذبح**) وأراق الدماء، وهذا عام يشمل كل مذبوح، فيشمل من ذبح بعيراً، أو بقرة، أو دجاجة، أو غيرها (**لغير الله**)، وهذا يشمل كل من سوى الله، كما لو ذبح لنبي، أو ملك، أو جني، أو غيرهم[١].

الشرح التفصيلي

استدل المصنف بدليل من السنة على أن الذبح عبادة، فقال: (**وَمِنَ السُنَّةِ: (لعَنَ الله مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ الله))**، وقوله ﷺ: (**لعن الله**): يحتمل أنه من باب الإخبار، ويحتمل أنه إنشاء، فإن كان خبرًا فمعناه: أن الرسول ﷺ يخبر أن الله جل وعلا لعن من ذبح لغير الله؛ وإن كان إنشاءً بلفظ الخبر، فمعناه الدعاء، أي: أن الرسول ﷺ يدعو على من ذبح لغير الله أن يطرده الله من رحمته[٢]، وقد دلَّ الحديث على أن الذبح عبادة؛ ووجه الاستدلال منه: أن الله جل وعلا ذم من ذبح لغيره بلعنه، واللعن يقتضي تحريم الفعل الملعون صاحبه، وهذا يدل على أن الذبح لغير الله كبيرة من كبائر الذنوب، فيكون مما يُبغضه الله جل وعلا، وإذا كان الله جل وعلا يُبغض الذبح لغيره، فمعنى ذلك أن التقرب بالذبح لله وحده محبوب له في مقابله، فيكون عبادة، وإذا ثبت أنه

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٥)؛ والقول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (١/٢٢٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٠٩).

(٢) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (١/٢٢٢)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٠٠).

عبادة، فيجب إفراد الله تعالى به [١].

* * * * *

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١١٧).

قال المصـــنف رحمه الله: **(وَدَلِيلُ النَّذْرِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[١])**.

الشرح الإجمالي

(ودليل) أن **(النذر)** عبادة لا يصرف إلا لله جل وعلا، **(قوله تعالى)** في معرض الثناء على من وفَّى بالنذر: (﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾)؛ أي: يتعبدون لله، بما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر؛ فأثنى الله عليهم بالإيفاء، وهو سبحانه لا يثني إلا على فاعل عبادة، (﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾) عسيراً، (﴿كَانَ شَرُّهُۥ﴾) أي: ما فيه من الأهوال، (﴿مُسْتَطِيرًا﴾)، ومنتشراً وفاشياً بين الناس إلا من أدركته رحمة الله جل وعلا[٢].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف **دليل العبادة الرابعة عشر، وهي النذر**، والنذر في اللغة: ما يوجبه الإنسان على نفسه[٣]، قال الراغب: «النذر: أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر»[٤]، **وشرعاً:** إيجاب المكلف على نفسه ما ليس واجباً عليه بأصل الشرع؛ تعظيماً للمنذور له[٥].

والنذر من العبادات التي يجب أن يفرد بها الله سبحانه وتعالى، فصرف النذر

(١) سورة الإنسان، الآية [٧].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٥)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د.عبدالمحسن القاسم (١١٠).

(٣) كتاب العين، للفراهيدي (٩٥١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن (٧٩٧).

(٥) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٥)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د.عبدالمحسن القاسم (١١٠).

للمنذور له تعظيماً، هو من هذه الجهة عبادة، فلا يجوز صرفها إلا لله وحده، فمن نذر لغير الله وقع في الشرك؛ لأنه إذا صرف النذر إلى غير الله جل وعلا صار كأنه يعتقد فيه تصرفاً، فهو نذر لاعتقاده أنه يُعطيه، فلا يمكن أن يتوجه بالنذر إلا باعتقاد [(١)]؛ فالناذر لم ينذر هذا النذر الذي لغير الله إلا لاعتقاده في المنذور له أنه يضر وينفع، ويعطي ويمنع، إما بطبعه؛ وإما بقوة السببية فيه؛ والدليل على اعتقاد هؤلاء الناذرين؛ حكايتهم وقولهم: أنهم وقعوا في شدائد عظيمة، فنذروا نذراً لفلان وفلان من أصحاب القبور؛ فانكشفت شدائدهم [(٢)].

وقد استدل المصنف على أن النذر عبادة **بقوله تعالى:** ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ**﴾، ووجه الاستدلال من هذه الآية: أن الوفاء بالنذر ذُكر في معرض الثناء؛ فدل على أن هذا الفعل عبادة يحبها الله ويرضاها، فالله جل وعلا امتدحهم بأنهم يوفون بالنذر، فدلَّ على أن هذا الفعل منهم، وهو الوفاء بالنذر محبوب له جل وعلا، وكل محبوب لله جل وعلا من الأعمال فهو عبادة [(٣)].

وقد استشكل جمع من أهل العلم عدُّ النذر عبادة؛ مع كونه منهيا عنه؛ لحديث ابن عمر قال: نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: **(إنه لا يرد شيئا،**

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢١)؛ ومعجم التوحيد، إبراهيم بن سعد أباحسين (٣/٤٦٧).

(٢) ينظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق، محمد بن علي غريب (٢/٧٠٥)، دراسة وتحقيق: د. أمين بن أحمد السعدي، الناشر: دار التوحيد، الرياض، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٢)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٦٧).

ولكنه يُستخرج به من البخيل)[١]، وإذا كان النذر منهياً فهذا يُشكل على عدّه عبادة؛ لأنَّ العِبَادةَ لا تخرُج -حالَ الطَّلب- على كَونِها واجبَةً أو مُستحبَّةً؛ ولهذا قالوا: إن النذر ليس بعبادة، وإنما العبادة هي الوفاء بالنذر؛ وهذا الاستشكال منهم غير وارد أصلا؛ لأن النذر ينقسم إلى قسمين:

الأول: النذر المطلق: وهو أن يُلزم العبد نفسه بعبادة لله جل وعلا بلا قيد، وليس في مقابلة شيء يَحْدُثُ له، أو شيء حدَثَ له، وهذا محمود، وليس من النذر الذي كرهه النبي ﷺ.

الثاني: النذر المقيد: وهو ما كان عن مقابلة، وهو أن يُلزم العبد نفسه بعبادة الله جل وعلا مقابل شيء يُحدثه الله جل وعلا له؛ كما لو قال: إن شفى الله مريضي صُمْتُ يوماً، فهذا يوجب على نفسه عبادة مشروطة بشيء يحصل له قدراً، فهذا النوع هو المكروه، وهو الذي جاء وصفه في الحديث بأنه يُستخرج به من البخيل؛ لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يُقاضى عليها.

وبهذا صار النذر عبادة من العبادات التي يرضاها الله جل وعلا ويحبها، إلا في حال واحدة وهي حال نذر المقابلة، وهو النذر المقيد [٢]، ثم إن الكراهة في النذر المقيد إنما ترجع إلى جهة التقييد الحاصلة فيه؛ وليست راجعة إلى أصل النذر، فالكراهة رجعت في وصفه وهو التقييد، لا في أصله، وهو النذر، ففيه

---

(١) رواه البخاري، كتاب القدر، باب الوفاء بالنذر، برقم (٦٦٩٣)؛ ورواه مسلم في صحيحه بلفظ: **(إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل)**، كتاب النذر، باب النهي عن النذر، وأنه لا يرد شيئاً، برقم (١٦٣٩).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٨).

جهتان :

الأولى: جهة الكراهة المتعلقة بهذا النذر المقيد.

والثانية : وفاؤه بالنذر الذي ألزم به نفسه ، وهو من هذه الجهة عبادة ، فالوفاء بالنذر المقيد داخل في العبادة ، فإذا نذر لله نذراً مقيداً ، وحصل المشروط ، فيجب عليه الوفاء به ؛ ولو قال : إن شفى الله مريضي فللولي الفلاني عليَّ نذر بكذا وكذا ، فهذا نذر مقيد ، وهو وإن كان مكروهاً من جهة التقييد ، لكنه عبادة من جهة الوفاء ، فصرفه لغير الله جل وعلا شرك [١] ؛ فالتحقيق في هذه المسألة أن النذرَ يكُونُ عبادةً بشُروطٍ ثلاثةٍ :

١) أن يكُونَ مُتعلِّقا بنَفْلٍ لا واجبٍ ؛ فمَن نذرَ أن يصُومَ رمضانَ لم يكُن نذرُه عِبادةً يُمدح بها.

٢) أن يكونَ النَّذرُ معيَّنا غيرَ مُبهمٍ ؛ لأنَّه إذا أُبْهِم لم يكن قُربة ففيهِ الكفَّارة.

٣) أن لا يكُونَ هذا النَّذرُ مُعلَّقا في مُقابلِ نِعمةٍ ، بل يكونُ مُطلَقًا مُرسلًا لا على وجْهِ العِوَضِ والمقابلة [٢].

وبهذا انتهى المصنف –رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة والأجر– من الكلام عن الأصل الأول من الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها ، وهو : معرفة العبد ربه ، أي : معبوده ، وقرَّر المصنف فيه أن الله سبحانه وتعالى هو : الرب المربي الذي ربى جميع العالمين ، وهو المعبود المستحق للعبادة الذي لا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٠).

(٢) ينظر : تعليقات على ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٠) ؛ وتقريرات الشيخ صالح بن عبدالله العصيمي ، على شرح ثلاثة الأصول ، للعلامة الشيخ عبدالعزيز ابن باز رحمه الله.

يستحق العبادة سواه ؛ ثم بيَّن الدليل المرشد إلى معرفة الرب عز وجل ، وذَكَر الآيات الدالة على ربوبية الله عز وجل ، ثم ذكر الأدلة على وجوب إفراد الله سبحانه تعالى بالعبادة ؛ ولما تقرَّر أن الرب هو المعبود ، المستحق للعبادة ، كان من المناسب أن تُذكر أنواع العبادة التي تُفعل لهذا الرب المعبود ، والتي يجب إفراد الله جل وعلا بها ؛ ولهذا شرع المصنف في بيان شيء من أنواع العبادة التي أمر الله بها ، فذكر أربعة عشر عبادة يُتقرب بها إلى الله جل وعلا ، ابتدأها بالدعاء ، وختمها بالنذر ، وبعد أن ذكر أنواعاً من العبادة مجملة ؛ شرع في بيان أدلة كون تلك الأنواع التي ذكر داخلة في تعريف العبادة ؛ وبيَّن أدلة كل نوع من أنواع العبادة ، وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك ، ومجموع الأدلة التي ذكرها المصنف -رحمه الله تعالى- ستة عشر دليلاً : أربع عشرة آية وحديثان ، ووجوه دلائل تلك الأدلة على كون المذكورات عبادات يُتقرب بها إلى الله هي :

الأول : الأمر بها ، كحديث : **(فإذا استعنت فاستعن بالله)** ؛ فإنه يدل على أن الاستعانة عبادة للأمر بها ، فإنه لا يؤمر إلا بما يُعْبَدُ به الله.

الثاني : تعليق الإيمان عليها ، كما قال تعالى : ﴿**وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾ ؛ فالآية تدل على أن التوكل عبادة لتعليق الإيمان وتوقيفه عليه.

الثالث : مدح فاعلها ، كما في قوله تعالى : ﴿**يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ**﴾ ؛ فهو دال على أن النذر عبادة ؛ لمدح الله جل جلاله الموفي به ، المتضمن مدح فعله ابتداءً بعقده ، وانتهاءً بالوفاء به.

الرابع: بيان أجرها، كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾؛ فهو دال على أن التوكل عبادة والأجر يقع عن عبادة مأمور بها، فما رُتِّب عليه أجر فهو عبادة.

الخامس: نسبة التقرب بها إلى المؤمنين من الأنبياء وغيرهم، كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وأفعالُ المؤمنين من القُرَبِ عبادات.

الوجه السادس: الوعيد لمن جعلها لغير الله، كما في حديث: **(لعن الله من ذبح لغير الله)**؛ فإن لعن الذابح لغير الله يدل على أن الذبح هو لله وحده دون غيره.

فمن هذه الوجوه الستة يعرف كون الشيء عبادة أو ليس بعبادة؛ فكل عبادة مذكورة في كلام المصنف اقترن بها ما يدل على كونها عبادة يُتعبد الله بها[(١)].

وتقدم أن هناك نوعان من الاستدلال يمكن الاستدلال بهما على أن صرف العبادة لغير الله شرك:

النوع الأول: الاستدلال العام بكل دليل من الكتاب أو السنة فيه وجوب إفراد الله بالعبادة؛ فإنه يكون دليلاً على أن كل عبادة لا تصلح إلا لله، وأن من صرفها لغير الله -جل وعلا- فقد أشرك، فيُثبت أنها عبادة؛ فإذا استقام الدليل والاستدلال على أن هذه المسألة من العبادة، فيُستدل بعد ذلك بالأدلة العامة التي يصلح الاستدلال بها في كل ما ثبت أنه عبادة، على أن من صرف شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك.

والنوع الثاني: أن يُستدل على المسائل بأدلة خاصة وردت فيها؛

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣١).

كالاستدلال على تحريم الذبح لغير الله بأدلة خاصة وردت في ذلك؛ والاستدلال على وجوب الاستغاثة بالله وحده دون ما سواه بأدلة خاصة وردت بذلك؛ وكذا في الاستعاذة ونحو ذلك، فكل نوع من العبادات له دليل خاص يُثبت أن صرفه لغير الله جل وعلا شرك، وأنه يجب إفراد المولى جل وعلا بذلك النوع من أنواع العبادة[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) ينظر: ص(٢٢٩).

الأَصْلُ الثَّانِي
مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّركِ وَأَهْلِهِ[1].

وَهو ثَلاثُ مَراتب: (الإسلام) و (الإيمان) و (الإحسان)، وكل مرتبة لها أركان؛ فَأَرْكَانُ الإسلام: (خَمْسَةٌ):[2] شَهَادَةُ أَن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحـج بَيْتِ الله الْحَرَامِ.

- فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، ومعناها: لا معبود بحق إلا الله[3].

(لا إله): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله.

(إلا الله): مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ[4].

وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى

---

(١) في (خ): (والخلوص من الشرك)، وفي (ص): (والبراءة والخلوص من الشرك وأهله).

(٢) في نسخة: (خ) زيادة: (والدليل من السنة: حديث ابن عمر رضي الله عنهما: قَالَ: قال: رَسُولُ الله ﷺ: **(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ)**». ومثله في (ص، د)، ولكن زاد بعده: (والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ ؛ وزاد في (ص): (والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾.[آل عمران: ٨٥، و١٩]

(٣) في (د): زيادة: (وحد النفي من الإثبات:).

(٤) في (د، م)، وحاشية ابن قاسم (٥٢): (كما أنه لا شريك له في ملكه).

بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨]، **وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

- **وَدِلِيلُ شَهَادَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وَمَعْنَى شَهَادَة أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وألا يُعْبَدَ الله إلا بِمَا شَرَعَ.

- **وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾.

- **ودَلِيلُ الصِّيَامِ**(١)**؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

- **ودَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الْمَرْتَبَةُ الثانيةُ: الإيمَانُ

---

(١) في (خ): (الصوم).

وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا [(١)] قَوْلُ: لا إله إلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمان.

وأركانه ستة: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخر، والقدر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ [(٢)(٣)].

وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ **[البقرة: ١٧٧].**

ودليل القدر؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ **[القمر: ٤٩].**

المرتبة الثالثة: الإحسان:

ركن واحد؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ؛ وَالدَّلِيلُ [(٤)] قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ **[النحل: ١٢٨] [(٥)]، وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢١٧ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ **[الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]، وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ **[يونس: ٦١].**

---

(١) في (م): (فأعلاها). وكذا في حاشية ابن قاسم (٦١).

(٢) في (م)، وحاشية ابن قاسم (٦٣): (وتؤمن بالقدر خيره وشره).

(٣) في (خ، ص، د): زيادة: (كله من الله).

(٤) في (خ، ص، د): زيادة: (والدليل: قوله تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾) [لقمان: ٢٢].

(٥) في (ص): زيادة: (وقوله تعالى: (وَمَنْ يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق: ٣].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ[١] الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﵁ قَالَ: (بينما نحن[٢] عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ: الإسلام: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ محمدا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتُؤْمِنَ بالقدر[٣] خيره وشره، قال: صدقت. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فَإِنَّهُ يَرَاكَ[٤]. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فأخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ: ثم انطلق فَلَبِثْنَا مَلِيًّا[٥]، ثم قَالَ لي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم[٦]).

* * * * *

---

(١) في (ص، م)، وحاشية ابن قاسم (٦٨): (جبرائيل).

(٢) في (ص، م)، وحاشية ابن قاسم (٦٨): زيادة: (جلوس).

(٣) في (خ): (واليوم الآخر والقدر)، وفي (ص): **(واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره)**.

(٤) في (ص): زيادة: (قال: صدقت).

(٥) في (م)، وحاشية ابن قاسم (٧٣): قال: (فمضى فلبثنا ملياً).

(٦) في (م)، وحاشية ابن قاسم (٧٤): قال: **(هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم)**.

قال المصنف رحمه الله: **(الأَصْلُ الثَّانِي: مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ).**

الشرح الإجمالي

بعد بيان الأصل الأول، وهو: معرفة العبد لربه، يأتي بيان: **(الأصل الثاني)** من أصول الدين الثلاثة التي يجب معرفتها، والعمل بها، والدعوة إليها، والصبر على الأذى فيها، وهو: **(معرفة دين الإسلام)**، أي: العلم بما شَرَعَه الله عزَّ وجلَّ لنبيه محمد ﷺ، وما بعثه به، وتضمَّنته رسالته من التوحيد؛ ولابد أن تكون معرفة العبد لدينه مقرونة **(بالأدلة)** من الكتاب والسنة؛ حتى يخرج عن التقليد، ويكون اعتقاده بهذا جازماً، وعن علم ومعرفة، لا على وجه المتابعة للناس [(١)].

الشرح التفصيلي

لما فرغ المصنف -رحمه الله تعالى- من بيان الأصل الأول، وهو معرفة العبد ربه، أي: معرفة العبد معبوده، وشرَحَه وبَسَطه، انتقل إلى **بيان الأصل الثاني من الأصول الثلاثة**، وهو: معرفة العبد دين الإسلام الذي بعث الله به نبيه محمداً ﷺ خاتماً للأديان، ولا يقبل الله جل وعلا من العباد ديناً سواه[(٢)].

قال المصنف: **(الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة)**، والدين في اللغة: الطاعة؛ وهو جنس من الانقياد والذل[(٣)]، واستُعير لما يتدين به الإنسان؛ لأن من دان بدين خضَعَ لتعاليمه وانقاد لها، وسيأتي في كلام المصنف

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٣)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٠٣).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، حمد بن عبدالله الحمد (١٥).

(٣) ينظر: كتاب العين، للفراهيدي (٣١٢)؛ والصحاح، للجوهري (١٥٥٦/٢)؛ ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٥٣).

تفسير دين الإسلام، وبيان مراتبه.

وتعليق معرفة دين الإسلام بالأدلة لا يخالف عمومَ طلب الأدلة في المعارف الثلاث، فهو من ذكر الحكم العام مع بعض أفراده لأمر اقتضاه؛ فإنه لما كان معرفة الإسلام أكثرها مسائل ناسب إعادة ذكر الأدلة معها [١].

* * * * *

---

(١) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

قال المصنف رحمه الله: **(وَهُوَ: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ).**

الشرح الإجمالي

(**وهو**): أي الإسلام العام: (**الاستسلام لله**) لا لغيره، فالمستسلم لله ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، ويكون الاستسلام (**بالتوحيد**)، وهو إفراد الله جل وعلا بالعبادة، فمن عبد الله وحده لا شريك له فقد استسلم له، (**و**) مع استسلام العبد بالتوحيد لله يجب عليه: (**الانقياد**) والإذعان (**له**)، أي: لله جل وعلا (**بالطاعة**)؛ وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ لأن الطاعة طاعة في الأمر بفعله، وطاعة في النهي بتركه، (**و**) هذا الاستسلام والانقياد يتضمن (**البراءة**)؛ بأن يتبرأ المسلم (**من**) أعمال وأقوال (**الشرك**)، ويعتقد بطلانها، (**و**) يتبرأ من (**أهله**) معادياً لهم، غير متشبه بهم في قول أو فعل، وهذه هي حقيقة الإسلام [(١)].

الشرح التفصيلي

بين المصنف هنا تعريف الإسلام بمعناه العام؛ فقال في تعريفه: (**وهو: الاستسلام لله بالتوحيد**)، ولو قال: (وهو: الإسلام لله بالتوحيد) لصحَّ تعريفه، فالإسلام لله، والاستسلام لله بمعنى واحد، قال تعالى: ﴿**وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ**﴾[(٢)]؛ وقوله: (بالتوحيد): يشمل: توحيد الله جل وعلا في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، والمقصود الأخص من هذه الثلاثة هو: توحيد الألوهية والعبادة؛ لأن الخصومة وقعت فيه، وهذا التوحيد

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٦)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١١٣-١١٦).

(٢) سورة الزمر، الآية [٥٤].

متضمن لتوحيد الربوبية ولتوحيد الأسماء والصفات[(١)]؛ فالاستسلام لله بالتوحيد معناه: الإذعان والانقياد والخضوع لله بتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[(٢)]؛ فالاستسلام لله جل وعلا يجمعُ معنيين:

أحدهما: الانقياد لله، وهذا يتضمن الاستسلام لأمره، ولنهيه، ولقضائه؛ فيتناول فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور.

والثاني: إخلاص ذلك لله، كما قال تعالى: ﴿**وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ**﴾[(٣)]، أي: خالصًا له، ليس لأحدٍ فيه شيء، وهذا هو الاستسلام لله دون ما سواه. فمن لم ينقد لربه ويستسلم له لم يكن مسلماً؛ ومن استسلم لغيره كما يستسلم له، لم يكن مسلماً؛ ومن استسلم له وحده، فهو المسلم[(٤)]؛ فالإسلام هو: أن يستسلم العبد لله رب العالمين، فلا يعبد إلا الله وحده لا شريك له؛ ولا يستكبر عن عبادته وطاعته وطاعة رسله؛ فالإسلام ينافي الشرك والكبر[(٥)].

قال المصنف: (**والانقياد له بالطاعة**): فلا يكون المرء مسلماً إلا بانقياده لله جل وعلا ظاهراً وباطنا، فهذا هو دين الإسلام الذي ارتضاه الله كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، فمن أسلم وانقاد بظاهره دون باطنه فهو منافق، والانقياد لله من لوازم الاستسلام لله تعالى، وإنما أفرده المصنف بذكر مستقل؛

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، خالد بن علي الغامدي (١٢٤)، الناشر: دار أطلس الخضراء، الرياض، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ.

(٣) سورة الزمر، الآية [٢٩].

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧٤/٢٨)؛ وجامع المسائل، لابن تيمية (٢١٩/٦)، تحقيق: محمد عزيز؛ وكتاب النبوات، لابن تيمية (٣٢٨/١)، تحقيق: د. عبدالعزيز الطويان.

(٥) جامع المسائل، لابن تيمية (٢٣٠/٦)، تحقيق: محمد عزيز، مطبوعات: مجمع الفقه الإسلامي.

لأنه أراد أن يحصل في هذا التعريف الإحاطة بالإسلام الظاهري والباطني.

قال المصنف: (**والبراءة من الشرك وأهله**).

أصل معنى البراء في اللغة: التباعد من الشيء ومزايلته ومفارقته [١]، ويدل هذا التعريف على أن الإسلام لا يتحقق بدون البراءة من الشرك وأهله، فلا يحصل تمام الاستسلام لله بالتوحيد إلا بالبراءة من الشرك وأهله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [٢]، فجَعَل الاستمساك بالعروة الوثقى مُرَتبة على الأمرين: الإيمان بالله تعالى، والكفر بالطاغوت؛ والكفر بالطاغوت هو: بُغضه، والبراءة منه، ومعاداة أهله، وهم أهل الشرك.

وأصل البراءة: بُغض القلب للشرك وأهله، ويتبع هذا البغض تكفير من كفَّره الله جل وعلا ورسوله، ومعاداتهم، وجهادهم عند مشروعية الجهاد؛ فالبراءة من الشرك أصلها البغض، ويتبع البغض أشياء، وهي: المعاداة، والتكفير، والمقاتلة، وكلها تَبَعٌ للعلم، فالعامة -وهم من ليسوا علماء- عليهم من البراءة أصلها وهو البُغض، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم، فلا بد أن يُبْغِض الشرك، فلو كان يحب الإسلام وأهله، ولكنه لا يبغض الشرك وأهله؛ فإنه ليس بمسلم، وقد يبغض الشرك وأهل الشرك باعتبار الأصل، لكنه يحب بعض المشركين لغرض من أغراض الدنيا، فهذا ليس بمشرك، وإنما ناقصٌ

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١١١)؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٤٢).

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

إسلامه[١]؛ وقد ورد في بعض نسخ رسالة: "ثلاثة الأصول" عبارة: (والخلوص من الشرك) بدلاً من: (والبراءة من الشرك وأهله)، وهذه ليست في النسخ المعتمدة، وإنما الموجود في النسخ المعتمدة: (الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله)؛ ولفظ (البراءة من الشرك وأهله)، أدل على المراد من لفظ: (الخلوص من الشرك)؛ لأن الخلوص من الشرك إنما هو خروج عن الشرك، وليس فيه معنى البراءة من الشرك وأهله؛ ويؤيده أن هذا اللفظ هو المناسب للاستدلال الذي استدل به الشيخ لاحقاً، وهو قوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾[٢]، فذَكَر في الآية لفظ البراءة، وهو الذي يناسب هذا التعريف[٣]؛ فالتعبير بالبراءة أولى من التعبير بالخلوص؛ لأنها هي الواردة في الخطاب الشرعي؛ ولأن الخلوص لا يدل على وفاء الترك كما يدله لفظ البراءة؛ فإن لفظ البراءة أدل على الموافاة بترك ما يُباين ذلك بخلاف لفظ الخلوص، فلا يدل على ذلك بالقوة نفسها[٤].

والإسلام الشرعي له اطلاقان:

أحدهما: عام، وهو الدين المشترك لجميع الأنبياء والرسل، فالإسلام العام هو دين الأنبياء جميعاً؛ وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، وهو الذي بُعث به جميع الأنبياء، وخوطب به جميع الخلق، وقد عرَّفه المصنف هنا بقوله: الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٩).

(٢) سورة الزخرف، الآية [٢٦].

(٣) ينظر: التنبيهات المختصرة شرح الواجبات المتحتمات المعرفة على كل مسلم ومسلمة، إبراهيم الخريصي (٢١)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٤).

(٤) التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (١٩).

وحقيقته: هو الاستسلام لله بالتوحيد، فالجملتان الآتيتان بعده من الانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هما من جملة الاستسلام لله؛ فإن العبد إذا استسلم لله انقاد له بالطاعة وبرئ من الشرك وأهله؛ لكن صُرح بهما اعتناء بهما[١].

والآخر: خاص، وله معنيان أيضاً:

أولهما: ما اختص به محمد ﷺ من الدين والشرعة والمنهاج؛ فإنه يسمى إسلاماً.

والثاني: الأعمال الظاهرة، فإنها تسمى إسلاماً، وهذا المعنى هو المقصود إذا قُرن الإسلام بالإيمان والإحسان [٢].

والمصنف -رحمه الله تعالى- جمع في تعريفه للإسلام بمعناه العام بين الحقيقة الشرعية للإسلام وأصوله؛ والمعاني اللغوية التي ذكرها اللغويون في تعريفه: من الإخلاص والانقياد والسلامة والبراءة؛ وهو أفضل من عَرَّف الإسلام؛ وأتى بحقيقته وأوضحه وفسَّره، وبين أصوله وقواعده، بتعريف جامع مانع[٣]؛ فلا يصح إسلام العبد حتى يوحد الله جل وعلا، وينقاد له بالطاعة، ويتبرأ من الشرك وأهله [٤].

* * * * *

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي.

(٢) ينظر: الفتاوى، لابن تيمية (٦٣٥/٧-٦٣٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٢٥)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٢).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، خالد بن علي الغامدي (١٢٤).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، حمد بن عبدالله الحمد (١٦).

قال المصنف رحمه الله: (وَهو ثَلاثُ مَراتب: (الإسلام) و(الإيمان) و(الإحسان)).

الشرح الإجمالي

(وهو) أي: دين الإسلام الخاص الذي بُعث به محمد ﷺ، له **(ثلاث مراتب)** أي: منازل ودرجات، بعضها أكمل وأعلى من بعض، وهي: مرتبة **(الإسلام)**، **(و)** مرتبة **(الإيمان)**، **(و)** مرتبة **(الإحسان)**، وأهل دين الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المراتب، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها، أو أدنى منها على قدر طاعته لله، وأول تلك المراتب الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى ما قبلها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمناً[1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف فيما سبق تعريف دين الإسلام بمعناه العام، وأراد هنا بيان دين الإسلام الخاص، وهو المراد في قوله: (الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام)، أي: معرفة دين الإسلام الخاص الذي بُعث به النبي محمد ﷺ، المتضمن لجميع ما أَمر به، ونهى عنه، ودعا إليه، وهذا الدين له ثلاث مراتب، هي:

الأولى: مرتبة الأعمال الظاهرة، وتسمى الإسلام.

والثانية: مرتبة الاعتقادات الباطنة، وتسمى الإيمان.

والثالثة: مرتبة إتقانهما، أي: عمل الباطن وعمل الظاهر، وحقيقة هذه المرتبة: عبادة الله على مقام المشاهدة أو المراقبة، وتسمى الإحسان[2].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢٠).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٠)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول،

وهذه المراتب الثلاث يدخل بعضها في بعض، فالإسلام أوسعها دائرة، فهو ينتظم الإيمان والإحسان، وأخص منه الإيمان، وأخص منه الإحسان، والمصنف -رحمه الله تعالى- ذكر المراتب هنا مجملة، وسيأتي في كلامه الآتي تفصيلها وبيان أدلتها، ومن أهم مهمات الدين معرفة العبد الواجب عليه في هذه المراتب الثلاث: أي: في إسلامه وإيمانه وإحسانه؛ والواجب منها يرجع إلى ثلاثة أصول:

الأول: الاعتقاد، وجِمَاعه: علم أصول الإيمان الستة التي ستأتي، والواجب فيه كونه مطابقاً للحق في نفسه.

والثاني: الفعل، والواجب فيه: موافقة حركات العبد الاختيارية ظاهراً وباطناً للشرع أمراً أو إباحة.

والثالث: الترك، والواجب فيه: موافقة ترك العبد واجتنابه لمرضاة الله جل وعلا، وجماعه: علم أصول المحرمات، وهي: الخمس التي اتفق عليها دين الأنبياء، وهي: الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك، والقول على الله بغير علم، وما يرجع إلى هذه ويتصل بها.

فهذه الأصول الثلاثة من الاعتقاد والفعل والترك تُبين ما يجب على العبد من الإسلام والإيمان والإحسان، وتفصيل ما يجب معرفته من هذه الأصول الثلاثة: الاعتقاد والفعل والترك، لا يمكن ضبطه لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب[1]، وأحسن ما قيل في بيان العلم الواجب هو أن كل ما وجب

صالح بن عبدالله العصيمي (٣٢).

(١) ينظر: مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/٤٤٤) مطبوعات المجمع؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول،

عليك من العلم وجَبَ عليك تعلمه قبل أدائه [١].

* * * * *

صالح بن عبدالله العصيمي (٣٢).

(١) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

قال المصنف رحمه الله: **(وكل مرتبة لها أركان؛ فَأَرْكَانُ الإسلام: (خَمْسَةٌ): شَهَادَةُ أَن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بَيْتِ الله الْحَرَامِ)**.

الشرح الإجمالي

(**وكل مرتبة**) من مراتب الدين الثلاثة (**لها أركان**) لا تقوم إلا عليها، (**فأركان الإسلام خمسة**) لا يستقيم إلا بها، ولا يثبت بدونها، وقدَّم الأهم فالأهم من أركان الإسلام، وهو الشهادتين: (**شهادة أن لا إله إلا الله**) أي: لا معبود بحق إلا الله، (**و**) شهادة (**أن محمداً رسول الله**) إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، (**و**) الركن الثاني: من أركان الإسلام: (**إقام الصلاة**) في وقتها تامة بشروطها وأركانها وواجباتها، (**و**) الركن الثالث: (**إيتاء الزكاة**) التي افترضها الله على العباد، (**و**) الركن الرابع: (**صوم**) شهر (**رمضان**) بالإمساك عن سائر المفطرات من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ممن يجب عليه الصيام، (**و**) الركن الخامس: (**حج بيت الله الحرام**) لمن استطاع إليه سبيلا [1].

الشرح التفصيلي

لما بين المصنف مراتب الدين الثلاث، وهي: الإسلام والإيمان والإحسان؛ ذكر أن كل مرتبة لها أركان، وشرع في بيان أركان كل مرتبة من تلك المراتب، وبدأ ببيان أركان المرتبة الأولى من مراتب الدين، وهي مرتبة الإسلام، فذكر أن أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢٠-١٢٢).

والأركان جمع ركن، وركن الشيء في اللغة: جانبه الأقوى[١]، وفي الاصطلاح: ما لا وجود لذلك الشيء إلا به[٢]، وهو ما يلزم من وجوده وجود الشيء، ويلزمُ من عدمه عدمُ الشيء؛ فأركان الشيء: أجزاؤه في الوجود التي لا يحصل إلا بحصولها، وداخلةٌ في حقيقته؛ وسميت بذلك تشبيهاً لها بأركان البيت الذي لا يقوم إلا بها[٣]، وأركان العبادات: جوانبها التي عليها مبناها، وبتركها بطلانها[٤]؛ والمقصود بأركان الإسلام: أي: مبانيه ودعائمه العظام التي بُني عليها الإسلام؛ وليس الركن هنا بمعناه الذي يذكره علماء الأصول من أنه ما كان داخل الماهية، وصحة الشيء متوقفة عليه؛ وإنما اصطلح العلماء على إطلاق اسم الركن على هذه المسميات؛ لأنها أعظم واجبات الدين؛ ولهذا اختلف العلماء فيمن ترك شيئاً من أركان الإسلام سوى الشهادتين[٥]، فالحج والصيام، وهما من أركان الإسلام؛ لم يتفق العلماء على أن تاركهما ليس بمسلم، واتفقوا على أن من ترك ركنًا من أركان الإيمان فإنه ليس بمؤمن أصلاً؛ وهذا يرجع إلى أنّ اصطلاح الركن اصطلاح حادث، وأن أهل العلم

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٣٩٨)؛ وكتاب العين، للفراهيدي (٣٦٧)؛ والصحاح، للجوهري (١٥٦١/٢).

(٢) الكليات، لأبي البقاء الكفوي (٤٨١).

(٣) معجم مصطلحات أصول الفقه، د. قطب مصطفى سانو (٢٢٣)، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط. الأولى: ١٤٢٣هـ.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٦٥).

(٥) حاشية كتاب اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر الرحبي (٦٦)، تحقيق: رياض حسين الطائي، الناشر: دار المقتبس، لبنان، ط. الأولى: ١٤٣٥هـ؛ وينظر: الفتاوى، لابن تيمية (٦٠٩/٧).

أتوا بالألفاظ للإفهام، وإذا كان كذلك فإننا لا نُحكِّم ألفاظ العلماء واصطلاحاتهم على النصوص، وإنما نحكم النصوص على اصطلاحات أهل العلم، فنفهم الاصطلاحات على ضوء النصوص[١].

والشهادة التي هي ركن من أركان الإسلام هي: الشهادة لله بالتوحيد ولنبيه محمد بالرسالة؛ والصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام هي: الصلوات الخمس المفروضة؛ والزكاة التي هي ركن من أركان الإسلام هي: الزكاة المفروضة المعينة في الأموال؛ والصوم الذي هو ركن من أركان الإسلام هو: صيام شهر رمضان؛ والحج الذي هو ركن من أركان الإسلام هو: حج الفرض إلى بيت الله الحرام في العمر مرة واحدة، فما زاد عن ذلك مما يرجع إلى واحد من هذه الأركان الخمسة فإنه لا يكون داخلاً في حقيقة الركن، وإن كان واجباً، بل يكون خارجاً عنه، فمثلاً من الشهادات المأمور بها شرعاً: الشهادة في أداء الحقوق؛ لكنها لا تندرج في حقيقة الركن المعدود من أركان الإسلام من الشهادة، بل الركن مختص بالشهادة لله بالتوحيد ولمحمد بالرسالة، ومثله صيام النذر أو حج النذر[٢].

وجُعلت الشهادتان ركناً واحداً ولم تجعل شهادة أن لا إله إلا الله ركناً، وشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ ركناً ثانياً؛ لأن هاتين الشهادتين أساس صحة الأعمال وقبولها، إذ لا يقبل العمل ولا يكون صحيحاً إلا بأمرين: الإخلاص

(١) ينظر: شرح الأربعين النووية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٦)، تحقيق: عادل بن محمد مرسي، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى: ١٤٣١هـ.

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٦).

لله، والمتابعة للرسول ﷺ، فإذا وجد الإخلاص تحققت شهادة أن لا إله إلا الله، وإذا وجدت المتابعة تحققت شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؛ ولأن الرسول مبلغ عن الله، فالشهادة له بالرسالة والعبودية من تمام شهادة أن لا إله إلا الله، فكأن الثانية تكملة للأولى[1].

وهذه الأركان الخمسة هي أصول الأعمال في دين الإسلام، فيجب معرفتها بالأدلة، ومعرفة هذه الأعمال تختلف درجتها باختلاف حال الناس، فالصلاة يجب معرفتها على كل واحدٍ من أهل الإسلام، وأما الحج فإنه لا يجب معرفته تفصيلاً إلاّ على من أراد أن يحج لمن استطاع، لأنه واجب على المستطيع فقط، فالمعرفة لدين الإسلام تتفاوت وتختلف باختلاف أحوال الناس[2].

* * * * *

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٧٠)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٠٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢١).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥).

قال المصنف رحمه الله: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾) [(١)].

الشرح الإجمالي

الإسلام له أركان خمسة، وكل ركن منها له دليل، **(فدليل)** الركن الأول من أركان الإسلام، وهو: **(الشهادة)**، أي: شهادة أن لا إله إلا الله: **(قوله تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾)**، أي: حَكمَ وقضى سبحانه، وأعلم وأخبر خلقة بـ: **(﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾)** يستحق العبادة، **(﴿إِلَّا هُوَ﴾)** جل وعلا، **(و)** شهد، **(﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾)** كذلك بما شهد الله جل جلاله لنفسه المقدسة به: أنه لا إله إلا هو؛ **(﴿وَأُو۟لُوا۟﴾)**، أي: أصحاب، **(﴿ٱلْعِلْمِ﴾)** شهدوا بذلك أيضاً، وهذا من أكبر الأدلة والبراهين على تفرده جل وعلا بالألوهية، فيجب على المكلفين قبول هذه الشهادة العادلة الصادقة، والله جل وعلا: **(﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾)**، أي: قائماً بالعدل في جميع الأحوال، ثم أخبر مرة أخرى، وكرَّر إفراده بالألوهية بقوله: **(﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾)**، فهو سبحانه وتعالى عزيز: فيمتنع من أن يكون له شريك، وهو حكيم: فلا يمكن أن يُسَوَى غيرهُ به في شيء مما يختص به [(٢)].

الشرح التفصيلي

شرع المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان أدلة أركان الإسلام الخمسة، وبدأ بذكر دليل الركن الأول من أركان الإسلام، وهو: شهادة أَن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقال: **(فدليل الشهادة)**: أي: دليل شهادة أن لا إله إلا الله؛

---

(١) سورة آل عمران، الآية [١٨].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٢).

وأطلق لفظ الشهادة على شهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنها أعظم شهادة في الوجود، على أعظم مشهود به، فلا ينصرف الإطلاق إلاَّ إليها[١]، والشهادة في اللغة: خبرٌ قاطع تقول به[٢]، مأخوذة من شهد يشهد شهوداً وشهادة؛ إذا عَلِمَ ذلك بقلبه، فأَخَبَر بلسانه، وأعْلَمَ به غيره؛ قال ابن فارس: "الشين والهاء والدال، أصلٌ يدل على: حضور، وعلم، وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرنا، يقال: شهد فلان عند القاضي، إذا بيَّن، وأعْلَمَ لمن الحق، وعلى من هو" [٣]؛ فالشهادة لا تكون شهادة حتى يجتمع فيها هذه الثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: أن يعتقد ويعلم بقلبه صحة المشهود به؛ وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا عِلْمَ له به.

والمرتبة الثانية: أن يتكلم بما يشهد به بلسانه؛ وإن لم يُعْلِم به غيره، بل يتكلم به مع نفسه، ويتلفظ به بلسانه، أو يكتبه.

والمرتبة الثالثة: أن يُعْلِم غيره بما يشهد به، ويبينه له؛ فمن تكلم بشيء، وأخبر به، فقد شَهِدَ به؛ فيكون معنى: الشهادة هنا: العلم بأن لا إله إلا الله، والنطق بذلك، والإعلام به[٤]؛ أي: أعْلَمُ بقلبي، وأقولُ، وأُبينُ بلساني: أنه

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٨).

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري (٤٢١/١)؛ ولسان العرب (٢٣٩/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٥١٧، ٥١٨).

(٤) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٤١٨/٢)؛ وشرح الأربعين النووية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٨٦).

لا إله إلا الله[١]؛ وشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية في الآية التي استدل بها المصنف تضمنت هذه الثلاث مراتب؛ فتضمنت علمه سبحانه بذلك، وتكلمه به، وإخباره لخلقه به؛ كما تضمنت أيضاً مرتبة رابعة، وهي: الأمر بذلك والإلزام به، وإن كان مجرد الشهادة لا يستلزمه، لكن الشهادة في الآية تتضمنه؛ فإنه سبحانه شهد به شهادة من حَكَمَ به، وقضى وأمر وألزم عباده به؛ ووجه استلزام شهادته سبحانه لذلك: أن شهادته سبحانه بأنه لا إله إلا هو، يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلهاً، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلهاً؛ وأيضاً: فالآية دلت على أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة؛ تضمن هذا الإخبار أَمْرَ العباد، وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم[٢]؛ **والشهادة معناها:** الاعتقاد الجازم، واختير لفظ الشهادة دون لفظ الاعتقاد من باب التوكيد والجزم؛ لبيان أنه لابد من الاعتقاد الجازم، حتى كأنك تُشاهد الذي تعتقده، والذي تشاهده تشهد به؛ وهذه هي الحكمة – والله أعلم – من أنه يقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولا يقال اعتقاد[٣].

واستدل المصنف على وجوب الشهادة لله تعالى وحده **بقوله تعالى:** ﴿**شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ**

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري (٦/٤٧).

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٢/٤١٩)؛ وشرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن أبي العز، تحقيق: د. عبدالله التركي، وشعيب الأرنؤوط (١/٤٤، ٤٦)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٤٨).

(٣) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢٠).

﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾، ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الشهادة لله تعالى: أن الله جل وعلا شهد لنفسه أنه لا إله إلا هو المتفرد بالإلهية، وكفى به شهيداً، وهو أصدق القائلين وأعدلهم، وشهادة الله سبحانه وتعالى تتضمن الحكم والقضاء والإلزام؛ وشَهِدَ له بذلك: الملائكة، وهم عُمَّار السماء؛ وشهد له بذلك أيضاً: أولوا العلم من الثقلين، وبعد أن شهد بذلك لنفسه، وأخبر بشهادة ملائكته له بذلك، وبشهادة أولي العلم له بذلك، أخبر مرة أخرى بمضمون ذلك فقال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾؛ والتكرار لتأكيد الشهادة المتقدمة، وليتلفظ بها القارئ انفراداً، فيكون من الشاهدين، فهذا وجه الاستدلال من هذه الآية[1].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ﴾ هذا من حيث الإعراب فيه وجهان:

أحدهما: أنه حال من لفظ الجلالة (الله)، والمعنى على هذا: شهد الله حال قيامه بالقسط: أنه لا إله إلا هو.

والثاني: أنه حال من الضمير في قوله: ﴿إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا إله إلا هو، حال كونه قائما بالقسط، وبين التقديرين فرق ظاهر، فإن التقدير الأول: يتضمن أن المعنى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ متكلما بالعدل، مخبرا به، آمرا به، فاعلا له، مجازيا به: أنه لا إله إلا هو، أي: شهد الله قائما بالعدل أنه لا إله إلا هو، وفي ذلك تحقيق لكون هذه الشهادة شهادة عدل وقسط، وهي أعدل شهادة، كما أن المشهود به أعدل شيء، وأصحه وأحقه، وإذا شهد قائماً بالعدل - المتضمن جزاء

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٢).

المخلصين بالجنة، وجزاء المشركين بالنار -: كان هذا من تمام موجب الشهادة وتحقيقها، وكان قوله تعالى: ﴿قَآبِمًا بِٱلْقِسْطِ﴾ تنبيها على جزاء الشاهد بها والجاحد لها؛ وأما التقدير الثاني - وهو أن يكون قوله: "قائماً" حالاً مما بعد إلا - فالمعنى: أنه لا إله إلا هو قائماً بالعدل، فهو وحده المستحق الإلهية، مع كونه قائما بالقسط، فيكون قد شهد الله سبحانه وتعالى لنفسه في هذه الآية بأمرين: شهد لنفسه بالألوهية، وشهد لنفسه بأنه سبحانه وتعالى قائمٌ بالقسط؛ والأظهر أن هذا التقدير أرجح؛ فإنه يتضمن: أن الملائكة، وأولي العلم يشهدون له بأنه لا إله إلا هو، وأنه قائم بالقسط، فهو أشمل في المعنى، فيكون شهد الله، وشهد الملائكة، وشهد أولو العلم لله بأمرين: بالألوهية، وأنه سبحانه وتعالى قائمٌ بالقسط، فيكون الملائكة وأولو العلم قد شهدوا بأنه قائم بالقسط، كما شهدوا بأنه لا إله إلا هو، والتقدير الأول لا يتضمن ذلك، فإنه إذا كان التقدير: شهد الله - قائما بالقسط - أنه لا إله إلا هو، والملائكة وأولو العلم يشهدون أنه لا إله إلا هو: كان القيام بالقسط حالاً من اسم الله وحده؛ وأيضا فكونه قائماً بالقسط فيما شهد به أبلغ من كونه حالاً من مجرد الشهادة؛ فتضمنت هذه الآية وهذه الشهادة: الدلالة على وحدانيته جل وعلا المنافية للشرك، وعدله المنافي للظلم، وعزته المنافية للعجز، وحكمته المنافية للجهل والعيب، ففيها الشهادة له بالتوحيد، والعدل، والقدرة والعلم والحكمة، ولهذا كانت أعظم شهادة[1].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (ومعناها: لا معبود بحق إلا الله).

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم (٤٢٦/٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٢).

الشرح الإجمالي

(ومعناها)، أي: ومعنى هذه الكلمة العظيمة -شهادة أن لا إله إلا الله- **(لا معبود)** يستحق العبادة **(بحق)**، وهذا يتضمن أن كل المعبودات من دون الله عز وجل هي معبودات باطلة؛ لأنها معبودة بغير حق، فليس لها من حق الألوهية شيء، **(إلا الله)** دون كل من سواه، وهذا يتضمن إثبات العبادة لله عز وجل وحده [1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (**ومعناها: لا معبود بحق إلا الله**)، وكأن سائلاً يسأل: ما معنى لا إله إلا الله؟ فبين المصنف -رحمه الله تعالى-: معنى هذه الشهادة، وهي شهادة أن لا إله إلاّ الله، بأنه: لا معبود بحقٍ إلاّ الله وحده، وهذا فيه مسائل:

المسألة الأولى: فسَّر المصنف كلمة (إله) بـ (معبود)، وهذا تفسير مطابق، فـ (إله) فِعال بمعنى مفعول (مألوه)، أي: لا معبود، فالإله في كلام العرب هو المعبود، وهو مأخوذ من: أَلَهَ يَأْلَهُ، إِلَهَةً، وألوهة: إذا عَبَد مع الحب والخوف والرجاء؛ فإذا عبد عابدٌ ما يعبده خائفاً راجياً محباً فإنه يكون قد ألهه[2].

قال الراجز [3]:

لله در الغانيات المدَّهِ سبحن واسترجعن من تألهي

يعني: من عبادتي، فالتأله في اللغة هو: العبادة؛ وكذلك هو الذي جاء في

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٢٤).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٣).

(٣) هو رؤبة بن العجاج، ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٠).

القرآن، قال جل وعلا: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1]، فتفسير الإله بالمعبود، هذا موافق للقرآن وموافق للغة العرب، وبه يُعلم أن تفسير الإله بالرب، يعني: تفسير كلمة: لا إله إلا الله، بأنها: لا خالق أو لا قادر على الاختراع إلا الله، هذا من أبطل ما يكون؛ لأنه مناقض للغة العرب، ومناقض للقرآن، فإن مادة (الإله) غير مادة (الرب)، فالإله هو: المعبود؛ ومن ذلك تفسير بعضهم "الإله" بقولهم، هو: المستغني عما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه[2]، فيكون معنى: (لا إله إلا الله) عندهم، أي: لا مستغنياً عما سواه، ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله، وهذا التفسير يرجع إلى معنى الربوبية، فصار معنى كلمة التوحيد عندهم هو: توحيد الله جل وعلا في ربوبيته، أي: لا يخلق ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، وهؤلاء ظنوا أن التوحيد هو مجرد اعتقاد وحدانية الله في ذاته وصفاته وأفعاله[3]، وهذا من أبطل الباطل؛ لأن المشركين قد أخبر الله جل وعلا عنهم في كتابه أنهم مقرون بهذا المعنى المُفسَّرُ به كلمة التوحيد[4]؛

---

(١) سورة فصلت، الآية [١٤].

(٢) السنوسية مع شرحها أم البراهين في العقائد الأشعرية، تأليف: أحمد بن عيسى الأنصاري (١٣٥).

(٣) وحقيقة الألوهية عندهم: اعتقاد استقلالية المطلوب وقدرته على الاختراع، فالتوحيد عندهم اعتقادي فقط، ولهذا التزموا بأنه لا شرك بالتقرب إلى غير الله بالعبادة إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق المعبود للعبادة من دون الله، وأن المعبود متفرد بالخلق والتدبير، فصرف شيء من العبادة لغير الله ليس شركاً لذاته عندهم إلا إذا تضمن اعتقاد استحقاق العبادة لمن صُرفت له؛ ولهذا اشتد الخلاف بين المصنف الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله– وبعض علماء عصره حين بيَّن لهم أنه كما يكون الشرك في الاعتقاد فإنه كذلك يكون باتخاذ الوسائط في الطلب، وفي التقرب إلى غير الله بالعبادة، ولو لم تكن متضمنة الشرك في الاعتقاد. ينظر: الشرك في القديم والحديث، تأليف: أبو بكر محمد زكريا (١/٣٦-٣٨).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٥).

وسبب غلطهم في هذا التفسير راجع إلى حمل النصوص والآثار على المصطلحات المستحدثة بعد عهد التنزيل بدهور بعيداً من تخاطب العرب وفهم السلف، فتفسير الإله بالصانع المخترع الخالق أو الرب باطل لغة وشرعاً؛ فإن الإله والرب مفهومان متغايران لغة وشرعاً[(١)].

المسألة الثانية: قدَّر المصنف خبر (لا) النافية للجنس بقوله: (بحق)؛ فـ (لا) حرف لنفي الجنس، و(إله) اسمها، مبني على الفتح، و(إلا الله)، (إلا): هذه أداة استثناء للفظ الجلالة، والاستثناء (إلا الله) ليس هو خبر (لا)[(٢)]؛ لأنه لا يصلح أن يكون خبراً لها لا لفظاً ولا معنى، أما كونه لا يصلح لفظاً؛ فلأن (لا) لا تعمل إلا في النكرات؛ ولفظ الجلالة (الله) هو معرفة؛ بل لفظ الجلالة أعرف المعارف على الإطلاق، فلا يمكن أن تعمل فيه (لا) من حيث اللفظ واللغة؛ وأما من حيث المعنى فكذلك، لا يصلح جَعْلُ لفظ الجلالة خبراً، لأن المعنى يكون: لا معبود إلا الله، وهذا ليس بصحيح، فهناك معبودات كثيرة غير الله عز وجل، فخبر (لا) النافية للجنس في شهادة التوحيد: (لا إله إلا الله) محذوف؛ لأن العرب ترى في لغتها أن (لا) النافية للجنس يحذف خبرها إذا كان واضحاً، كما قال ابن مالك في الألفية في آخر باب لا النافية للجنس:

وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ إِسْقَاطُ الخَبَر   إِذَا الْمُرَادُ مَعْ سُقُوطِهِ ظَهَر

---

(١) ينظر: الشرك في القديم والحديث، تأليف: أبو بكر محمد زكريا (٤٦/١).

(٢) هناك من يرى أن الكلام تام لا يحتاج إلى تقدير خبر، فـ (لا إله) مبتدأ، و (إلا الله) خبره.

ينظر: رسالة: "التجريد في إعراب كلمة التوحيد" تأليف الشيخ علي القاري، المتوفى سنة ١٠١٤هـ.

قوله: (وَشَاعَ فِي ذَا الْبَابِ) يعني: باب لا النافية للجنس؛ فإذا ظهر المراد مع الحذف فإنه يُحذف [١]؛ وقد غلط كثيرٌ من النحويين في تقدير الخبر المحذوف فقالوا: الخبر كلمة (موجود)، والتقدير: لا إله موجود إلا الله؛ لأنهم يشترطون أن يكون الخبر المحذوف مشتق، فلا بد أن يكون إما اسم فاعل أو اسم مفعول أو جملة اسمية أو خبرية، فقالوا الخبر: كلمة (موجود)، وهذا التقدير ليس بصحيح؛ إذ لا يصح أن يقال: لا إله موجود إلا الله؛ لأن هناك آلهة موجودة غير الله سبحانه وتعالى، مثل الأشجار والأحجار والأشخاص إلى غير ذلك [٢]، فهذا التقدير لا يصلح؛ ويدل لذلك أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة أخرى، فهم يعلمون أن هناك آلهة كثيرة موجودة، لهذا لا يصح أن يقال: إن خبر (لا إله): (موجود)؛ لأن أولئك المشركين قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[٣]؛ فلو كان خبر (لا إله) تقديره (موجود) لقالوا له: هذه الآلهة موجودة، فكلمتك هذه ليست بصحيحة، لكن الخبر معلوم؛ لأنه زبدة الرسالة وعين ما بعث به النبي ﷺ، فخبر (لا) إذا حُذف قُدر بالمناسب الذي يُعْلَمُ، وإذا حذف الخبر كان لأجل العلم به ولوضوحه؛ فيكون تقدير الكلام: لا معبود حق إلا الله؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام بُعث لتوحيد الله جل وعلا بالعبادة، ولإبطال عبادة غيره، وأنه لا معبود حق إلا الله، وأن كل معبود سوى

---

(١) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٣)؛ والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح ابن عبدالعزيز آل الشيخ (٧٧).

(٢) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٣٩).

(٣) سورة ص، الآية [٥].

الله جل وعلا فعبادته بالباطل والظلم والطغيان والتعدي من الخلق[١]؛ فالذي يراد من هذه العبارة ومن هذه الجملة: هو إثبات أن الله هو الإله الحق، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾[٢]، فيكون المعنى: لا معبود حق إلاّ الله تعالى، يعني: لا إله يقصد بشيء من العبادة وهو مستحق لها، وأهلٌ لتلك العبادة إلا الله، فإنه جل وعلا هو المستحق للعبادة دون غيره، إذاً هنا حُذِف الخبر؛ لأنه معلوم، فصار تقديره لا إله حق أو لا إله بحق إلا الله؛ لأن الله جل وعلا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[٤]؛ فلما كانت هذه الآية، وقد جاءت في القرآن في سورتين: مشتملة على أن عبادة الله حق، وأن عبادة غيره باطلة، ناسب أن يكون المحذوف هنا كلمة (حق) أو كلمة (بحق)؛ لا إله بحق أو لا إله حقٌ، لأنها هي التي دلت عليها الآيات؛ فصار معنى: (لا إله إلا الله): لا معبود حق إلا الله، وهناك معبودات غير الله عز وجل؛ ولكنها معبودات بالباطل، وصار هذا التقدير من أنسب ما يكون[٥]، **قال القرافي** - رحمه الله تعالى -: «والإله المعبود، وليس

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٧، ١٣٨).

(٢) سورة يونس، الآية [٣٢].

(٣) سورة لقمان، الآية [٣٠].

(٤) سورة الحج، الآية [٦٢].

(٥) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٣).

المراد نفي المعبود كيف كان؛ لوجود المعبودين في الوجود كالأصنام والكواكب، بل ثم صفة مضمرة تقديرها: لا معبود مستحق للعبادة إلا الله، ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهده كذباً»[(١)].

المسألة الثالثة: قال المصنف: **(ومعناها: لا معبود بحق إلا الله)**، والصواب أن يكون التقدير: لا إله حقٌ، أو لا معبود حقٌ إلا الله، بدون الباء[(٢)]؛ ويصح أن يكون التقدير: لا إله بحق، أو لا معبود بحقٌ إلا الله، وهو أوضح للعامة، وهو ما قدره المصنف هنا؛ ولعل المصنف راعى تقريبه للناس ليفهموه[(٣)]؛ ولكن التقدير الأول أوفق للقرآن، في قول الحق تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾[(٤)]؛ وهو أصح وأقوم لغة؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير، فالخبر هو الموجود، فلا يحتاج لتقدير؛ أما قولنا: (بحق)، فيحتاج إلى تقدير آخر؛ لأن الجار والمجرور خبرٌ متعلق بمحذوف، تقديره: لا معبود كائن بحق[(٥)].

* * * * *

---

(١) الذخيرة، للقرافي (٢/٥٧).

(٢) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، المتن والشرح، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٦٠)، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ط. الأولى: ١٤٣٧هـ؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٣٨).

(٣) ينظر: بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٣٠).

(٤) سورة الحج، الآية [٦٢].

(٥) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، المتن والشرح، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٦٠).

قال المصنف رحمه الله: **((لا إله): نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، (إلا الله): مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ، لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ؛ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ).**

الشرح الإجمالي

شهادة التوحيد: "لا إله إلا الله" مركبة من: النفي والإثبات، وهما ركناها، فـالنفي في قول: **(لا إله)**، وهذا يتضمن نفي استحقاق العبادة عن كل من سوى الله عز وجل؛ أي: **(نافياً جميع ما يعبد من دون الله)**؛ والإثبات في قول: **(إلا الله)**، وهذا يتضمن إثبات العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له؛ أي: **(مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته؛ كما أنه لا شريك له في ملكه)**؛ فإذا كان هو الذي له الملك كله، لا شريك له فيه، وهو خالق كل شيء؛ فيجب أن يكون هو المعبود وحده [1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: ((**لا إله) نافياً جميع ما يعبد من دون الله، (إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده)**: فبيَّن أن كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" مكونة من نفي وإثبات، هما ركناها: النفي: (لا إله)، والإثبات: (إلا الله)، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات المحض، فلابد من الجمع بينهما؛ حتى يتحقق التوحيد وينتفي الشرك، فدلالة هذه الكلمة العظيمة على إثبات الإلهية لله وحده، أعظم من دلالة قولنا: الله إله؛ لأن النفي والإثبات يجعل الشيء المقصود محصوراً بما ذُكر فقط، ولا يعدوه إلى غيره، فالمقصود أن يكون التأله

(١) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٢٦).

لله جل وعلا وحده لا شريك له[١] ؛ فالذي يقول (لا إله إلا الله)، يقول: أنفي جميع ما يُعبد من دون الله، وأُثبت العبادة لله، فـ (لا) نافية للجنس، و (إله) اسمها، وخبرها محذوف تقديره (حق)؛ فالله هو الحق، وعبادته وحده هي الحق، وعبادة غيره منفية بـ (لا) في هذه الكلمة، فـــ (لا إله) تتضمن نفي وجود معبود بحق سوى الله، فالمنفي بـــ (لا) في هذه الكلمة هو عبادة غير الله؛ لأنها عبادة بالباطل، فقول: (لا إله): هذا نفي للآلهة الباطلة، وليس نفياً لجميع الآلهة، وبه يُعلم أن المستثنى (إلا الله) مُخرج من المستثنى منه (لا إله)، ومن حكمه، فلا يدخل أصلاً في المنفي حتى يُستثنى منه، ولا يدخل في حكمه حتى يخرج منه[٢].

قال المصنف: **(لا شريك له في عبادته؛ كما أنه ليس له شريك في ملكه)**، أي: كما أن الله تعالى هو المتفرد في ملكه، فيجب أن يُفرد بالعبادة؛ فإن من أظلم الظلم: أن يُجْعَلَ المخلوق الذي ليس شريكا لله في الملك: شريكاً لله في العبادة، تعالى الله وتقدس؛ وهذا كالدليل لما تقدم ذكره من تقرير: أنه لا معبود بحق إلا الله، ووجه هذا: أنه لا يستحق العبادة إلاّ الله عز وجل؛ كما أنه ليس له شريك في ملكه، وهذا استدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الإلهية، فالإقرار بأن الله عز وجل ليس له شريك في ملكه لا على وجه الاستقلال ولا

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٢)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٤٠).

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٢)؛ وشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن إبراهيم القرعاوي (٨١).

على وجه الإشاعة ؛ يلزم منه لزوماً أكيداً أن الله جل وعلا واحد في استحقاقه العبادة ، لا يستحق العبادة إلا هو ، لا شريك له ، كما أنه هو وحده له الملك لا شريك له ؛ والله جل وعلا بَيَّن في القرآن أنه لو كان له شريك في الملك -في ملكه- لابتغى إليه سبيلا ، قال جل وعلا : ﴿**قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا**﴾(١) ؛ فلو كان معه آلهة- معبودات تستحق العبادة فعلاً- للزم أن يكون لهم نصيب في ملك الله ؛ لأنه لا يستحق العبادة إلا من يملك النفع والضر ، والله جل وعلا ليس معه أحد في ملكه ، بل هو المتوحد في ملكه ، وينتج من ذلك ويلزم أنه هو المستحق للعبادة وحده(٢).

* * * * *

(١) سورة الإسراء ، الآية [٤٢].

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٠) ؛ وينظر : شرح الأصول الثلاثة ، د. خالد المصلح (٤٣).

قال المصنف رحمه الله: (**وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[1]).

الشرح الإجمالي

(**وتفسيرها الذي يوضحها**) الضمير يعود إلى شهادة: (أن لا إله إلا الله)، أي: وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله الذي يبينها بياناً تاماً ما ذكره الله في كتابه في (**قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ﴾)، يعني: اذكر إذ، (﴿قَالَ﴾) إمام الحنفاء: (﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾) آزر، (﴿وَقَوْمِهِ﴾) الذين اتخذوا من دون الله آلهة يعبدونهم ويتقربون إليهم، قال لهم: (﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾)، أي: مبغض ومتبرئ (﴿مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾)، يعني: من الذي تعبدونه من الآلهة، فـ (ما) موصولة بمعنى الذي، وهذا فيه معنى (لا إله)، (﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾)، أي: ابتدأ خلقي، وبرأني؛ فإني أعبده، وهذا فيه التعليل لإفراده جل وعلا بالعبادة، فاستثنى من المعبودين ربه، وهذا فيه معنى (إلا الله)، (﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾)، أي: يرشدني لدينه القويم وصراطه المستقيم؛ لأن الهداية بيده جل وعلا هو الذي يملك الهداية، وهذا يدل على أن تبرؤه مما يعبدون هو من هداية الله له، وأن كل من خالف هذه البراءة لفظاً أو معنىً؛ فإنه بعيد عن هداية الله سبحانه وتعالى، (﴿وَجَعَلَهَا﴾)، أي: وجعل الخليل إبراهيم عليه السلام، كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وما تضمنته من إخلاص جميع أنواع العبادة لله وحده، والتبرؤ من عبادة كل ما سوى الله (﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾)، أي: في نسله وذريته

---

(١) سورة الزخرف، الآيات [٢٦-٢٨].

من الأنبياء بعده، وآخرهم نبينا محمد ﷺ؛ (﴿لَعَلَّهُمۡ﴾)، أي: أهل مكة، وغيرهم، (﴿يَرۡجِعُونَ﴾) عما هم عليه إلى دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيقتدون بمن هداه الله من ذريته إليها[1].

—

الشرح التفصيلي

من حسن تأليف المصنف -رحمه الله تعالى- أنه لم يُفسر هذه الكلمة ولم يوضحها ويشرحها بكلام من عنده، وإنما وضحها بكلام الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يمكن لأحد أن يعارض كلام الله عز وجل إلا من كان في قلبه زيغ[2]؛ ووجه الدلالة من الآية على تفسير كلمة التوحيد: أن معنى: (لا إله إلا الله) جامع بين النفي والإثبات، نفي ما يعبد من دون الله، وإثبات العبادة لله وحده، ويبين نفيها قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾، وبيَّن إثباتها قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، فعبَّر عن معنى: (لا إله) بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾؛ وعبَّر عن معنى (إلا الله) بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؛ فتبين: أن معنى لا إله إلا الله، هو: البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله، وقد أمرنا الله جل وعلا أن نتأسى بإمام هذا التوحيد في نفيه وإثباته[3]، كما في قوله تعالى: ﴿قَدۡ

---

(١) ينظر: مختصر تفسير البغوي "المسمى معالم التنزيل" (٨٤٤/٢)؛ وتفسير السعدي (٧٦٤)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٤).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٥).

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٢).

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾[1].

وفي الآية الدلالة على أن شهادة أن لا إله إلا الله تستلزم البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وأنه لا يستقيم التوحيد إلاّ بإفراد الله عز وجل بالعبادة، والخلوص من الشرك والبراءة من أهله[2].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الممتحنة، الآية [٤].

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٥)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٢٧).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وقَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(**و**) مما يفسر شهادة: "أن لا إله إلا الله"، أيضاً: (**قوله**: ﴿قُلْ﴾) يا أيها الرسول: (﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾)، وهم اليهود والنصارى، أهل التوراة وأهل الإنجيل، (﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾)، أي: أقْبِلوا وهلموا إلى كلمة واحدة لا غير، استوى فيها أهل الإسلام مع أهل الكتاب، لا يختلف فيها رسول ولا كتاب، وهي التي يدعو الرسل أقوامهم إليها، وهذه الكلمة هي: (﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾)، أي: لا نوحد نحن وأنتم بالعبادة إلا الله وحده، (﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾) لا وثناً ولا صنماً ولا صليباً ولا غيرها؛ وهذا لبيان أن العبادة لا تتم إلا بالتخلي عن الشرك، (﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾)، أي: لا يتخذ بعضنا البعض الآخر ربًّا مطاعًا من دون الله فيفرض طاعته على غيره، وهذا تأكيد لإفراد الله عز وجل بجميع أنواع العبادة، ومنها الطاعة، فمن لوازم تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، أن يكون العبد مطيعاً لله جل وعلا، وألاّ يتخذ الناسُ بعضَهم بعضاً أرباباً من دون الله؛ باتباعهم في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فمن اتبع أحداً، وأطاعه في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فإنه قد اتخذه ربّاً من دون الله، (﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾) ولم يقبلوا الاجتماع على كلمة التوحيد، (﴿فَقُولُوا۟﴾) أنتم يا أمة محمد

---

(١) سورة آل عمران، الآية [٦٤].

ﷺ لهم: (﴿ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾) مخلصون لله بالتوحيد [١].

—

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف دليلاً آخر يُفسر شهادة التوحيد؛ ووجه الاستدلال من الآية: أن هذه الآية تضمنت تفسير معنى: (لا إله إلا الله)، فقوله تعالى: (ألا نعبد) هذا النفي في كلمة: لا إله؛ وقوله تعالى: (إلا الله) هذا الإثبات، وهذا هو التفسير لكلمة التوحيد، وقد جاء في الآية تأكيد معناها في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أي: آلهة من دون الله، وكان تفسير الربوبية هنا بالإلهية؛ لأنهم لم يدّعوا في الخلق أنه رب، بمعنى: أنه يخلق ويرزق استقلالاً، ويحيي ويميت استقلالاً، وفي آخر الآية تقرير بأن من ترك ما دل عليه أولها فإنه ليس بمسلم؛ لأنه قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾؛ أي: فإذا لم تذعنوا لهذه الكلمة التي بيننا وبينكم، وهي: (ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا)، فأنتم لستم من أهل الإسلام[٢]؛ وهذه الآية بينت الشهادة التي لا يستقيم لها ساق ولا يثبت لها عود ولا تقرّ في قلب إلا بهذين الركنين العظيمين، وهما إثبات العبادة لله عز وجل، ونفيها عن غيره كائناً من كان[٣]، وقد كان

---

(١) ينظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير، بإشراف: صفي الرحمن المباركفوري (١٧٧)؛ ومختصر تفسير البغوي "المسمى معالم التنزيل" (١/١٢٥)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٣).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٣).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٦).

النبي ﷺ يكاتب بهذه الآية إلى ملوك أهل الكتاب، وكان يقرأ بها في الركعة الثانية من سنة الفجر؛ لاشتمالها على الدعوة إلى دين واحد، فقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، وحوت توحيد الإلهية الذي هو عبادة الله وحده، وأن يُعْتَقدُ أن البشر وجميع الخلق لا يستحق أحد منهم شيئاً من خصائص الربوبية، ولا من نعوت الإلهية، فإن انقاد أهل الكتاب وغيرهم إلى هذا فقد اهتدوا، وإلا فهم في ضلالهم يعمهون [١].

وجمع المصنف هنا دليلين على خلاف عادته؛ لأن كل دليل يبين ويوضح أمراً غير الذي بيَّنه الآخر، وذلك أن شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي بغض أعداء الله وعداوتهم ومفاصلتهم مفاصلة تامة، كما قررته آية الزخرف في الدليل الأول؛ وفي الدليل الثاني بيانٌ لقضية يغفل عنها كثير من الناس، وهي أن المفاصلة لا تمنع من دعوتهم إلى الإسلام، ودخولهم فيه [٢].

* * * * *

(١) ينظر: المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير (١٧٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٤).

(٢) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٦١٤/٢).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(وَدِلِيلُ شَهَادَةِ: أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(ودليل شهادة أن محمداً رسول الله) من القرآن: **(قوله تعالى:** ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾)، أي: رسولٌ من جنسكم، تعرفون نسبه وصدقه، يتكلم بلسانكم وتعقلون عنه، ومن صفاته أنه: يشق عليه كل أمر يعنت أمته، وأعظمه الوقوع في الشرك: (﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾)؛ وأنه حريص على هداية العباد وإنقاذهم من النار، وأنه رؤوف رحيم بالمؤمنين: (﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾)، فهذه شهادة من الله لهذا الرسول ﷺ بالرسالة، وبيان صفاته[2].

الشرح التفصيلي

سبق أن الركن الأول من أركان الإسلام هو: الشهادة بأن: (لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله)؛ وقد بيَّن المصنف فيما مضى دليل شهادة: (أن لا إله إلا الله)، وهنا بيَّن دليل شهادة: (أن محمداً رسول الله)، وسيأتي تفصيل من هو النبي في الأصل الثالث الذي سيذكره المصنف؛ والشاهد من الآية قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾، وهذا قسم، فاللام هذه هي الموطئة للقسم، دائماً تصحب قد؛ ﴿لَقَدْ﴾، فثمَّ قسَمٌ محذوف تقديره: والله لَقَدْ

---

(١) سورة التوبة، الآية [١٢٨].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٦)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٥)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٤٤).

جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ، والمُقسِم هو: الله جل وعلا، وأَقْسمَ بأنه: قد جاءكم رسول، وهذا لتأكيد الكلام وتعظيمه بنفس السامع؛ لأنه أُكد بالقسم، والمُقسِم هو الله جل وعلا، وهذا واضح الدلالة على الشهادة بأن محمدا رسول الله؛ لأن معنى شهادة أن محمدا رسول الله: أن يُعْتَقَدُ أن محمدا أرسله الله جل وعلا بدين الإسلام، اعتقاداً يصحبه قول وإخبار عنه، وهذه الآية واضحة الدلالة على المراد[1]؛ فهذا دليل من القرآن على رسالة النبي ﷺ؛ ومن أدلة ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾[2]؛ فأثبت علمه سبحانه وتعالى برسالة الرسول ﷺ؛ بل لما طُولب النبي ﷺ بدليل على رسالته قال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[3]، فاكتفى بشهادة الله عز وجل على إثبات رسالته[4].

والواجب من الشهادة لله جل جلاله هو الشهادة له بالتوحيد، والواجب من الشهادة لرسول الله ﷺ هو الشهادة له بالرسالة؛ وهذان المعنيان هما اللذان يتعلق بهما ركن الشهادة، وما عدا ذلك من معاني الشهادة فإنه خارجٌ عنها، وإن كان واجباً[5].

* * * * *

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٤)؛ والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٤٣).

(٢) سورة المنافقون، الآية [١].

(٣) سورة الإسراء، الآية [٩٦].

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٧).

(٥) التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (٢٠).

قال المصنف رحمه الله: (وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا عنه نهى وزجر، وألا يُعْبَدَ الله إلا بِمَا شَرَعَ).

الشرح الإجمالي

(**ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله**)، أي: مقتضى هذه الشهادة هي: (**طاعته فيما أمر**) من التوحيد والصلاة والزكاة، وغيرها من الواجبات والمستحبات؛ (**وتصديقه فيما أخبر**) به عن الآخرة والجنة والنار، وغير ذلك من أخبار الأمم الماضية، أو الأمور المستقبلة؛ (**واجتناب ما عنه نهى وزجر**)؛ كالشرك والبدع وعقوق الوالدين والزنا والربا، وغير ذلك؛ (**وأن لا يعبد الله إلا بما شرع**) الله سبحانه في كتابه، وما جاء به رسوله ﷺ؛ فمن عبَدَ الله بغير ما شرع فعمله باطل مردود عليه [(١)].

الشرح التفصيلي

سبق فيما مضى بيان أن الشهادة لا تكون شهادة حتى يجتمع فيها ثلاث مراتب: علم الشاهد بها، واعتقاد صحة ما شهد به؛ وتكلم الشاهد بذلك ونطقه به؛ وأن يُعْلِم الشاهد ويخبر غيره بما يشهد به؛ فمعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: أن يعلَم العبد ويعتقد، ويتكلم، ويُخبر بأنَّ محمدًا بن عبد الله الهاشمي القرشي المكي رسولٌ من عند الله جلَّ وعلا إلى جميع الخلق من الجن والإنس، أُنزل عليه الوحي فبلَّغ ذلك؛ لأن الرسول مُبلِّغ [(٢)].

وهناك من يُفسّر شهادة أنَّ محمدًا رسول الله بمقتضاها، أي: بمعناها الذي تقتضيه، كما فعل المصنف؛ حيث قال: (**ومعنى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا**

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٧)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٢٨).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٧٥).

يعبد الله إلا بما شرع)، فمعنى شهادة أن محمدا رسول الله من طريق اللزوم: أنها تقتضي أموراً أربعة:

الأمر الأول: طاعته فيما أمر؛ فإن ما جاء به النبي ﷺ: إما أن يكون خبراً، فالواجب فيه: التصديق؛ وإما أن يكون أمراً، فالواجب فيه: الانقياد والتسليم، فالواجب في الأخبار التصديق، والواجب في الأحكام الطاعة والانقياد[١]، فالشهادة بأن محمداً رسول من عند الله تقتضي: طاعته فيما أمر؛ لأنه إذا أمر فإن الآمر هو الله جل وعلا؛ فإذا اعتقد أن هذا الذي جاء به محمد ﷺ لم يأتِ به من عنده وإنما هو رسول، فمقتضى ذلك: أن يطيعه فيما أمر؛ لكونه شهد بأنه رسول الله، فإن لم يطعه فيما أمر اعتقاداً أنه لا يُطاع، كان ذلك تكذيباً لشهادته، فمن قال أشهد أن محمدا رسول الله، وهو يعتقد أنه لا تلزمه طاعة الرسول ﷺ، فحاله حال المنافقين؛ شهادته مردودة، وهو كاذبٌ في شهادته؛ وأما إذا اعتقد أنه تجب عليه طاعة الرسول ﷺ فيما أمر، ولكنه خالف لغلبة هوى، فهذا يكون عاصياً، قد نقص من تحقيقه لشهادة أن محمداً رسول الله بقدر مخالفته[٢]؛ وما أُمر به على نوعين: ما كان على سبيل الوجوب، فتجب الطاعة فيه؛ وما كان على سبيل الاستحباب، فتُستحب الطاعة فيه.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «الشهادة لرسول الله بأنه نبي لا تُدخل الإنسانَ في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فشهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية ديناً لم تُدْخِلهُ هذه الشهادة في الإسلام، ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٤٨).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٥).

له ﷺ بالرسالة وأنه صادق، ولم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام؛ علِمَ أن الإسلام أمرٌ وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً»[1].

الأمر الثاني: تصديقه فيما أخبر؛ فالخبر يستوجب التصديق؛ كما أن الأمر يستوجب الانقياد، فما أخبر به النبي ﷺ من الغيب هو وحيٌ من عند الله؛ فكل ما أتى من أخبار الغيبيات من الكلام على الله جل وعلا وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن الجنة والنار، وعن أخبار الغيب، وقصص الماضين، هو كله بوحي من الله جل وعلا، فمقتضى الشهادة بأنه رسول من عند الله: أن يُصدق في كل ما أخبر به، فالمؤمن يصدق رسول الله ﷺ بما أخبر به، سواء عقل ذلك أو لم يعقله، وسواء أدرك ذلك بنظره أو لم يدركه[2].

الأمر الثالث: اجتناب ما عنه نهى وزجر، فما نهى عنه الرسول ﷺ أو زجر عنه أو حرَّمه فإنه يجب اجتنابه؛ كما قال جل وعلا: ﴿**وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟**﴾[3]، والتعبير بلفظة (اجتناب) أولى من (ترك)؛ لأن الاجتناب هو التباعد؛ بأن يكون العبد في جانب، والمنهيات في جانب آخر، ولا يكون ذلك إلا بترك المشتبهات التي لم يتضح للعبد حلها أو حرمتها[4].

الأمر الرابع: أن لا يعبد الله إلا بما شرع؛ فلا يُعبد الله جل وعلا بالأهواء والبدع والمحدثات والآراء والاستحسانات المختلفة، وإنما يُعبد الله جل وعلا

---

(١) زاد المعاد (٦٣٨/٣).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٦).

(٣) سورة الحشر، الآية [٧].

(٤) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٦٣٥/٢).

عن طريق واحدة، وهي طريق الرسول ﷺ بما جاء به عن ربه جل وعلا[١]، والضمير في قول المصنف: (**وأن لا يعبد الله إلا بما شرع**)، أي: بما شرعه الله عز وجل، فالضمير المستتر المتعلق بالفعل (شرع) عائد إلى الاسم الأحسن (الله) لا إلى الرسول، فتقدير الكلام: وأن لا يعبد الله إلا بما شرعه الله؛ لأن الرسول ليس له حق الشرع؛ وإنما الشرع حق خاص بالله جل وعلا، والنبي إنما هو مبلغ فيما يبلغه من شرع الله جل وعلا [٢].

فإذا اعتقد المسلم ذلك كمُلت له شهادته بأن محمداً رسول الله، وصار مسلماً حقاً.

ومقتضى هذه الشهادة أيضاً: أن لا يُعْتَقد أن لرسول الله ﷺ حقاً في الربوبية وتصريف الكون، أو حقاً في العبادة، بل هو ﷺ عبدٌ لا يُعْبد، ورسولٌ لا يُكَذَّب، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله، كما قال الله تعالى: ﴿**قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ**﴾[٣]، فهو عبد مأمور يتبع ما أُمر به[٤].

والمقصود: أن أول ما يجب على العبد في الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة: معرفة معنى الشهادتين، مع النطق بها بلسانه، وأن يعمل بما دلت عليه[٥].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى:

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٨).

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٧).

(٣) سورة الأنعام، الآية [٥٠].

(٤) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٧٥).

(٥) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٨).

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(**ودليل**) أن (**الصلاة والزكاة**) المفروضة ركنان من أركان الإسلام الخمسة، وكذا في الآية (**تفسير التوحيد**) أيضاً، وهو الأساس الذي لا يستقيم إسلامُ عبدٍ إلا به: (**قوله تعالى:** ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾)، أي: الكفار في جميع الأزمان (﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) وحده، (﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾)، أي: العبادة، (﴿حُنَفَآءَ﴾)، أي: مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام؛ وهذا تفسير التوحيد، وهو: عبادة الله مع الإخلاص له، وترك عبادة ما سواه، (﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾) المكتوبة بأركانها وواجباتها وشروطها في أوقاتها كما أمر الله، (﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾) عند محلها لأصنافها المستحقين لها كما أمر الله، (﴿وَذَٰلِكَ﴾)، أي: المتقدم، وما أُمر به من التوحيد، ومن إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة هو: (﴿دِينُ﴾) الملة (﴿ٱلۡقَيِّمَةِ﴾) المستقيمة، أي: دين الكتب المستقيمة المنزلة على الأنبياء، وهو دين الإسلام الذي يجب أن يُتبع؛ لأن كل من رام استقامةً في غيره فإنه لا يحصل له ذلك[2].

---

(١) سورة البينة، الآية [٥].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. صالح بن فوزان الفوزان (١٨٧)، والمحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٤٦)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢٢).

الشرح التفصيلي

قال المصنف في بعض رسائله: «اعلم رحمك الله: أنَّ فَرْضَ معرفة شهادة أن لا إله إلا الله، قبل فرض الصلاة والصوم، فيجب على العبد: أن يبحث عن معنى ذلك، أعظم من وجوب بحثه عن الصلاة، والصوم... ومعنى ذلك، أن يشهد العبد: أن الإلهية كلها لله، ليس منها شيء لنبي، ولا لملك، ولا لولي، بل هي حق الله على عباده»[1]؛ ولهذا اقتصر المصنف -رحمه الله تعالى- على بيان حقيقة الركن في الأولين، وهما الشهادتان: ببيان معناهما؛ لشدة الحاجة إليهما، ووقوع أكثر الناس فيما يخالفهما؛ وأما بقية أركان الإسلام فاكتفى فيها بذكر الأدلة على كونها من أركان الإسلام دون بيان حقيقة الركن.

قال المصنف: (**ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد**): وهذا شروعٌ من المصنف -رحمه الله تعالى- للاستدلال على أن الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة: ركنان من أركان الإسلام الخمسة؛ واستدل على ذلك بـ(**قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾**)؛ وهذه الآية تضمنت الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، كما تضمنت بيان التوحيد وتفسيره، وفيها أن هذا الدين عقيدةً وعملاً هو أقوم الأديان، وأن كل من رام استقامةً في غيره فإنه لا يحصل له ذلك[2]؛ والمقصود أنها تضمنت الدلالة على الأمرين:

الأول: الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة؛ أما الصلاة ففي قوله تعالى: **﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾**، وأما الزكاة ففي قوله تعالى: **﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾**؛ ووجه كونهما ركنان من أركان الإسلام أنهما مأمورٌ بهما، وهذا دليل على أنهما من دين

---

(١) الدرر السنية (٢/١٢١).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٠).

الإسلام ؛ لأن الفعل : (يقيموا) معطوف على الفعل : (ليعبدوا)، الذي دخلت عليه لام الأمر، فيكون التقدير : (ليعبدوا وليقيموا وليؤُتوا)، فتكون كلمة (يقيموا) على وجه الأمر، أي : ليقيموا ؛ والأمر يقتضى الوجوب، ولا صارف له عن الوجوب، فيكون واجباً، وكذلك يقال في كلمة (يؤتوا)، فالآية فيها أمرٌ بإقامة الصلاة، وأمرٌ بإيتاء الزكاة [١].

والثاني : تفسير التوحيد، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾، فهم مأمورون بإفراد الله بالعبادة، وهو مستفاد من طريق القصر، وهو الاستثناء بعد النفي ؛ ويضاف إلى هذا الإخلاص، وهو ألا يشرك مع الله غيره، فيكون قوله تعالى : ﴿**وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ**﴾، هو معنى (لا إله إلا الله)، أي : لا معبود حقٌ إلا الله، ولا يتم هذا إلا بإفراد الله تعالى بالعبادة [٢].

وجمع في هذه الآية بين التوحيد والصلاة والزكاة ؛ ليدل على أنهما مع عظمهما في الأعمال لا تُقبلان ولا تنفعان إلا بالتوحيد[٣]، والاستدلال هنا في سياق أركان الإسلام، ولا مدخل لتفسير التوحيد هاهنا ؛ فقول المصنف : (ودليل الصلاة، والزكاة، **وتفسير التوحيد**) : استطرادٌ منه ؛ اهتماماً بمقام

---

(١) ينظر : حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢١).

(٢) المصدر السابق (١٢١).

(٣) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٢/ ٦٤٨).

التوحيد[١]، وهذه الثلاثة المذكورة في كلام المصنف هي أعظم أركان الإسلام، وكثيراً ما يأتي في الكتاب والسنة الجمع بينهما في مواضع متعددة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[٢]، أي: تابوا من الشرك؛ فأعظم هذه الأصول: عبادة الله وحده لا شريك له؛ وبعد ذلك إقام الصلاة، فالصلوات الخمس هي عمود الإسلام، وهي أوجب الواجبات بعد التوحيد؛ والزكاة قرينتها في كتاب الله وسنة رسوله[٣].

* * * * *

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤١).

(٢) سورة التوبة، الآية [١١].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٢٨).

قال المصنف رحمه الله: (**ودَلِيلُ الصِّيَامِ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، ودَلِيلُ الْحَجِّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[2]).

الشرح الإجمالي

(**ودليل**) أن (**الصيام**) في شهر رمضان المبارك أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يستقيم الإسلام إلا بها: (**قوله تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾)، أي فُرض، وذلك في السنة الثانية من الهجرة؛ (﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾)، أي: كما فُرض على الأمم الذين سلفوا من قبلكم؛ (**ودليل**) أن (**الحج**) ركن من أركان الإسلام: (**قوله تعالى**: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾)، أي: يجب على الناس التعبد لله بـ(﴿حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾)، أي: قَصْدَ البيت الحرام في مكة على (﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾) من المكلفين مرة في العمر، (﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾) بل إنهم هم المحتاجون إليه[3].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف فيما سبق أدلة بعض أركان الإسلام، وهنا ذكر أدلة الركن الرابع والخامس من أركان الإسلام، وهما: الصيام والحج، والصيام هو:

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٨٣].

(٢) سورة آل عمران، الآية [٩٧].

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٥٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٣٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (٧١).

الإمساك عن المفطرات تعبداً لله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ؛ والحج هو : قصد مكة لأداء مناسك الحج في زمن مخصوص[١] ؛ وقد ذكر المصنف دليل وجوب الصيام ، وهو قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ؛ فهذه الجملة تُفيد أن الله فرض الصيام علينا كما فرضه على الذين من قبلنا ؛ ثم ذكر دليل وجوب الحج ، وهو مأخوذ من قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ ، فإن لفظة (على) تدل على الوجوب ، وهذه واضحة ظاهرة ، فلا إسلام بدون هذه الأركان ؛ وبهذا تتبين المرتبة الأولى من الأصل الثاني : (معرفة دين الإسلام بالأدلة) ؛ وهي مرتبة الإسلام ، وأركانه الخمسة ، وأدلة كل ركن[٢].

* * * * *

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢٣ ، ١٢٥).

(٢) ينظر : شرح ثلاثة الأصول ، د. محمد أمان الجامي (٧٩) ؛ وشرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٤٨).

قال المصنف رحمه الله: **(الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ، وَهُوَ: بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلاهَا قَوْلُ: لا إله إلا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإيمان)**.

الشرح الإجمالي

(المرتبة الثانية) من مراتب الدين هي مرتبة: **(الإيمان)**، وهي أعلى من المرتبة التي قبلها، وهي مرتبة الإسلام؛ لأنها تتعلق باعتقاد القلب، **(وهو)**، أي: الإيمان بمعناه العام: **(بضع وسبعون شعبة)**، أي: ما بين الثلاثة والسبعين إلى التسعة والسبعين خصلة وجزء، وهذه الشعب درجات: **(أعلاها)** وأجلها وأساسها **(قول: لا إله إلا الله)**، وهي كلمة التوحيد، **(وأدناها)**، أي: آخر وأقل شعب الإيمان: **(إماطة الأذى عن الطريق)** بإزالة ما يتأذى المارُّ به، **(والحياء شعبة من)** شعب **(الإيمان)**، أي: بعضٌ منه [1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف فيما سبق أن الأصل الثاني من ثلاثة الأصول هو: (معرفة دين الإسلام بالأدلة)، ثم ذكر أن دين الإسلام مبني على ثلاث مراتب: فالأولى: هي مرتبة الإسلام، وقد بيَّن ذلك فيما مضى، وفسَّره، وذكَرَ الأدلة على ذلك؛ ولما فرغ من بيان أركان الإسلام، وهو المرتبة الأولى من مراتب الدين ذكر هنا المرتبة الثانية من مراتب دين الإسلام، وهي: مرتبة الإيمان [2].

والإيمان في اللغة مشتق: من الأمن، فأصل لفظ الإيمان في اللغة: ما يجلب الأمن: من تصديق أو إقرار أو عمل؛ وبناء عليه اشتهر في كتب اللغة تعريف

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤١)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٢٩).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٠).

الإيمان: بالتصديق[١]؛ والتصديق لابد أن يكون معه عمل وإلا لم يعتبر تصديقاً، جاء في الصحاح: «الصِدّيق: مثال الفسيق: الدائم التصديق، ويكون الذي يُصدق قولَه بالعمل»[٢]؛ فالإيمان هو: التصديق الجازم الذي يكون معه عمل يأمن معه المؤمن، ومن ذلك قوله تعالى مخبراً عن قول أخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[٣]، أي: لست بمصدق لنا التصديق الجازم الذي يتبعه عمل أنك لا تؤاخذنا بما فعلنا[٤]، **قال ابن القيم** - رحمه الله تعالى -: «فإن الإيمان ليس مجرد التصديق كما تقدم بيانه؛ وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد؛ وهكذا الهُدَى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه، بل هو معرفته المستلزمة لاتباعه والعمل بموجبه؛ وإن سُمي الأول هدى، فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء؛ كما أن اعتقاد التصديق -وإن سُمي تصديقا-، فليس هو التصديق المستلزم للإيمان»[٥].

والإيمان في الشرع له معنيان:

أحدهما عام: وهو الذي يعم مراتب الدين الثلاثة: فيشمل الأعمال الظاهرة، والأعمال الباطنة، كما أنه يشمل مرتبة الإحسان؛ وحقيقته شرعاً: التصديق الجازم باطناً وظاهراً بالله تعبداً له بالشرع المنزَّل على محمد ﷺ على

---

(١) ينظر: كتاب العين، للخليل بن أحمد (٤٠)؛ ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٧١)؛ والصحاح، للجوهري (١٥٢٤/٢).

(٢) الصحاح، للجوهري (١١٤٤/٢).

(٣) سورة يوسف، الآية [١٧].

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٣٤/٢-٣٧).

(٥) الصلاة وأحكام تاركها (٥٦).

مقام المشاهدة أو المراقبة [١]؛ فإذا أُطلق لفظ الإيمان ولم يكن مقترنًا بالإسلام، فإنه يعم جميع مراتب الدين، فالإيمان بمعناه العام يجمع التصديق لجميع ما أمر الله سبحانه وتعالى به، إضافة إلى الأعمال التي هي أركان الإسلام، وهو: الدين الذي بُعث به النبي محمد ﷺ [٢].

والآخر خاص: وهو الاعتقادات الباطنة، فإنها تُسمى إيماناً، وهذا المعنى هو المقصود إذا قُرن الإيمان بالإسلام والإحسان، وهو الذي يناسب المرتبة الثانية من مراتب الدين؛ وهي ما يشمل العقائد الباطنة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر [٣].

إذاً الإيمان له معنيان: عام وخاص؛ والمعنى العام: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ والمعنى الخاص: هو الاعتقاد القلبي، والمراد به الأركان الستة الآتي ذكرها، فإذا أُطلق الإيمان في النصوص: دخَلَ فيه الإسلام، وإذا أُطلق الإسلام: لم يدخل فيه الإيمان، ومن أُثبت له الإيمان في النصوص، فإنه ثابتٌ له الإسلام، والمسلم لا بد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه، وإلا كان منافقاً، ولكن لا يستحق أن يمدح به ويثنى عليه، بل إيمانه ناقص؛ فمرتبة الإيمان أعم من مرتبة الإسلام من جهة نفسها وأخص من جهة

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٨).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (٦١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢٦).

(٣) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٨)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٣).

أصحابها[١]، والمقصود: أن تعريف الإيمان، وتعريف الإسلام، وتعريف الإحسان يختلف فيما إذا اقترن شيء منها بالآخر؛ وفيما إذا جاء كلٌّ منها على انفراد، فإذا **جاءت منفردةً**: كان الإسلام يشمل الإيمان والإحسان؛ وإذا جاء الإيمان منفرداً: كان الإيمان شاملاً للإحسان والإسلام؛ وكذلك الإحسان إذا جاء منفرداً: شمل الإسلام والإيمان؛ أما **إذا اجتمعت** كما هو الحال في حديث جبريل عليه السلام الآتي ذكره؛ فإن الإسلام يختص حينئذ بالأعمال الظاهرة قوليةً أو فعليةً، بينما يختص الإيمان بالأعمال الباطنة، وأما الإحسان فهو الكمال والغاية في هذين الأمرين، أعمال الظاهر، وأعمال الباطن[٢].

قال المصنف: (**وهو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**): والمصنف -رحمه الله تعالى- بيَّن الإيمان هنا بقول النبي ﷺ؛ فإنه أخبر في الحديث أن الإيمان: بضع وسبعون شعبة[٣]، وهذا يعني به اسم الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام، فالإيمان بهذا المعنى يشمل الإسلام وزيادة[٤]؛ وهذا تعريف للإيمان بنص نبوي، وفي هذا فائدة، وهي: أن الاصطلاحات الشرعية؛ كالإسلام

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٢).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥١).

(٣) جاء في صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٤).

والإيمان والإحسان، والبر والتقوى، والصلاة والزكاة، وغير ذلك من ألفاظ الشريعة إنما يُستقى معناها ومفهومها من الشريعة لا من لسان العرب، وهـذه الفائدة تُفيد في تعريف الإيمان[1].

وقوله: (**بضع وسبعون شعبة**): البِضْع: بكسر الباء اسم من أسماء العدد، يطلق على العدد من الثلاثة إلى التسعة؛ وشعب الإيمان: هي خصاله وأجزاؤه الجامعة له، فقوله: (شُعبة) تمثيل للإيمان بالشجرة التي لها شُعب وفروع، وقد مثَّل عليه الصلاة والسلام بأعلى الشعب، وبأدنى الشعب، ومثّل بشعبة من الشعب [2].

وقوله: (**أعلاها قولُ: لا إله إلا الله**): هذا قول باللسان، ولا شك أنه يتبعه اعتقاد بالجنان؛ وهذا يفيد أن الأقوال تدخل في مسمى الإيمان، فالقول من الإيمان، وهو يدل على أن الإسلام داخل في ذلك؛ لأن من أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: (**وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**): وإماطة الأذى من عمل الجوارح، وبه يُعرف أن من مسمى الإيمان عمل الجوارح، وأن من أخْرَج الأعمال عن مسمى الإيمان فقد خالف ما دلت عليه النصوص الشرعية.

وقوله: (**والحياء شعبة من الإيمان**): الحياء عمل قلبي أصله في القلب، وقد

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٢).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٤)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦١).

تظهر ثماره في الجوارح والسلوك، لكن أصله في قلب الإنسان، وبهذا نعرف أن جميع الأعمال القلبية تدخل في مسمى الإيمان.

فجمعت في الحديث أنواع شعب الإيمان: القولية والعملية والقلبية[١]؛ فدلَّ الحديث على أن الإيمان يكون في القلب، ويكون في اللّسان، ويكون في الجوارح[٢]، وتمثيله عليه الصلاة والسلام لذلك؛ لأجل أن يُستدل لكل شعبة من هذه الشعب الثلاث على نظائرها: فيُستدل بكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) على الشعب القولية؛ ويُستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية (عمل الجوارح)؛ ويُستدل بذكره الحياء على الشعب القلبية، وهذا من أبلغ ما يكون من التشبيه والتمثيل[٣].

فإن أردنا تعريف الإيمان تعريفاً عاماً دون اقترانٍ بذكر الإسلام فهو: ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى- أنه: بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلاّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان؛ فالإيمان الشرعي: قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، ويزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدخل فيه جميع المأمورات، من الواجبات والمستحبات، ودخل فيه ترك جميع المنهيات، سواء كان ذلك المنهي ينافي أصول الدين بالكلية أو لا، فإن تعريفه المذكور يشمل ذلك، فما من خصلة من خصال الطاعات إلا وهي من الإيمان، ولا ترك محرم من المحرمات

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٥).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٣).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٥).

إلا وهو من الإيمان [١].

فالإيمان يشمل أربعة أشياء:

الأول: التصديق بالقلب، وهذا الإقرار من الإيمان.

الثاني: الإقرار باللسان، وهو التلفظ به.

الثالث: أعمال القلوب، من الخشية والخوف والرغبة والرهبة والمحبة والرجاء.

الرابع: أعمال الجوارح، مثل الصلاة والزكاة والصيام والزكاة والحج [٢].

إذاً: الإيمان: قول وعمل: قول القلب وقول اللسان، وعمل القلب وعمل الجوارح، وعلى هذا تواطأت كلمات السلف، فمهما اختلف لفظها وتنوع تعبيرها فإنها ترجع إلى أن الإيمان قول وعمل [٣].

* * * * *

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٠).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٧٢).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٣).

قال المصنف رحمه الله: (وأركانه ستة: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله).

الشرح الإجمالي

(**وأركانه**)، أي: أصول الإيمان التي تركَّب منها، والتي يزول بزوالها (**ستة**) أركان، وما عداها من الشعب لا يزول الإيمان بزوالها، والركن الأول من أركان الإيمان: (**أن تؤمن بالله**)، ومعناه: الإيمان بوجود الله؛ وبأن الله واحد في ربوبيته، وأنه واحد في إلهيته لاستحقاقه العبادة، وأنه واحد في أسمائه وصفاته، فبيان قوله: (أن تؤمن بالله) هو شرح التوحيد كله، فالإيمان بالله أعظم أركان الإيمان وأساسه، وما بعده من الأركان مندرج في هذا الركن العظيم [١].

الشرح التفصيلي

بدأ المصنف -رحمه الله تعالى- فيما سبق ببيان هذه المرتبة بالبيان العام ؛ أي : بيان الإيمان بمعناه العام دون اقترانه بذكر الإسلام ، وهو الذي يشمل : القول والعمل والاعتقاد ؛ أما الإيمان الذي يُقْصَدُ ويراد عند اقترانه بذكر الإسلام فهو ما ذكره -رحمه الله تعالى- هنا في قوله : (**وأركانه ستة**) [٢]، فالمراد من الإيمان هنا : الاعتقاد ، فقول المصنف -رحمه الله تعالى- : (وأركانه ستة) ، هذا باعتبار ذكر الإيمان مع الإسلام ، ولا منافاة بين أركان الإيمان وشعب الإيمان ؛ لأن المقصود أن الإيمان إذا كان بمعنى الاعتقاد فهو الأركان الستة ؛ لأن كل الأركان الستة اعتقاد ؛ وأما إذا قلنا : إن الإيمان يشتمل على الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ، فحديث الأركان مراد به الأمور الاعتقادية ، وهي

---

(١) ينظر : حاشية ثلاثة الأصول ، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦١) ؛ وشرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٧) ؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول ، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٤).

(٢) شرح الأصول الثلاثة ، د. خالد المصلح (٥٣).

الأساسيات في الإيمان، وأما حديث: "الإيمان بضع وسبعون شعبة" فهذا مراد به: بيان خصال الخير التي هي الأعمال [(١)].

والأركان: جمع ركن، وهو الذي لا يقوم الشيء إلاّ به، ويفهم منه: أن اختلال وصفٍ من هذه الأوصاف المذكورة، تؤدي وتفضي بصاحبها إلى ارتفاع وصف الإيمان عنه، فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لكن لم يؤمن بالقدر؛ فإنه لا يكون مؤمناً، ولا يستحق وصف الإيمان، لأنه فقد ركناً من أركان الإيمان الذي لا يثْبُت ولا يقرُّ إلاّ به[(٢)]؛ ففي أركان الإسلام: يُكتفى بوجود الشهادتين والصلاة، وفي غيرهما خلاف؛ وأما أركان الإيمان فتخلف ركن منها ينتفي معه الإيمان؛ فيُمكن أن يُسمى مسلمًا ولو تخلف عنه بعض أركان الإسلام، ولا يصح أن يُسمى مؤمنًا إن تخلف عنه ركن من أركان الإيمان [(٣)].

والإيمان بأركان وأصول الإيمان الستة إجمالاً فرض عين على كل مكلف، وأما معرفتها والإيمان بها تفصيلاً فهو فرض كفاية؛ ولكن من علم شيئاً من ذلك التفصيل وجب عليه الإيمان به عيناً، فأركان الإيمان الستة فيها قدرٌ واجب لا يصحُّ إسلامٌ وإيمانٌ بدونه، ومن لم يأت به فليس بمؤمن؛ وهناك قدر زائد تابع للعلم وبلوغ الدليل، فمن بلغه العلم بما زاد مع دليله وجب عليه التصديق

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٢٩).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٣).

(٣) ينظر: شرح الأربعين النووية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٧).

والإيمان به، ومن لم يبلغه مع الإتيان بالقدر المجزئ فهو مؤمن مسلم [١].

وبدأ المصنف -رحمه الله تعالى- بذكر الركن الأول من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالله جل وعلا، فقال: **(أن تؤمن بالله)**: والإيمان بالله هو: الركن الأول من أركان الإيمان؛ وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إيمان بأنه جل وعلا واحد في ربوبيته: بأن يعتقد أنَّ الله جلَّ جلاله هو ربُّ هذا الوجود، فهو الخالق والمدبِّر له، والمتصرف فيه، لا شريك له في ملكه، ولا معقب لحكمه؛ فيؤمن أنه لا يحيي ولا يميت، ولا يخلق ولا يرزق سواه، وهذا هو توحيد الربوبية.

الثاني: إيمان بأنه جل وعلا واحد في ألوهيته واستحقاقه العبادة: بأن يعتقد أنه لا أحد غير الله جلَّ وعلا يستحقُّ العبادة أو شيئًا من أنواعها؛ بل الذي يستحق ذلك هو الله جل جلاله وحده؛ فلا يصرف العبد أي عبادة لغير الله جل وعلا، من الدعاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، ونؤمن بأن عبادة من سواه عبادة باطلة[٢].

الثالث: إيمان بأنه جل وعلا واحد في أسمائه وصفاته: بأن يعتقد أنَّ الله جلَّ وعلا له الأسماء الحسنى والصفات العُلى، فهو المستحق لجميع صفات الكمال، ونعوت الجلال، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، كما وصف

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٠).

(٢) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٤).

تعالى نفسه بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [(١)].

والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالله: هو الإيمان بربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته على سبيل الإجمال، ويشمل الإيمان بوجوده رباً، والإيمان به إلها مستحقاً للعبادة، والإيمان بأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى متنزهاً عن العيوب والنقائص [(٢)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الشورى، الآية [١١].

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٩)؛ والتنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، عبدالعزيز الناصر الرشيد (٢٠)، الناشر: دار الرشيد، ط. الثانية: ١٤١٦هـ؛ وتوضيح مقاصد العقيدة الواسطية، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٠)، إعداد: عبدالرحمن بن صالح السديس، الناشر: دار التدمرية، ط. الأولى: ١٤٢٧هـ.

قال المصنف رحمه الله: (وملائكته).

الشرح الإجمالي

(**و**) الركن الثاني من أركان الإيمان الستة: الإيمان بـ(**ملائكته**) الجنس المعروف من خلق الله بتعريف النصوص، وهم عبادٌ مكرمون، خلقهم الله من نور، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، فيؤمن المسلم بأن لله جل وعلا ملائكة، خلقاً من خلقه جل وعلا، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، جعلهم موكلين بتصريف هذا العالم، يأمرهم فينفذون؛ ويؤمن بما ذكره الله عنهم في كتابه، وما ذكره رسول الله ﷺ فيما صح من سنته، فيؤمن بجبرائيل وميكائيل وإسرافيل ومالك ورضوان وملك الموت، وغيرهم[1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا الركن الثاني من أركان الإيمان، وهو: الإيمان بالملائكة، فقال: (**وملائكته**)، والملائكة جمع مَلَك، وهو المرْسَلُ، وأصله مألك بتقديم الهمزة من الألوك، وهي: الرسالة، ثم قُلبت وقدمت اللام فقيل: ملأك، ثم سُهل وخُففت الهمزة؛ لكثرة الاستعمال، وقيل: ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا: ملائكة وملائك[2]؛ والملائكة: المرسلون الموكلون بما وكلهم الله جل وعلا به[3]، وهم: خلق من خلق الله في عالم الغيب، خلقهم الله لعبادته، ولتنفيذ أوامره سبحانه وتعالى في ملكه، وهم أصناف، كل صنف له عملٌ موكل به ويقوم به، لا يعصون الله ما أمرهم،

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٢)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٤).

(٢) ينظر: الصحاح، للجوهري (١٢١٥/٢).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٧).

ويفعلون ما يؤمرون، وعدد الملائكة كثير لا يحصيهم إلا الله، ولا يعلم عددهم إلا هو سبحانه وتعالى، ومما يدل على ذلك، ما ورد في حديث الإسراء أن رسول ﷺ قال: **(فرفع لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه)**(١).

والقدر المجزئ تحقيقه من الإيمان بالملائكة: أن يؤمن بأن لله -جل وعلا- خلق من خلقه اسمهم الملائكة، عباد يأتمرون بأمر الله -جل وعلا- مربوبون لا يُعْبَدون، وأن منهم من ينزل بالوحي على الأنبياء بأمر الله(٢)؛ فمن أيقن أن هذا الجنس من خلق الله موجود، وآمن بذلك، وأن منهم من ينزل بالوحي إلى الرسل، فيُبلِّغهم رسالات الله فقد حقق هذا الركن من أركان الإيمان؛ ثم بعد ذلك يكون الإيمان التفصيلي، وهذا يختلف فيه الناس بحسب العلم، فالإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أوصاف الملائكة ومن أحوالهم؛ وصفة خلقهم، ومقامهم عند ربهم، وأنواع أعمالهم وأعمال ما وكلوا به، كله من الإيمان التفصيلي، فمن علم شيئاً من النصوص في ذلك وجب عليه الإيمان به، لكن تحقيق الركن يكون بالمعنى الأول(٣).

والإيمان التفصيلي بالملائكة المتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله عن

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، برقم (٣٢٠٧)؛ وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم (٢٥٩).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٨)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٣).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٨).

الملائكة، يشمل أربعة أمور [(١)]:

الأول: الإيمان بوجودهم، وأنهم مخلوقون عابدون لله قائمون بما أُمروا به.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه، ومن لم يُعلم اسمه فالإيمان به إجمالاً، وقد عُلِمَ من النصوص في الكتاب والسنة أسماء بعض الملائكة: كجبريل، وميكائيل، وإسرافيل[(٢)]، والمنكر والنكير[(٣)]، ومالك[(٤)]، فهؤلاء الملائكة نعرف أسماءهم فنؤمن بهم، أما البقية الذين لا نعرف أسماءهم فهؤلاء نؤمن بهم إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم وهيئاتهم، كصفة جبريل عليه السلام، فقد أخبر النبي ﷺ: **(أنه رآه على صفته التي خُلق عليها وله ستمائة جناح)**[(٥)]، وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٩٠-٩٢).

(٢) عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **(اللهم رب جبريل وميكائيل ورب إسرافيل أعوذ بك من حر النار، وعذاب القبر)**. أخرجه النسائي، كتاب: الاستعاذة، برقم (٧٩٠٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٥٤٤).

(٣) جاء في الحديث: **(إذا قبر الميت** -أو قال: **أحدكم-أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير)**. أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في باب الجنائز، برقم (١٠٧١)، وقال: «حديث حسن غريب»؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه، ذكر الإخبار عن اسم الملكين اللذين يسألان الناس في قبورهم ثبتنا الله بتفضله لسؤالهما في ذلك الوقت، برقم (٣١١٧)؛ وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٩١).

(٤) قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]؛ وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(رأيت الليلة رجلين أتياني قالا الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل وهذا ميكائيل)**. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، برقم (٣٢٣٦).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين، برقم (٣٢٣٢)؛ وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: في ذكر سدرة المنتهى، برقم (٢٨٠).

لجبريل عليه السلام حين أرسله الله تعالى إلى مريم عليها السلام؛ فتمثل لها بشراً سوياً، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه؛ جاءه بصفة لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ، فانطلق، ثم قال النبي ﷺ: **(هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)** [١]؛ وجاء في الحديث وصف ملك من ملائكة الله من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام[٢].

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم ووظائفهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور، ثم هم بالنسبة لما وكَّلهم الله به على أقسام: فجبريل عليه السلام موكل بالوحي يرسله الله به إلى الأنبياء والرسل؛ وميكائيل موكل بالقطر، أي: بالمطر والنبات؛ وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق؛ وملك الموت موكل بقبض الأرواح عند الموت[٣]؛ ومالك خازن النار موكل بالنار؛ ومنهم خزنة

---

(١) سيأتي تخريجه ص(٣٨٥).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، برقم (٤٧٢٧)، وللحديث شاهد من حديث أنس، رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٥/٢)؛ وصححه الحافظ في الفتح (٦٦٥/٨).

(٣) قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

الجنة[(١)] ؛ ومنهم ملك الجبال الموكل بها[(٢)] ؛ ومنهم الملائكة الموكلون بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، حيث يبعث الله إليه ملكاً ويأمرهم بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد[(٣)] ؛ ومنهم الملائكة الموكلون بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال[(٤)] ؛ ومنهم الملائكة الموكلون بسؤال الميت إذا وضع في قبره؛ فيأتيه ملكان، ويسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه[(٥)] ؛ وهناك ملائكة موكلون بكتب أسماء الناس يوم الجمعة قبل دخول الخطيب[(٦)] ؛ ومنهم ملائكة

---

(١) قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

(٢) جاء في حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: **(لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا).** أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين، برقم (٣٢٣١)؛ وأخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، برقم (١٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، برقم (٣٢٠٨)؛ وأخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، برقم (٢٦٤٣).

(٤) قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠، ١١]؛ وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧، ١٨].

(٥) سبق تخريجه ص(٥٩، ١٦٧، ٤٠٠).

(٦) جاء في صحيح مسلم، كتاب: الجمعة، باب: فضل التهجير يوم الجمعة، أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا**

يطوفون في الطرق يلتمسون مجالس الذكر[١] ؛ ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وترحاله وفي نومه ويقظته، وهم المعقبات[٢] ؛ وغير ذلك مما ذكره الله جل وعلا، وذكره رسوله ﷺ، فيؤمن بهم حسبما ذُكر[٣].

* * * * *

كان يوم الجمعة، كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف، وجاءوا يستمعون الذكر).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عز وجل، برقم (٦٤٠٨) ؛ ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: فضل مجالس الذكر، برقم (٢٦٨٩).

(٢) قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

(٣) ينظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، للشيخ حافظ حكمي (٦٥٨/٢) ؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٢).

قال المصنف رحمه الله: (وكُتُبِهِ).

الشرح الإجمالي

(و) الركن الثالث من أركان الإيمان الستة: الإيمان بجميع (كتبه) المنزلة على الأنبياء من السماء، ويتضمن: الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب ما علمنا منها، وما لم نعلم، وقد علمنا أن من كتب الله المنزلة: التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والقرآن، وهو: أفضلها، والمُصَدِّقُ لها، والمُهَيمِّنُ عليها [(١)].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا الركن الثالث من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالكتب، فقال: **(وكتبه)**، أي: الإيمان بالكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام، وجعل فيها الهدى والنور والبينات، وما به يصلح العباد؛ هداية للبشرية ورحمة بهم ليصلوا إلى سعادة الدارين [(٢)].

والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالكتب: أن يعتقد الاعتقاد الجازم الذي لا شك فيه بأن الله -جل وعلا- أنزل على من شاء من رسله كتباً هي كلامه -جل وعلا-؛ وأن منها القرآن الذي هو كلامه -جل وعلا-، وهذه الكتب التي أُنزلت على الرسل كلها حق؛ لأنها من عند الله جل وعلا، وجميع

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٥)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣١).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٢).

تلك الكتب منسوخة بالقرآن [١]؛ فهذا هو الإيمان الإجمالي بالكتب، وما زاد عن ذلك فيجب مع العلم والدليل، فمن علِم شيئاً بدليله، وجب عليه أن يؤمن به، لكن أول ما يدخل في الدين يجب عليه أن يؤمن بهذا القدر المجزئ، وهو الذي يصح معه إيمان المسلم.

والإيمان التفصيلي بالكتب يتضمن أربعة أمور [٢]:

الأول: الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقًّا، فيؤمن بأن الجميع كلام الله، حتى التوراة هي من كلامه سبحانه وتعالى، مع أنه كتبها؛ لكنه كتبها وتكلم بها؛ لكن لا نؤمن بأن الكتب الموجودة الآن في أيدي هذه الأمم هي الكتب التي من عند الله؛ لأنها محرفة ومبدلة.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، والتوراة التي أنزلت على موسى عليه الصلاة والسلام، والإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، والزبور الذي أوتيه داود عليه الصلاة والسلام، والصحف التي أُنزلت على إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام؛ وأما ما لم نعلم اسمه فتؤمن به إجمالاً.

الثالث: الإيمان بما جاء فيها من أخبار تصديقا بها، كأخبار القرآن، وأخبار مالم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة، مثل الرجم فإنه من الأخبار التي لم تحرف فيما حُرِّف من التوراة.

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٩)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٩).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٩٤-٩٥)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٢-١٣٣)؛ وشرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين (٤٤)، الناشر: دار الثريا، الرياض، ط. الأولى: ١٤٢٤هـ.

الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا والتسليم به سواء فهمنا حكمته أم لم نفهمها، والعمل بما أُمر العبد فيها من مأمورات، والانتهاء عما نُهي العبد عنه فيها. والكتب السابقة كلها نسخت بالقرآن العظيم الذي تكفَّل الله بحفظه، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾(١)، أي: حاكماً عليه؛ وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح منها وأقره القرآن.

فالمقصود: أن يؤمن بالكتب السابقة إيماناً عاماً على ما أنزله الله جل وعلا على أنبيائه ورسله؛ ثم يؤمن إيماناً خاصاً بهذا القرآن: أنه كلام الله جل وعلا منه بدأ وإليه يعود، وأنه حجة الله على الناس إلى قيام الساعة، وأن ما فيه من الأخبار يجب تصديقها، وما فيه من الأحكام يجب امتثالها والانقياد لها، وأن من حكم بغيره فقد حكم بهواه، ولم يحكم بما أنزل الله، وأنه به نُسخت جميع الرسالات وجميع الكتب من قبل، فهذا الكتاب مهيمن على جميع الكتب، وما فيه مهيمن على جميع ما سبق؛ فهذا مما اختص به القرآن دون غيره من الكتب (٢).

* * * * *

(١) سورة المائدة، الآية [٤٨].

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٩).

قال المصنف رحمه الله: (وَرُسُلِهِ).

الشرح الإجمالي

(و) الركن الرابع من أركان الإيمان: الإيمان بـجميع (رسله)، فيؤمن المكلف بأن الله سبحانه وتعالى بعث رسلاً إلى عباده لا يحصيهم إلاَّ هو؛ ليأمرونهم بعبادته وحده لا شريك له، وينهونهم عن الشرك به، وهم بشرٌ مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ ويؤمن بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله جل وعلا؛ ويؤمن بمن سماه الله منهم؛ ويختص نبينا محمد ﷺ بالإيمان أنه خاتم الرسل والنبيين، وأنه لا نبي بعده، وأنه مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس، وأن من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، فلا كتاب بعد كتابه ولا نبي بعده ﷺ، ويضاف إلى هذا وجوب تصديق أخباره وقبول ما جاء به من الأحكام(١).

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا الركن الرابع من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل، فقال: **(ورسله)**، والرسل: جمع رسول، والرسول لغة: إما مأخوذ من الرِّسْل، وهو: الانبعاث على تؤدة، فالرسول هو المنبعث؛ وإما مأخوذ من الرَّسْل، وهو: التتابع؛ ولفظ الرسول في اصطلاح الشرع يدل على كلا الاشتقاقين، فالرسول مبعوث من قبل الله جل وعلا، وهو كذلك يُتابع أخبار الوحي المنزل إليه من الله تعالى(٢).

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٥).

(٢) ينظر: مفردات القرآن، للراغب الأصفهاني (٣٥٢)؛ وكتاب: "حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة"، تأليف: أ.د محمد خليفة التميمي (٦٧)، الناشر: دار التوحيد، الرياض، ط. الثانية: ١٤٣٥هـ.

والرسول في اصطلاح الشرع هو: من بعثه الله إلى قوم وأنزل عليه كتابًا، أو لم ينزل عليه كتابًا لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله؛ وأما النبي ﷺ فهو: من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينزل عليه كتابًا، أو يوحى إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ[١].

وهنا إشكال، ومحله: أن الإيمان ورد بالرسل، ولم يُقَل: الإيمان بالأنبياء، مع أن النبوة أعم من الرسالة، والجواب من وجهين:

الأول: أن اللفظ هنا: (الإيمان برسله) خرج مخرج الغالب، إذ المقصود الإيمان بكل مبتعث من عند الله جل وعلا نبياً كان أو رسولاً[٢]؛ والرسل لما كانوا أشرف من الأنبياء تم التنصيص عليهم[٣].

والثاني: أن الإيمان بالأنبياء يدخل في الإيمان بالكتب؛ لأن الكُتُب أقرَّت الأنبياء[٤].

والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان بالرسُل: هو الاعتقاد الجازم الذي لا ريب فيه، ولا تردد بأن الله -جل وعلا- أرسل لخلقه رسلاً منهم؛ ليأمروهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنَّ هؤلاء الرُسل مُوحَى إليهم من الله -جل وعلا-، وأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله، وأن خاتمهم محمد -عليه

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٣).

(٢) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٧٢).

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، المتن والشرح، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٤٧).

(٤) المصدر السابق (٤٧).

الصلاة والسلام-فيؤمن به -عليه الصلاة والسلام-ويتبعه[(١)]؛ وهذا هو القدر المجزئ من الإيمان بالرسل، وما بعد ذلك يكون واجبًا بقدر ما يصله من العلم، وفيه أشياء مُستحبَّة في تفاصيل، فالإيمان التفصيلي بالرسل يتبع العلم التفصيلي بأسمائهم وأحوالهم مع أقوامهم وما دعوا إليه ونحو ذلك [(٢)]؛ فإذا آمن المسلم بأن الله جل وعلا أرسل رسلاً، بعثهم بالتوحيد، يدعون أقوامهم إلى التوحيد، وأنهم بلَّغوا ما أُمروا به، وأيَّدهم الله بالمعجزات والبراهين والآيات الدالة على صدقهم، فإنه بهذا يكون آمن بالرسل جميعاً، ثم يؤمن إيماناً خاصاً بمحمد ﷺ بأنه خاتم الرسل، وأن الله جل وعلا بعثه بدين الإسلام الذي جعله خاتم الأديان وآخر الرسالات [(٣)].

والإيمان التفصيلي بالرسل يتضمن أربعة أمور[(٤)]:

الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من عند الله تعالى، وأنهم لا يأتون بشيء من عند أنفسهم، فمن كَفَر برسالة واحد منهم فقد كفر بهم جميعاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[(٥)]؛ فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل مع

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٢)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣١)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٣).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣١).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٥٩).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (٩٧-٩٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٤)؛ وبلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٧٤).

(٥) سورة الشعراء، الآية [١٠٥].

أنه لم يكن رسول غيره حين كذبوه ؛ وعلى هذا فالنصارى الذين كذبوا نبينا محمداً ﷺ ، ولم يتبعوه هم مكذبون لنبي الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام ، غير متبعين له أيضاً ، لا سيما وأنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ، ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسولٌ إليهم ينقذهم الله به من الضلالة ، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

الثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم معيناً باسمه وقومه الذين بُعث فيهم ، فنؤمن بمن جاء تفصيلهم في الكتاب والسنة على التعيين ، وممن يؤمن بهم تفصيلاً : أولوا العزم من الرسل ، وهم : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم ، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن : في سورة الأحزاب في قوله : ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ**﴾[1] ، وفي سورة الشورى في قوله : ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ**﴾[2] ؛ ونؤمن بغيرهم ممن سمَّى الله في كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ ، والرسل الذين ذُكروا في القرآن خمسة وعشرون رسولاً ، ويجب الإيمان بأعيانهم ، لأنهم ذُكروا بأسمائهم ، وأولهم آدم عليه السلام ؛ وأما الذين لم يُذكروا بأسمائهم في النصوص فهؤلاء نؤمن بهم في الجملة ، قال الله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ**

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية [٧].

(٢) سورة الشورى ، الآية [١٣].

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[(١)]، ولا نفرق بين أحد منهم في الإيمان؛ كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[(٢)(٣)].

الثالث: اعتقاد صدقهم وتصديقهم، وتصديق ما صح عنهم من أخبارهم، وأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به إلى أممهم على الوجه الذي أمرهم الله به، وأنهم بينوه بياناً واضحاً لا يسع أحد ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل تركه ولا مخالفته، وأن الله تعالى أيدهم بالآيات البينات والمعجزات الواضحات الدالة على صدقهم حتى قامت بهم الحجة على الأمم.

الرابع: العمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[(٤)].

* * * * *

(١) سورة غافر، الآية [٧٨].

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٨٥].

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٥).

(٤) سورة النساء، الآية [٦٥].

قال المصنف رحمه الله: (وَالْيَوْمِ الآخر).

الشرح الإجمالي

(و) الركن الخامس من أركان الإيمان: الإيمان بكل ما أخبر الله به عن (اليوم الآخر) مما يكون بعد الموت في البرزخ من عذاب القبر ونعيمه، وسؤال الملكين في القبر، والإيمان بالبعث والنشور، والمحشر، والحساب، والميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات، والصراط، والجنة، والنار، وأكبر ذلك وأعظمه: الإيمان ببعث الأجساد، وإعادتها كما كانت أجسادا بعظامها وأعصابها [١].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل، فقال: **(واليوم الآخر)**، والمراد باليوم الآخر: يوم القيامة، وسُمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار[٢]، واليوم الآخر يبتدئ بالموت، قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾[٣]، بالحق، أي: بما أخبرت به الرسل مما يكون بعد الموت من الثواب والعقاب؛ فالإيمان باليوم الآخر هو: الإيمان بتفاصيل ما يحصل بعد الموت إلى أن يستقر أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار [٤].

والقدر الواجب اللازم المجزئ من الإيمان باليوم الآخر: أن يؤمن العبد بأنَّ الله -جلَّ وعلا-جعل يومًا يحاسب فيه الناس، فيعودون إليه، ويبعثهم من

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٢).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٠٠)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٤).

(٣) سورة ق، الآية [١٩].

(٤) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٥٦)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٢/٧٧٠).

قبورهم، ويلقون ربَّهم، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فيؤمن بالبعث في يوم عظيم هو يوم القيامة لمجازاة الخلق، وأن من أحسن فله الحسنى، وهي الجنة؛ ومن أساء فله ما عمل وجزاؤه النار عياذاً بالله؛ فإذا آمن بهذا القدر، وأن هناك يوماً سيكون، وأنه سيُبعث من جديد، فإنه قد حقق هذا الركن (١)؛ فالإيمان باليوم الآخر لا يتم إلا بثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث.

والثاني: الإيمان بالحساب والجزاء.

والثالث: الإيمان بالجنة والنار (٢).

ثم بعد ذلك يكون **الإيمان التفصيلي باليوم الآخر**، وهذا يتبع العلم بما جاء في الكتاب والسنة من أحوال القبور، ومن أحوال ما يكون يوم القيامة، من الإيمان بالحوض، والميزان، والصحف، والصراط، والإيمان بأحوال الناس في العرصات، وأحوالهم على الصراط، وما يكون للمؤمنين بعد أن يجوزوا الصراط، ومن يدخل الجنة أولاً، وأحوال الناس في النار ونحو ذلك، وأحوال الظُّلمة، والجسر، فهذه كلها أمور تفصيلية لا يجب الإيمان بها على كل أحد، إلا من سمعها في النصوص؛ فإنه يجب عليه الإيمان بكل ما صحَّ من هذا، ولا يشك في شيء منه (٣).

* * * * *

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٠)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٩).

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٠٠)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٤).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٠).

قال المصنف رحمه الله: (والقدر خَيْرِهِ وَشَرِّهِ).

الشرح الإجمالي

(و) الركن السادس من أركان الإيمان: أن تؤمن بـ**(القدر)**، أي: بما قدَّره الله من **(خيره)**، أي: بما فيه من الخير، **(وشره)**، أي: بما فيه من الشر[1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- هنا الركن السادس من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر، فقال: **(والقدر خيره وشره)**، والقَدَر يُطلق ويُراد به: التقدير السابق لما في علم الله، أي: تقدير الله تعالى للأشياء، حسبما سبَقَ به علمه، واقتضته حكمته[2]؛ ويطلق ويراد منه: القضاء والمقدور الذي قضاه الله جل وعلا وقدَّره على النحو الذي علمه، وهو المراد في قول المصنف هنا: (والقدر خيره وشره)؛ يعني: تؤمن بالمقدور خيره وشره؛ أما القدر الذي هو تقدير الله عز وجل فكله خير[3]، فالمكلف قد يكون عليه قدرٌ هو بالإضافة إليه خير أو شر؛ وأما بالنسبة لفعل الله جل وعلا فهو خير، فالله جل وعلا ليس في فعله شر، كما قال النبي ﷺ في ثنائه على ربه: **(والشر ليس إليك)**[4]، فالشر لا يضاف إلى الله عز وجل ولا ينسب إليه، وإنما يُضاف الشر إلى مفعولات الله جل وعلا ومخلوقاته؛ أما تقديره جل وعلا، وفعله، وخلقه فلا شر فيه، فالشر

---

(١) تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٤٧).

(٢) ينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٥٨)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٥).

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح العثيمين (٤٤٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل، برقم (٧٧١).

في المقضي لا في القضاء، والمقضي أيضاً لا يكون شراً محضاً، بل هو شر من وجه وخيرٌ من وجه؛ أو هو شر في محل وخيرٌ في محل آخر [١]، فالمقصود: أن يؤمن العبد بأن كل ما وقع في السموات أو في الأرض من خير وشر، فإنه بتقدير الله عز وجل [٢].

والقَدْرُ المجزئ من الإيمان بالقَدَر: أن يؤمن العبد بأن الله جل وعلا قدَّر أزلاً كل شيء من خير وشر، ولا يكون شيءٌ إلا بمشيئة الله وخلقه واختياره[٣]؛ فتحقيق هذا الركن: أن يعلم ويعتقد ويؤمن بأن كل شيء يحدث في هذا الملكوت فهو بخلق الله جل وعلا، وقد سَبَقَ به قدر؛ فالإيمان بالقدر يشمل أمرين: إيمانٌ بالقدَر السابق؛ وإيمان بمشيئة الله وقدرته وخلقه، لإنفاذ القدَر السابق، والإيمان بالقدر السابق: يشمل الإيمان بالعلم، والكتابة[٤]، فالقَدْر المجزئ: أن يؤمن بأن الله سبحانه وتعالى علِمَ بالأشياء قبل وقوعها، وأنه سبحانه وتعالى كتبها في اللوح المحفوظ، وأن ما علمه وكتبه فقد طابق مشيئته وخلقه؛ فما من شيء يكون إلاَّ وقد قدّره الله جل وعلا؛ بمعنى: أنه -جلَّ وعلا- عَلِم هذا الشيء قبل وقوعه، وعِلْمُه بذلك أوَّل، وأنه -سبحانه وتعالى-كتب ذلك عنده؛ وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وخلقه واختياره، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (٢/٤١٤-٤١٦)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٥٢٢).

(٢) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح العثيمين (٤٤٩).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦١).

والإيمان التفصيلي بالقدر يكون على مرتبتين [١]:

المرتبة الأولى: الإيمان بالقدر السابق لوقوع المقدر: وهذا يشمل درجتين:

الدرجة الأولى: الإيمان بعلم الله السابق لكل شيء، فالله جل وعلا يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون كيف يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وعِلْمُ الله السابق بالأشياء قبل حدوثها هذا هو العلم الأول، وهذا العلم السابقُ بكل شيء يشمل: العلم بالكليات والجزئيات، والعلم بجلائل الأمور وتفصيلاتها، وهذا العلم لم يزل الله جل وعلا عالماً به بجميع تفاصيله، وعِلْمُه به أَوَّل، يعني: ليس له بداية، كما قال جل وعلا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[٣]، فبيَّن الله جل وعلا أنَّ علمه بالأشياء سابق، وأنه يعلم كل شيء؛ فالله جل جلاله بكل شيء عليم بعلمه الأزلي والأبدي، فلا يتجدد له علمٌ بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم جل وعلا؛ أما علم من سوى الله تعالى فليس أزلياً ولا أبدياً؛ لأنه يسبقه جهل ويلحقه نسيان[٤].

الدرجة الثانية: الإيمان بأن الله جل وعلا كتَبَ في اللوح المحفوظ ما علم أنه كائن إلى يوم القيامة، فكتَبَ في اللوح المحفوظ عنده مقادير كل شيء قبل أن

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٢).

(٢) سورة الحج، الآية [٧٠].

(٣) سورة الأنعام، الآية [٥٩].

(٤) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح العثيمين (٤٥٢).

يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]، فبيّن جل وعلا أن كل شيء إنما هو في كتاب، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾[2]، أي: قد سُطِّر وكُتِب في اللوح المحفوظ، وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **(كتبَ الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء)**[3]؛ وليس كل معلوم لله سبحانه وتعالى مكتوباً؛ لأن الذي كُتب ما هو كائن إلى يوم القيامة؛ ولكن هناك أشياء بعد يوم القيامة أكثر مما في الدنيا هي معلومة عند الله عز وجل؛ ولكنه لم يرد في الكتاب والسنة أنها مكتوبة[4].

فالمرتبة الأولى: الإيمان بأن الله سبحانه عَلِمَ كل شيء، وكتَبَ القَلَمُ ما عَلِم، وأحصى بأمـر الله المقادير التي صدرت عن علمه جل وعلا وحكمته[5].

المرتبة الثانية: وهي تواكب أو تقارن وقوع المقدَّر، وتحوي درجتين أيضاً:

الدرجة الأولى: الإيمان بعموم مشيئة الله جل وعلا، وأن مشيئته جل وعلا نافذة، فيؤمن بأن كل شيء يحصل في ملكوت الله إنما هو بإذنه ومشيئته وإرادته الكونية الدائرة بين الرحمة والحكمة؛ فلا يخرج شيء عن مشيئته، ولا يحصل في هذا الكون إلا ما شاء الله تعالى، فما شاء الله كان وما لم يشأ لا يكون.

---

(١) سورة الحج، الآية [٧٠].

(٢) سورة القمر، الآية [٥٣].

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين (٢/٤١٣).

(٥) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٨٤).

الدرجة الثانية: أن يؤمن بأن الله جل وعلا خالق كل شيء: أعمال العباد، وأحوال العباد، السماوات، والأرض، مَنْ في السماوات، ومَنْ في الأرض، ما في السماوات، وما في الأرض، فكل شيء مخلوق، والله جل وعلا خالقه، فما من شيءٍ إلا والله جلَّ وعلا هو الذي يخلقه، كما قال جل وعلا: ﴿**ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ**﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا**﴾[2].

فالمرتبة الثانية: أن يؤمن الله جل وعلا خلق الخلق وأعمالهم وأفعالهم، وأن ما في الكون هو بتقدير الله وإيجاده [3].

ويتبين مما سبق أن المراتب أربع: مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة، ومرتبة المشيئة، ومرتبة الخلق والإيجاد، وهذه المراتب بعضها متراخٍ عن بعض، فَعِلْمُ الله ﷻ سابق لمرتبة الكتابة، فالله عالم بمقادير الخلق قبل أن تُكتب، ومرتبة الكتابة سابقة لمرتبة الخلق والإيجاد؛ وإذا آمن بهذه المراتب حصل بهذا الإيمان التفصيلي الواجب في القدر.

الخلاصة: بين المصنف –رحمه الله تعالى– أركان الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وسبق ذكر عمود الأقدار الواجبة المجزئة من الإيمان بكل ركن من أركان الإيمان ابتداء، فمتى وجد العلم بها واعتقادها كان كافياً في صحة إيمان العبد، وما زاد

---

(١) سورة الزمر، الآية [٦٢].

(٢) سورة الفرقان، الآية [٢].

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٥)

عنها من تفاصيل، هذا بحسب ما يصل إليه من العلم فمنه واجب، ومنه مستحب ؛ فإما أن يكون واجباً باعتبار بلوغ الدليل إلى العبد ووصوله إليه ؛ أو يكون مستحباً غير واجب، ورأس ما ينبغي تعلمه فيما يتعلق بأركان الإيمان الستة، هو: معرفة القدر الواجب المجزئ من الإيمان بكل ركن منها، مما هو واجب على العبد ابتداء ولا يسعه الجهل به، فهما نوعان:

الأول: الواجب ابتداء مما لا يصح دين العبد إلا به.

والثاني: الواجب تبعاً بالنظر إلى علم العبد بالدليل، ووصوله إليه، وما زاد عنه فهو من نفل العلم [1].

* * * * *

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٣٨، ٣٩).

قال المصنف رحمه الله: (**وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَّةِ؛ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾**[1]، **ودليل القدر؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾**[2]).

الشرح الإجمالي

(**والدليل على**) أن (**هذه الأركان الستة**) أركانٌ للإيمان، لا يستقيم إيمان العبد إلا بها جميعها، وأنه متى انتفى واحد منها لم يكن المرء مؤمناً: (**قوله تعالى:** (﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾)، و(أنْ) وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسمها مؤخر، والتقدير: ليس البرَّ توليةُ وجوهِكم جهة المشرق أو المغرب، (﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾) الذي يُمدح أصحابُه: (﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾)، و(الكتاب): اسم جنس يعني: جنس الكتب، أي: كل الكتب، و(النبيين) يعني: الرسل، وهنا ذكر الخمسة هذه: آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، فهذه الآية دليل على خمسة من أركان الإيمان؛ (**ودليل**) أن (**القدر**) ركن من أركان الإيمان لا يستقيم إيمان عبد إلا به: (**قوله تعالى:** ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾)، أي: أن كل شيء خلقه الله فإنه مُقدَّرٌ في علمه، ومكتوب في اللوح المحفوظ، وسابق في مشيئة الله وإرادته سبحانه

---

(١) سورة البقرة، الآية [١٧٧].

(٢) سورة القمر، الآية [٤٩].

وتعالى [(١)].

—

الشرح التفصيلي

لما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- فيما سبق أركان الإيمان الستة؛ ذكَرَ هنا دليلها من القرآن أولاً، ثم سيذكر الدليل من السنة، فقال: (**والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾**)، و(البرَّ): اسم جامع لكل عمل من أعمال الخير من العقائد والأعمال[(٢)]؛ فالبر: جماع الخير؛ وهذه المذكورات هي جماع الخير، فالشاهد من الآية جعله المذكورات جماع الخير[(٣)]؛ فهذه الآية دليل على خمسة من أركان الإيمان، وكثيراً ما تأتي هذه الخمسة مقترنة كقوله جل وعلا في آخر سورة البقرة: **﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾**[(٤)]، فذكر الأربعة؛ وكقوله: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾**[(٥)]، ونحو ذلك من الآيات، وقد جاءت أيضاً في حديث جبريل المشهور

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان (٢٢١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٦)؛ والمحصول شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الغنيمان (١٥٨).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٣٦).

(٣) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٨٨).

(٤) سورة البقرة، الآية [٢٨٥].

(٥) سورة النساء، الآية [١٣٦].

كما سيأتي ؛ أما القدر فأدلته في القرآن أدلة عامة، وأدلة مفصلة لكل مرتبة من مراتب القدر، فمن الأدلة العامة ما ذكره المصنف -رحمه الله تعالى-، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ؛ ووجه الاستدلال: قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: ليس ثم مخلوق من مخلوقات الله إلا وقد خُلِقَ بقدرٍ سابق من الله جل وعلا، لا يخرج شيء عن هذه الكلية؛ لأن ﴿كُلَّ﴾ من ألفاظ الظهور في العموم ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[١]، وكلُ دليل فيه ذكر مرتبة من مراتب القدر يصلح دليلاً على القدر؛ لأنه دليل لبعضه[٢]، فالآيتان المذكورتان في كلام المصنف دالتان بمجموعهما على أركان الإيمان الستة.

* * * * *

(١) سورة الفرقان، الآية [٢].

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٦-١٦٧).

قال المصنف رحمه الله: (المرتبة الثالثة: الإحسان، ركن واحد؛ وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ).

الشرح الإجمالي

(**المرتبة الثالثة**) من مراتب الدين: مرتبة (**الإحسان**)، والإحسان (**ركن واحد**)، أي: شيء واحد، ليس فيه تعدد، (**وهو**)، أي: الإحسان، له: درجتان، إحداهما أكمل من الأخرى، الأولى: درجة المشاهدة، وهي: (**أن تعبد الله كأنك تراه**)، والمعنى: أن تُقبل على عبادة الله جل وعلا؛ وحالك حال الذي يعبد الله جل وعلا، وهو يشاهد الله جل جلاله، وينظر إليه، وهذا هو المقام الأول؛ (**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، والمعنى: فإن لم تعبد الله جل وعلا كأنك تشاهده، فاعبده مستحضراً أنه يراك في كل أعمالك، وأنه بصير عليم بجميع ما تفعله، وهذا هو المقام الثاني، وهو منزلة دون المنزلة الأولى، وهو استحضار العبد مراقبة الله عز وجل له واطلاعه عليه، وهذه درجة المراقبة[1].

الشرح التفصيلي

لما فرغ المصنف –رحمه الله تعالى– من بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين، وهي مرتبة الإيمان، بدأ هنا بذكر المرتبة الثالثة من مراتب الدين، وهي مرتبة الإحسان، فقال: (**المرتبة الثالثة: الإحسان**)، والمصنف قدَّم مرتبتي الإسلام والإيمان، وأخَّر مرتبة الإحسان؛ لأنها أضيق المراتب الثلاث، وأصحابها هم الخلص من عباد الله الصالحين، فالإحسان: أعلى المراتب وأعمها من جهة نفسها، وأخصها من جهة أصحابها؛ كما أن الإيمان: أعم من جهة نفسه،

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٦).

وأخص من جهة أصحابه، ولهذا يقال: كل محسن مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمناً محسناً، وإذا أطلق الإحسان فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام، فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر، أوسعها دائرة الإسلام، ثم يليها دائرة الإيمان، ثم أضيقها دائرة الإحسان [١]؛ فالإسلام يتعلق بالأعمال الظاهرة، والإيمان يتعلق بالأعمال الباطنة، والإحسان يتعلق بطريقة فعل الأعمال الظاهرة والباطنة [٢].

والإحسان في اللغة له معنيان:

الأول: إيصال النفع للغير.

والثاني: الإتقان وإجادة الشيء[٣].

والإحسان الذي أَمر الله به عباده في كتابه نوعان:

أولهما: الإحسان إلى الخلق بأنواع الإحسان، قال تعالى: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٤].

والثاني: الإحسان مع الخالق، بإيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن؛ بحيث يكون قائماً به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه، **وحقيقته شرعاً**: إتقان الاعتقادات الباطنة، والأعمال الظاهرة على مقام المشاهدة أو

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٥).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٨٨).

(٣) ينظر: الصحاح، للجوهري (١٥٤٣/٢)؛ ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب (٢٣٦)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤١).

(٤) سورة النساء، الآية [٣٦].

المراقبة. وهذا هو المعنى المقصود إذا قُرن الإحسان بالإسلام والإيمان، وهو المراد في كلام المصنف هنا [١].

ويتلخص مما سبق ذكره من مراتب الدين الثلاث: أن كل واحد منها إذا أُطلق دلَّ على الآخرين؛ وإذا اجتمعا استقل كل لفظ بمعناه، فمع الافتراق يكون كل واحد منهما دال على الدين كله، ومع الاقتران يكون الإيمان للاعتقادات الباطنة، والإسلام للأعمال الظاهرة، والإحسان لإتقانهما [٢].

قال المصنف: (**الإحسان ركن واحد**)، ولم يذكر له أركاناً كما ذكر للإسلام والإيمان، وقوله: (الإحسان ركن واحد)، يقصد به: أن الإحسان شيء واحد، حقيقته مفردة غير مركبة [٣]؛ كما نص عليه ابن قاسم في حاشيته [٤]، وهذا التفسير هو المتعين لتوجيه كلام المصنف؛ لأن حقيقة الركنية لا تصدق عليه؛ فإن الركن يتعدد ولا يكون منفرداً، والمنفرد هو الشيء نفسه[٥]، فالركن لا يكون إلا متعدداً اثنان فأكثر، أما إذا كان واحداً فهو الشيء نفسه، فإذا ذُكر الركن شيء واحد فيكون المراد إثبات حقيقته [٦].

وأركان الإحسان اثنان:

الأول: أن تعبد الله.

---

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٩١).

(٤) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٦).

(٥) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤١).

(٦) التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (٢٦).

والثاني: أن يكون إيقاع تلك العبادة على مقام المشاهدة أو المراقبة [١].

فالإحسان الذي هو مرتبة من المراتب، هو: أن تعبد الله، ويكون إيقاع تلك العبادة على مقام المشاهدة أو المراقبة، وهذا المقام، أي: مقام المراقبة ركن واحد، يعني: شيء واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فمرتبة الإحسان تعظم بعظم مراقبة الله جل وعلا، وتضعف بضعف مراقبته [٢].

قال المصنف: (**وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، والمصنف فسَّر الإحسان بما فسره به النبي ﷺ في حديث جبريل؛ لما سأله جبريل بحضرة الصحابة، فأجابه عليه الصلاة والسلام بقوله: (**الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، وهو الإحسان بين العبد وربه، ومعنى قوله: (**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**)، أي: أن تكون عابدا لله على النحو الذي أمر اللهُ جل وعلا به، وأمر به رسولُه ﷺ، وحالتك أثناء تلك العبادة التي تكون فيها مخلصاً موافقاً للسنة، أن تكون وكأنك ترى الله جل وعلا؛ فإن لم تكن تراه، فلتعلم أن الله جل وعلا مطلع عليك، عالم بحالك، يرى ويبصر ما تعمل، يعلم ظاهر عملك وخفيه، يعلم خلجات صدرك، ويعلم تحركات أركانك وجوارحك [٣].

---

(١) الشرح الصوتي: (تعليقات على ثلاثة الأصول)، صالح بن عبدالله العصيمي، برنامج مهمات العلم السابع بالمسجد النبوي ١٤٣٧هـ.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٨).

(٣) المصدر السابق.

فالإحسان على مرتبتين، واحدة أعلى من الأخرى:

الأولى: مرتبة المشاهدة أو المعاينة: **(أن تعبد الله كأنَّك تراه)**؛ بأن يبلغ يقين العبد وإيمانه بالله؛ كأنه يُشاهد الله جل جلاله عياناً؛ لكمال اليقين وكمال الإخلاص، فيعبد ربه عبادة المشاهد للمشهود، بحيث لو كُشفت الحجب لم يزدد عما هو عليه [1]؛ ومن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه، والله جل وعلا لا يُرى في الدنيا، وإنما يُرى في الآخرة، ولكن يراه بقلبه؛ حتى كأنه يراه بعينيه؛ ولذا يُجازى أهل الإحسان بالآخرة بأن يروه سبحانه وتعالى، فلَّما عبدوه وكأنهم يرونه في الدنيا، جازاهم بأن يروه بأبصارهم في دار النعيم، قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[2]، والزيادة هي: النظر لوجه الله جل وعلا، فلما أحسنوا في الدنيا أعطاهم الله الحسنى، وهي الجنة، وزادهم رؤية الله عز وجل.

الثانية: مرتبة المراقبة: (فإنْ لم تكن تراه، فإنه يراك)، يعني: إذا لم يتحقق شهوده بقلبه، فليعبده عبادة من يعلم أنه مطلع عليه؛ فالعبد لا يرى ربه، ولكن الله يراه، فينبغي للعبد استحضار مراقبة الله جل وعلا له واطلاعه عليه[3]، فيعبد الله جل وعلا على مقام الإحساس بمراقبة الله للعبد؛ بأن يعلم أن الله يراه، ويعلم حاله، وما تخفيه نفسه، واطلاع الله جل وعلا ورؤيته وعلمه لا يقتصر على حال الإنسان الظاهرة، بل يشمل الظاهر والباطن، فلا يليق بالعبد

---

(١) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٩٣).

(٢) سورة يونس، الآية [٢٦].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٣).

أن يعصيه، وأن يخالف أمره، وهو يراه ويطلع عليه، وهذا إحسان في العمل على سبيل المراقبة والخوف والرجاء [١]؛ ولهذا فإن العبد حينما يقترف بعضَ المعاصي، فإنه يبعد عن مرتبة الإحسان، وبعض العلماء يُسمي هذه المرتبة بمقام الإخلاص؛ لأن العبد إذا استحضر في عمله مشاهدة الله إياه، واطلاعه عليه، فإن ذلك يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل[٢]، فيعبد الله لا يبتغي إلا هو سبحانه وتعالى [٣].

ومقام المراقبة أقل من مقام المشاهدة، ومقام المشاهدة أعظم المراتب التي يصير إليها العبد المؤمن، وهو أن تكون الأشياء عنده حق اليقين، فإنه إذ انكشفت الحقيقة للقلب، وبلغ العبد في مقام المعرفة إلى حد كأنه يطالع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ونعوت الجلال، وأحست الروح بالقرب الخاص، الذي ليس كقرب المحسوس من المحسوس، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه، وبين ربه؛ أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبده كأنه يراه [٤]، وهذه المشاهدة المقصود بها مشاهدة الصفات لا مشاهدة الذات؛ لأن من الضُّلال من جعل ذلك مدخلاً لمشاهدة الذات كما يزعمون، وهذا من أعظم الباطل والبهتان، وإنما يمكن مشاهدة الصفات، ويُعْنَى بها: مشاهدة آثار صفات الله -جل وعلا- في خلقه [٥].

---

(١) بلوغ المأمول بشرح الثلاثة الأصول، عصام بن أحمد مامي (٢٩٣).

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (١/١٢٩)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: دار الرسالة، ط. الثالثة: ١٤١٢هـ.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٨٨).

(٤) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٦٦).

(٥) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨٠).

وكلما عظم مقام المشاهدة أو المراقبة زاد إحسان العمل ؛ لأنه إذا راقب ربه ، بأن عَلِمَ أن الله جل وعلا مطلعٌ عليه ؛ كأنه يرى الله جل وعلا ، فإن هذا يدعوه إلى إحسان العمل ، وأن يجعل عمله أحسن ما يكون ، وأن يجعل حاله في إقبال قلبه ، وإنابته ، وخضوعه ، وخشوعه ، ومراقبته لأحوال قلبه ، وتصرفات نفسه ، يجعل ذلك أكمل ما يكون لحسنه وبهائه ؛ لأنه يعلم أن الله جل وعلا مطلع عليه ؛ فيبعث هذا على أمرين :

الأول: الإخلاص لله عز وجل بعبادته ، فلا يعبده رياء ولا سمعة ولا مدحا ، وهو يعتقد أن الله يراه.

والثاني: أن يتقن العبادة ويحسن أداءها ، فيصلي صلاة من يشاهده ربه ، وهو يرى ربه [١].

وإحسان العمل يتفاوت فيه الناس ، ومنه قدر مجزئ يصح معه أن يكون العمل حسنًا ، وأن يكون فاعله محسنًا ، فكل مسلم عنده قدر من الإحسان لا يصح عمله بدونه ، ثم هناك القدر المستحب الآخر الذي يتفاوت الناس فيه بحسب الحال الذي يتحقق به هذه المرتبة.

والقدر المجزئ: أن يكون العمل حسنًا ، بمعنى : أن يكون خالصاً صواباً.

وأما القدر المستحب ، فهو : أن يكون قائماً في عمله على مقام المراقبة ، أو مقام المشاهدة [٢].

* * * * *

---

(١) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٨).

(٢) المصدر السابق (١٧٩).

قال المصنف رحمه الله: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾**[(١)]، **وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾**[(٢)]، **وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾**[(٣)]) .

الشرح الإجمالي

(**والدليل**) على مرتبة الإحسان من القرآن: (**قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾) ؛ فأثبت الإحسان في قوله: (﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾)، وهذا يشمل مرتبة الإحسان، ومقامي الإحسان، فالمقام الأول: أن تعبد الله كأنك تراه، والمقام الثاني: فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ (و) الدليل على المقام الثاني، وهو استحضار رؤية الله عز وجل للعبد: (**قوله:** ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾)، والمعنى: اعتمد بقلبك وفوض جميع أمورك إلى من يراك وأنت قائم في صلاتك وعبادته، (و) الذي يرى (﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾)، أي: تقلبك مع المصلين، والمراد بالتقلب: الركوع والسجود والقيام، فهو معك يسمع ويرى تغير أحوالك في العبادة من قيام وركوع وسجود؛ فإن توكلت عليه فإنه كافيك، وهذا فيه إثبات رؤية الله عز وجل لعباده؛ (و) دليل آخر على المقام الثاني، وهو: (**قوله**) تعالى مخاطباً النبي ﷺ: (﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ﴾)، يعني: ما تكون في حالٍ من

---

(١) سورة النحل، الآية [١٢٨].

(٢) سورة الشعراء، الآيات [٢١٧-٢٢٠].

(٣) سورة يونس، الآية [٦١].

الأحوال، (﴿وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ﴾)، أي: وما تتلو من أنواع تلاوتك للقرآن، وأحوال ذلك في الصلاة، وخارج الصلاة، وأنت على جنبك، وأنت قائم، أحوال ذلك، (﴿وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ﴾)، أنت وأمتك، ويشمل عمل القلب وعمل الجوارح وعمل الأقوال، (﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا﴾)، أي: مشاهدين لكم مراقبين لأعمالكم سامعين لأقوالكم، وهذا هو الشاهد من الآية، وهو إثبات شهود الله عز وجل على أحوال العبد، وأنه يراه، وأنه مطلع عليه سبحانه وتعالى، لا تخفى عليه من شؤون العبد خافية، قال: (﴿إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾)، يعني: إذ تدخلون وتشرعون فيه من الأعمال، وهذا فيه تمام شمول علم الله عز وجل واطلاعه على حال العبد، وهو دليل على المقام الثاني من مقامات الإحسان: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (**والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾**)، فذكر الله جل وعلا هنا معيته للذين اتقوا، ولمن هم محسنون، وهذه المعية تقتضي في هذا الموضع شيئين:

الأول: أنه جل وعلا مطلع عليهم، عالم بهم، محيط بأحوالهم؛ وهذه المعية العامة لكل المخلوقين.

والثاني: أنه جل وعلا معهم بتأييده، ونصره، وتوفيقه.

وهذه المعية هي المعية الخاصة بالمتقين والمحسنين، وهذا وجه الاستدلال من الآية؛ حيث دلت الآية على أن الله مع المحسنين معية خاصة، وهي معية النصرة

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٩)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٤٢).

والتأييد والتوفيق، وهذا يدل على فضل المحسنين الذين اتقوا الله جل وعلا [(١)].

ثم ذكر: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾)، وفي هذه الآية: ذكر رؤية الله جل وعلا لنبيه حال عبادته، وأنه يراه في جميع أحواله: حين يقوم، وتقلُّبَه في الساجدين، وهذا دليل المقام الثاني من ركن الإحسان، وهو قوله: (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [(٢)]، ووجه الدلالة فيها على المقصود: من حيث المعنى الذي حوته؛ حيث إنها حوت معنى الإحسان الذي أخبر عنه النبي ﷺ.

وقال أيضاً: (**وقوله تعالى ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾**)، ووجه الاستدلال هنا: قوله تعالى: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾؛ وشهود الله جل وعلا بما يعمله العباد من معانيه: رؤيته جل وعلا لهم، فالله جل وعلا شهيد عليهم، يرى أحوالهم على تفصيلاتها، فيرى أعمالهم، ويسمع كلامهم، ويبصر أعمالهم جل وعلا، وهذا الاستدلال ظاهر؛ لأن الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تراه فإنه يراك[(٣)]، فالأدلة على مرتبة الإحسان التي أوردها المصنف، منها: **التصريح بمدح المتصف به** في الآيتين الأوليين في قوله: (وهو محسن)، وقوله: ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾؛ ومنها: **التصريح بمقام المراقبة** في الآيتين

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٦٩)؛ وشرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان (٢٢٥)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٤١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٧٠).

(٣) المصدر السابق.

الأخيرتين في قوله: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، وقوله: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾، أي: إذ شرعتم تعملون فيه ودخلتم به؛ وفي بعض نسخ رسالة "ثلاثة الأصول" زيادة: **(وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥ﴾)**، ووجه الدلالة من هذه الآية على مرتبة الإحسان هو ذكر التوكل المشتمل على تفويض الأمر إلى الله، وإنما يفوض الأمر إلى الله من عبَدَه مشاهداً أو مراقباً، فإنه إن لم يكن عابداً لله على مقام المشاهدة أو المراقبة لم يكن مفوضاً أمره إليه عز وجل، وهذه هي حقيقة الإحسان، فبان وجه دلالة الآيات على هذه المرتبة [1]، وكل هذه الآيات تدل على مقام الإحسان، وأن الله سبحانه وتعالى يرى عبده في جميع أموره، وفي جميع أحواله، فهو حاضر يسمع كلام العبد ويرى مكانه، ويعلم سره وعلانيته، فإذا استحضر العبد ذلك كان من أسباب إقباله على ربه، وصدقه في عبادته، وتكميله للعبادة، والمؤمن يؤمن بأن الله جل وعلا يراه ويشاهده، ولكن فرق بين الإيمان بهذا الأمر، وبين الشعور به واستحضاره [2].

* * * * *

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٢).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٤).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: (بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حتى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ؟ فَقَالَ: الإسلام: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إله إلا الله وَأَنَّ محمدا رَسُولُ الله، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتُؤْمِنَ بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. قَالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فأخبرني عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ. قَالَ: ثم انطلق فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، ثم قَالَ لي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلِ؟ قُلْت: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُم)** [(١)]).

الشرح الإجمالي

(والدليل) على مراتب الدين الثلاث: الإسلام، والإيمان، والإحسان **(من السنة)** النبوية الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **(حديث جبريل المشهور)**، وقد أخرج هذا الحديث العظيم الإمام مسلم في صحيحه **(عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه**)** ثاني الخلفاء الراشدين، وهذا الحديث فيه ذكر مراتب الدين: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وفيه أن هذه الثلاثة هي الدين؛ لأنه في آخرها قال: **(أتاكم يعلمكم أمر دينكم)**،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، برقم (١).

ففي هذا الحديث دليل هذه المراتب الثلاث، وأن أركانها هي ما عدها المصنف - رحمه الله تعالى-، وختم المصنف بهذا الحديث لاشتماله جميع المسائل المتقدمة المتعلقة بمعرفة الأصل الثاني، وهو معرفة الدين[1].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف أن الأصل الثاني: **معرفة دين الإسلام بالأدلة**، وعرَّف الإسلام، ثم ذكر أركانه، وذكر معنى الشهادتين، فبيَّن معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وفسَّر التوحيد، وأدلة ذلك، وبيَّن معنى الشهادة بأن محمدا رسول الله؛ ثم بين أدلة أركان الإسلام الباقية؛ ثم ذكر المرتبة الثانية، وهي: الإيمان، ثم ذكر المرتبة الثالثة، وهي: الإحسان، وذكر دلائل ذلك، كله على نسق ووضوح يسهل معه الفهم ويسهل معه الإفهام[2]، ثم ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- أدلة كل مرتبة من القرآن، وبعد أن فرغ من ذكر هذه المراتب وأدلتها من الكتاب: انتقل إلى بيان الدليل من السنة على هذه المراتب جميعاً، فذكر حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، وأنه أتى النبي ﷺ وهو مع أصحابه، وأتاهم في صورة رجل، وجلس إلى النبي ﷺ، وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، ثم سأله عن الساعة، وسأله عن أماراتها[3].

وهذا الحديث ورد من طرق عن النبي ﷺ، وإنما ذكر المصنف -رحمه الله تعالى- ما أخرجه مسلم من حديث عمر رضي الله عنه، لما فيه من زوائد الفوائد، وأصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة، ولأحمد وغيره نحوه من

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٥٦).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨٢).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، صالح بن فوزان الفوزان (٢٣٠).

حديث ابن عباس وغيره، وهو حديث جليل عظيم الشأن، يشتمل على بيان الدين كله (١)، واشتمل هذا الحديث على أصول الدين التي يجب اعتقادها، والتي يسميها العلماء الإيمان المجمل؛ والشاهد منه قوله عليه الصلاة والسلام في آخره -بعد أن شرح درجة الإسلام، ودرجة الإسلام، ودرجة الإحسان-: **(فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)**؛ فجعل ذلك كله ديناً، ففيه أن الدين تدخل فيه المراتب الثلاث؛ وهذه المراتب من مراتب الدين قد دلَّ عليها كتاب الله عز وجل، في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ وهذه مرتبة الإسلام، وهي: الإتيان بالعمل الظاهر، ودلَّ على مرتبة الإيمان قوله: ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾، وفي قوله: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٢) دليل على مرتبة الإحسان التي هي أعلى المراتب، وقد ذكر الله هذه المراتب في غير هذا الموضع، كما في سورة الواقعة، وبالتأمل يجدها الإنسان في كتاب الله عز وجل (٣).

* * * * *

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٦٨).

(٢) سورة فاطر، الآية [٣٢].

(٣) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٦٣)؛ وشرح الأصول الثلاثة، حمد بن عبدالله الحمد (٢١).

الأَصْلُ الثَّالِثُ
مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ.

وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ: ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً، نبئ بـ (اقرأ)، وأرسل بـ (المدثر)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهاجر إلى المدينة.

بَعَثَهُ الله بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

وَمَعْنَى: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾**: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إلى التوحيد.**

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ **أي: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.**

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾**: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عن الشِّرْكِ**(١).

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾**الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا**(٢).

أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثلاث سنين، وبعدها: أُمر بالهجرة إلى الْمَدِينَةِ.

وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ، وَالْهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى

---

(١) في (خ): (من الشرك).

(٢) في (خ) و (ص): زيادة: (وعداوتها وأهلها وفراقها وأهلها).

هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ: بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ؛ وَالدَّلِيلُ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[النساء: ٩٧-٩٩]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قال البغوي رحمه الله: «سبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة، لم يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ الله بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: (لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها).

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ: أُمِرَ[١] بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ؛ مِثْل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ.

وَبعدها تُوُفِّيَ صلاة[٢] الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ[٣]، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ[٤] عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ

---

(١) في (ص): زيادة: (فيها).

(٢) في (خ، ص، م)، وحاشية ابن قاسم (٨٧): (صلوات).

(٣) في (خ) و (ص): (عنه).

(٤) في (خ): (دلها).

مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ[١]: الشِّرْكُ[٢]، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ الله وَيَأْبَاهُ.

بَعَثَهُ الله إلى[٣] النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ[٤] طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، **وَأَكْمَلَ الله بِهِ[٥] الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠ - ٣١].

* * * * *

---

(١) في (د): (حذر عنه). وفي (ص): (حذرها عنه).

(٢) في (د): زيادة: (بالله).

(٣) في (خ): (في).

(٤) في (خ، د، م)، وحاشية ابن قاسم (٨٩): زيادة لفظ: (الله).

(٥) في (خ، ص): (له).

قال المصنف رحمه الله: (الأَصْلُ الثَّالِثُ: مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ).

الشرح الإجمالي

(الأصل الثالث) من أصول الدين الثلاثة التي يجب على العبد معرفتها: (معرفة نبيكم محمد ﷺ)؛ فإنه عليه الصلاة والسلام هو الواسطة بيننا وبين الله تعالى، فلا يمكن معرفة الأصل الأول الذي هو معرفة الرب جل جلاله، ولا الأصل الثاني الذي هو معرفة دين الإسلام، إلا بالواسطة بيننا وبين الله، وهو الرسول ﷺ؛ فتحتمت معرفته ﷺ وصارت أصلا ثالثاً.

الشرح التفصيلي

تقدم ذكر المرسِل: وهو الله جل وعلا، وذكر الرسالة: وهي دين الإسلام، وهنا يتحدث المصنف عن المُرْسَل أو الرسول، وهو محمد ﷺ، فمعرفته واجبة[1]؛ فالأصل الأول: معرفة العبد ربه، يعني: معبوده؛ والأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة؛ وذكر هنا الأصل الثالث: معرفة النبي محمد ﷺ، والمراد بالمعرفة هنا: العلم به على ما سبق في الكلام على الأصل الأول، فقوله: (**معرفة نبيكم محمد** ﷺ) معناه: العلم به وبحاله؛ أي: العلم بنسبه، وأنه نبئ وأُرسل وقام داعياً يدعو إلى التوحيد، ويُنْذر عن الشرك، وما يتصل بذلك من المباحث مما سيذكره المصنف، فحقيقة هذا الأصل العلم ببعض سيرة النبي ﷺ، وهذا العلم متعين لتكون الشهادة بأن محمداً رسول الله على علم ومعرفة [2].

* * * * *

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٧).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨٣).

قال المصنف رحمه الله: **(وَهُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ).**

الشرح الإجمالي

(و) نبينا ﷺ له عدة أسماء أشهرها: **(هو: محمد)**، ومعناه: الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره، ولقبه أبو القاسم، ووالده: **(عبد الله)**، وهو الذبيح الثاني المفدى بمائة من الإبل، وجده: **(عبد المطلب)**، واسمه شيبة، ويقال له: شيبة الحمد؛ لجوده، وجماع أمر قريش إليه، وإنما سمي بعبد المطلب؛ لأن عمه المطلب قدم به مكة وهو رديفه، وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبداً له، فقالوا: هذا عبدُ المطلب، أي: عبدٌ للمطلب، فعلق به الاسم، ووالد عبد المطلب هو: **(هاشم)**، واسمه عمرو؛ وإنما سمي هاشماً لهشمه الثريد مع اللحم لقومه في سني الجوع، **(وهاشم من)** قبيلة **(قريش)**، وهي أشهر وأشرف قبائل العرب، **(وقريش)** أصلها **(من العرب)**، فهي قبيلة عربية، **(والعرب من ذرية)**، أي: من سلالة **(إسماعيل بن إبراهيم الخليل)** أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء **(عليه وعلى نبينا)** محمد **(أفضل الصلاة والسلام)**، فإبراهيم عليه السلام بعد كبر سنه وهَبَه الله بولدٍ سماه إسماعيل، وإسماعيل عليه السلام خرج من نسله نبينا محمد ﷺ، الذي جاء مجدداً لدعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وباعثاً لرسالته، فهو موصول به نسباً ودعوةً، فنسبه ينتهي إلى إبراهيم الخليل، ودعوته موافقة لما جاء به إبراهيم عليه الصلاة والسلام[1].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٧٦)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٦٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٦٦).

الشرح التفصيلي

قال المصنف -رحمه الله تعالى- في بيان معرفة هذا الأصل: **(وهو: محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم)**، وهذا فيه بيان نسب النبي ﷺ، ونسبُهُ ﷺ في الذروة من قومه، وقومه في الذروة من العرب، فهو أشرف العرب نسباً ﷺ؛ وهو خير أهل الأرض نسباً على الإطلاق، فلنسبه من الشرف أعلى ذروة، وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك، ولهذا شهد له به عدوه إذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم، فأشرف القوم قومه، وأشرف القبائل قبيلته، وأشرف الأفخاذ فخذه، فهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وإلى هاهنا معلوم الصحة متفق عليه بين النسابين، ولا خلاف فيه البتة، ولا خلاف بينهم أيضاً أن (عدنان) من ولد إسماعيل، وما فوق (عدنان) مختلف فيه، والنسَّابون يصلون بالنسب تارات بأنساب القبائل إلى إسماعيل، ولكن المعروف عند العرب في عهد النبي ﷺ وقبله، أنهم يمكنهم وصل أنسابهم إلى عدنان، وأما بعد ذلك إلى إسماعيل فإنه لا يثبت ولا يمكن التصديق به [(١)].

والنبي ﷺ له عدة أسماء، وقد ورد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا**

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٧١)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨٧).

الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب)[١]، وهو نبي التوبة، ونبي الرحمة، ونبي الملحمة، فهذه كلها أسماؤه عليه الصلاة والسلام، لكن أشهرها وأفضلها وأعظمها محمد الذي سماه به أهله، وجاء في القرآن.

وتسميته عليه الصلاة والسلام بمحمد: قال طائفة من أهل العلم: إنه لم يُسمَّ قبله عليه الصلاة والسلام في العرب أحدٌ بهذا الاسم، وإنما كانت العرب تُسمي أحمد، وتسمي حمد، وكل ذلك مشتق من الحمد رغبة في أن يكون هذا الولد من ذوي الحمد، وممن يحمده الناس على خصاله؛ وقال آخرون: بل العرب تَسَمَّت بمحمد، لكنه قليل، إمّا اثنان أو ثلاثة، وهذا الثاني صحيح، إن صح النقل عن أهل التاريخ بتسمية أولئك النفر بمحمد، ممن هم في عصره عليه الصلاة والسلام، أو قبل ذلك بقليل[٢].

قال المصنف: **(وهاشم من قريش، وقريش من العرب)**: أنهى المصنف جر نسبه عليه الصلاة والسلام في سرد أجداده إلى هاشم؛ لأنه كان من أشهرهم، ولهذا يُقال له عليه الصلاة والسلام هو وقبيلته: بنو هاشم؛ ثم ذكر المصنف أن هاشماً من القبيلة المعروفة من قبائل العرب، وهي قريش؛ ثم بين أن قريشاً من العرب[٣]؛ وسُمي العرب عرباً لإعرابهم الكلام ولفصاحتهم وبلاغتهم، فهو عليه الصلاة والسلام هاشمي قرشي عربي.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، برقم (٣٥٣٢)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: في أسمائه ﷺ، برقم (٢٣٥٤)، وزاد فيه: **(والعاقب الذي ليس بعده نبي)**.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٨٤).

(٣) ينظر: التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (٢٩).

قال: (**والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام**)، يعني: أن قبائل العرب المعروفة قريش، وهذيل، وبنو تميم، وبنو دوس إلى آخره، هؤلاء جميعاً من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، قال ﷺ: **(إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)**[(١)]؛ فإذاً النبي عليه الصلاة والسلام ابنٌ لعبد الله، وهو والده الأدنى، وابن لإسماعيل بن إبراهيم، وهو والده الأعلى، وقول المصنف: (والعرب من ذرية إسماعيل): يقتضي أن العرب جميعاً كُلُّها من ذرية إسماعيل، فيدخل في ذلك القبائل العدنانية والقبائل القحطانية، وهذا أصح القولين عند علماء النسب، وهو اختيار جماعة منهم محمد بن إسحاق، والزبير بن بكار، وقد بوَّب البخاري: "باب نسبة أهل اليمن إلى إسماعيل"، فالعرب قاطبة كلهم أبوهم إسماعيل[(٢)].

* * * * *

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: في فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة، برقم (٢٢٧٦).

(٢) التعليقات على القول السديد فيما يجب لله تعالى على العبيد، للشيخ صالح بن عبدالله العصيمي (٣٠).

قال المصنف رحمه الله: **(وَلَهُ مِنَ العُمُرِ: ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وعشرون نبياً رسولاً، نُبِئَ بـ (اقرأ)، وأُرسل بـ (المدثر)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ، وهاجر إلى المدينة).**

الشرح الإجمالي

(**وله من العمر**)، يعني: من مبدأ ميلاده إلى وفاته عليه الصلاة والسلام: (**ثلاث وستون سنة**) هي مجموع عمره؛ (**منها**)، أي: من هذه السنين (**أربعون**) سنة (**قبل النبوة**)، فلم يوح إليه إلا وعمره أربعون عاماً، وهذا سن اكتمال الأشد، (**و**) زمن نبوة نبينا محمد ﷺ ورسالته (**ثلاث وعشرون**) سنة مكث منها في مكة ثلاثة عشر عاماً، وفي المدينة النبوية عشرة أعوام؛ وكان ﷺ بعد الأربعين إلى وفاته (**نبياً رسولاً**)، وأول الأمر كان نبياً فقط، ثم أُرسل بعد ذلك؛ كما سيبين ذلك المصنف، وكان عمره مباركاً أظهر الله به الدين، وتمت به الشريعة، ودخل الناس في الدين أفواجاً، (**نبيء بـ إقرأ**)، أي: خُبِّر؛ وصار نبياً بإنزال فواتح سورة العلق عليه، فإنها لما أُنزلت عليه عُلم أنه مبعوث من ربه، (**وأرسِل بـ (المدثر)**)؛ أي: صار رسولاً بنزول أول سورة المدثر عليه؛ لأن فيها التنصيص على الأمر بالنذارة، بالدعوة إلى التوحيد، والنهي عن الشرك، فارتقى من رتبة النبوة إلى رتبة الرسالة، (**وبلده**) التي ولد فيها ونشأ وعاش غالب حياته حتى بلغ من العمر ثلاثاً وخمسين (**مكة**) البلد الحرام، وأفضل بلاد الله، فالله جل وعلا اصطفاه من أفضل البلاد، وأفضل الشعوب، وأشرف القبائل، (**وهاجر إلى المدينة**)، والهجرة يأتي الكلام عليها، والمدينة اسم غالبٌ لمدينة الرسول ﷺ دون غيرها من المدن[1].

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٧٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٦٨)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٣٨)؛ وتنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٩٠٨/٢).

الشرح التفصيلي

ولد نبينا محمد ﷺ بجوف مكة، وكان مولده عام الفيل، واختلف في وفاة أبيه عبد الله، هل توفي ورسول الله ﷺ حمل، أو توفي بعد ولادته؟ على قولين: أصحهما: أنه توفي ورسول الله ﷺ حمل؛ والثاني: أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر، ولا خلاف أن أمه ماتت بين مكة والمدينة "بالأبواء" منصرفها من المدينة من زيارة أخواله، ولم يستكمل إذ ذاك سبع سنين، وكفله جده عبد المطلب، وتوفي ولرسول الله ﷺ نحو ثماني سنين، وقيل: عشر، ثم كفله عمه أبو طالب، واستمرت كفالته له، فلما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه إلى الشام، وقيل: كانت سنه تسع سنين، وفي هذه الخرجة رآه بحيرى الراهب، وأمر عمه ألا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود، فبعثه عمه مع بعض غلمانه إلى مكة، فلما بلغ خمساً وعشرين سنة خرج إلى الشام في تجارة، فوصل إلى "بصرى"، ثم رجع، فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد، وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة، وقيل إحدى وعشرون، وسنها أربعون، وهي أول امرأة تزوجها، وأول امرأة ماتت من نسائه، ولم ينكح عليها غيرها، وأَمَرَه جبريل أن يقرأ عليها السلام من ربها، ثم حَبَّبَ الله إليه الخلوة والتعبد لربه، وكان يخلو بـ "غار حراء" يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، وبغضت إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه من ذلك؛ فلما كمل له أربعون، أشرق عليه نور النبوة، وأكرمه الله تعالى برسالته، وبعثه إلى خلقه واختصه بكرامته، وجعله أمينه بينه وبين عباده [١].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٦-٧٧).

وقد بيَّن المصنف فيما سبق اسم النبي ﷺ، ونسبه الشريف، وهنا تكلم عن معرفة: عمره، ومدة نبوته ورسالته؛ فقال: (**ولـه من العمر ثلاث وستون سنة منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيًّا رسولاً**): أي: من مبدأ ميلاده عليه الصلاة والسلام إلى وفاته كان عمره ثلاث وستون سنة، ثم بعد مضي أربعين سنة نُبىء، وبعدها أرسل، فمضى عليه أربعون سنة وهو لا يعلم شيئاً مما جاءه، وثلاث وعشرون سنة كان نبياً رسولاً؛ وهذا ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (توفي النبي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين)[1]، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين)[2]؛ وإذا كان الرسول ﷺ مات وعمره ثلاث وستون سنة، وثبت أنه بُعث على رأس الأربعين، فهذا يدل على أن مدة النبوة والرسالة كانت ثلاثًا وعشرين سنة.

ثم ذكر المصنف مانبىء به عليه الصلاة والسلام، وما أرسل به من القرآن، وذكر بلده وهجرته، فقال: (**نبئ بـــ إقرأ، وأرسل بالمدثر، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة**): قال: (نبئ بـــ إقرأ)، أي: حصلت له النبوة بسورة اقرأ، وذلك أنه ﷺ حبب إليه الاختلاء، فكان يختلي بغار حراء، فجاءه جبريل

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٥٣٦)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: كم سن النبي صلى الله عليه وسلم يوم قبض، برقم (٢٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، برقم (٣٩٠٢)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: كم أقام انبي صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة، برقم (٢٣٥١).

عليه السلام، وهو في غار حراء، وقال له: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، يعني: لستُ من أهل القراءة؛ لأنه لا يقرأ ولا يكتب عليه الصلاة والسلام، فقال له جبريل عليه السلام: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[(١)].

قال: (وأُرسل بالمدثر)، و (المدثر): السورة التي نزلت، وسميت بهذا الاسم؛ لأن الله عز وجل ناداه بهذا الوصف، وذلك أنه ﷺ لما رأى جبريل بين السماء والأرض على الهيئة التي خلقه الله عليها، وله ستمائة جناح عظم الأمر عليه، وذهب ترجف بوادره ﷺ، يقول لأهله: دثروني دثروني من شدة ما وجد من الفزع، فأتاه الخطاب في هذه السورة التي ذكر المصنف -رحمه الله تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾[(٢)]، وفيها أُمر ﷺ بالرسالة والنذارة؛ أما سورة (اقرأ) فلم يأمره الله جل وعلا فيها بالتبليغ ولا أرسله، إنما أمره بالقراءة لنفسه [(٣)].

وقوله: (نبيٌّ بـــ اقرأ وأُرسل بالمدثر): هذه معرفة واجبة، وقوله (وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة) هذا من المستحبِّ معرفته؛ ومعرفة النبي ﷺ منها قدر متعين على كل أحد لا يصح دينه إلا به، ومنها قدر مستحب، والواجب في معرفة الرسول على الأعيان يرجع إلى أربعة أمور [(٤)]:

---

(١) سورة العلق، الآيات [١-٥].

(٢) سورة المدثر، الآيتان [١-٢].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٦٦).

(٤) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٥).

الأول: معرفة اسمه الأول (محمد) دون جر بقية نسبه؛ لأن جهله باسمه مؤذن بجهله بشخصه وبحقيقة بعثته، لأن الأسماء جُعلت للأعلام للدلالة عليها، ومن لم يعرف اسم الرسول لم يعرف كونه رسولاً، فلو لم يعرف الإنسان أن أباه عبد الله، وأن جده عبد المطلب، وصدَّق به وآمن به لم يضره ذلك، لكن من تمام المعرفة به ﷺ المعرفة بنسبه، وقد جاء في الحديث: أنَّ الملكين يسألان العبد: **(ما هذا الرجل الذي كان فيكم، فيقول: محمد رسول الله)**[1].

والثاني: معرفة أنه عبدٌ لله، ورسولٌ من عند الله، اختاره الله وفضله بالرسالة، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **(إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً)**[2].

والثالث: معرفة أنه جاءنا بالبينات والهدى ودين الحق، ومعرفة ما بُعث به هو أعظمها وأعلاها، روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: **(أمَّا فتنة الدجال: فإنه لم يكن نبي إلا قد حذَّر أمته، وسأحذركموه تحذيراً لم**

---

(١) رواه أحمد في مسند الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنها، برقم (٢٥٠٨٩)، قال المنذري: (١٩٥/٤): "إسناد صحيح"؛ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٩٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، برقم (١٣٧٤)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، برقم (٢٨٧٠).

يحذره نبي أمته، إنه أعور، والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن؛ فأما فتنة القبر: فبي تفتنون، وعني تسألون، فإذا كان الرجل الصالح، أُجلس في قبره غير فزع، ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنت؟ فيقول: في الإسلام؟ فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل، فصدقناه، فيفرج له فرجة قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا، فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها، ويقال: على اليقين كنت، وعليه مت، وعليه تبعث إن شاء الله) [(١)].

والرابع: معرفة أن الذي دل على صدقه وثبتت به رسالته هو القرآن كلام الله عز وجل، ويدلُّ على ذلك حديث البراء بن عازب، قال: **(فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به وصدقت، فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة)**[(٢)].

* * * * *

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (بَعَثَهُ الله بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، ويدعو إِلَى التَّوْحِيدِ،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٣/٤٢)، برقم (٢٥٠٨٩)، ط. الرسالة.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٥٠١/٣٠)، برقم (١٨٥٣٤)، ط. الرسالة.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ [1]، **وَمَعْنَى:**

﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: **يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إلى التوحيد.**

﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: **أي: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ.**

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: **أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عن الشِّرْكِ.**

﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: **الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا).**

الشرح الإجمالي

ومما يعرف به النبي ﷺ: معرفة ما بُعث به، فالنبي ﷺ: (**بعثه الله بالنذارة عن الشرك**) بجميع أنواعه، والتحذير من أسبابه المفضية والموصلة إليه، (**و**) بعثه الله تعالى: (**يدعو إلى التوحيد**)؛ بإفراد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، (**والدليل**) على أن الله تعالى بعث نبيه محمداً ﷺ؛ ليُنْذِر ويُحذِّر من الشرك، ويدعو إلى التوحيد: (**قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾).

الشرح التفصيلي

أورد المصنف -رحمه الله تعالى- جملة مما يُعرف به النبي ﷺ، وأعظمها وأعلاها: معرفة ما بُعث به ﷺ؛ وأنه بعث بالنذارة عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد، وهو المقصود من بعثة النبي ﷺ، وقدَّم المصنف النذارة عن الشرك قبل الدعوة إلى التوحيد؛ لأن هذا مدلول كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)؛ ولأن الآيات الآتية تضمنت التقديم في قوله تعالى: (قم فأنذر)؛ فهذا

---

(١) سورة المدثر، الآيات [١ – ٧].

أمرٌ بالنذارة من كل ما يُحْذَر، وأعظم ما يُحذر هو الشرك؛ وفي قوله تعالى: (وربك فكبر) أمرٌ بتكبير الله وتعظيمه، وأعظم ما يُكبَّر الله به هو التوحيد، فبدأ بجانب الشرك؛ لكون العبادة لا تصح مع وجود المنافي، فلو وجدت، والمنافي لها موجود لم تصح، ثم ثَنَّى بالتوحيد؛ لأنه أوجب الواجبات، ولا يُرْفَع عملٌ إلا به [1].

قال المصنف: (**وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾)، وهذا استدلال من المصنف على أنه ﷺ بُعث بالإنذار عن الشرك، والدعوة إلى توحيد الله جل وعلا، والمدثر هو: الملتحف بأغطيته وملابسه؛ لأنه جاءه الملك وهو على هذه الحال، وقد بين المصنف -رحمه الله تعالى- معنى الآيات محل الاستدلال، وتوقف عن بيان بقية الآيات؛ لأن المقصود قد حصل فيما يستدل له ببيان الآيات الأربع؛ فقال: (**ومعنى:** ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾: **ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد**): وهذه أول آية أرسل بها عليه الصلاة والسلام، فصار الواجب عليه هنا الإنذار؛ ثم قال: (﴿**وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**﴾، **أي: عظمه بالتوحيد**): وأصل الكلام: (كبِّر ربك)، فقدَّم المفعول على العامل فيه وهو الفعل، فدل على الاختصاص، أي: خُصَّ ربك بالتكبير بتعظيمه بالتوحيد وإخلاص الدين له

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٧٩)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٨).

[1]، فهو جل وعلا أكبر من أن يكون له شريك [2]، فالله سبحانه أكبر من كل شيء ذاتاً وقدراً ومعنى وعزة وجلالة؛ فهو أكبر من كل شيء في ذاته وصفاته وأفعاله؛ كما هو فوق كل شيء وعال على كل شيء، وأعظمُ من كل شيء، وأجلُّ من كل شيء في ذاته وصفاته [3].

والتكبير جاء في القرآن على خمسة موارد:

الأول: تكبير الله جل وعلا في ربوبيته، أي: اعتقاد أنه جل وعلا أكبر من كل شيء يُرى أو يُتوهم أو يُتصور أنه موجود، فهو أكبر من كل شيء في ربوبيته، وفي ملكه، وفي تصريفه لأمره في خلقه، وفي رزقه، وفي إحيائه، وفي إماتته، إلى آخر معاني الربوبية، فلا مُنازع له في الربوبية؛ فقوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾: يدخل فيه أولاً: اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في مقتضيات ربوبيته.

الثاني: تكبير الله جل وعلا في ألوهيته، أي: اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر من كل شيء في استحقاقه الإلهية والعبادة وحده دون غيره، فإن العبادة صُرفت لغير الله، وهو جل وعلا أكبر، وأعظم وأجل من كلِّ هذه الآلهة التي صُرفت لها أنواع من العبادة.

الثالث: تكبير الله جل وعلا في أسمائه وصفاته، أي: اعتقاد أنَّ الله عز وجل

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٩٦).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٦٣).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة، لابن القيم (١٣٧٩/٤)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الناشر: دار العاصمة، الرياض، ط. الأولى: ١٤٠٨هـ.

أكبر من كل شيء في أسمائه وصفاته، فإنه في أسمائه أكبر من كل ذوي الأسماء، فالأشياء لها أسماء، لكن أسماء الله جل وعلا أكبر من ذلك، لما فيها من الحسن، والعظمة، والجلال، والجمال، ونحو ذلك؛ وكذلك في الصفات، فصفاته عُلا، كما قال جل وعلا: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[(١)]، أي: له الاسم الأعلى، وله النعت الأعلى، وقال جل وعلا: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[(٢)]، وقال جل وعلا: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[(٣)]، ونحو ذلك.

الرابع: تكبير الله جل وعلا في قضائه وقدره الكوني؛ فقضاؤه وقدره له فيه الحكمة البالغة، فالله جل وعلا في قضائه وقدره بما يحدثه في ملكوته هو أكبر؛ وأما ما يقضيه ويقدّره العباد لأنفسهم، فإن هذا يناسب نقص العبد.

الخامس: تكبير الله جل وعلا في شرعه وأمره، وهو اعتقاد أن الله جل وعلا أكبر وأعظم فيما أمر به ونهى عنه من كل ما يحكم به العباد، أو يأمر العباد به وينهون عنه.

ولهذا صارت هذه الكلمة: (الله أكبر) من شعارات المسلمين العظيمة، يدخلون في الصلاة بها، ويرددونها في الصلاة، وهي من الأوامر الأولى التي جاءت للنبي عليه الصلاة والسلام، قال جل وعلا له: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ وباجتماع هذه المعاني الخمسة؛ يتبين أن قول المصنف هنا: (﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، **أي: عظّمه بالتوحيد**): هذا التفسير والبيان من أحسن وأعظم ما يكون؛ لأن معاني التكبير

---

(١) سورة الروم، الآية [٢٧].

(٢) سورة الإخلاص، الآية [٤].

(٣) سورة مريم، الآية [٦٥].

هي معاني التعظيم، وتلك المتعلقات هي التوحيد بأنواعه، فصار تفسير المصنف هنا للتكبير، مناسباً ملائماً واضح الدلالة[(١)].

قال المصنف: (﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، **أي: طهر أعمالك عن الشرك**): والآية لها تفسيران مشهوران:

الأول: أن المراد بها تطهير الثياب الملبوسة من النجاسات، وقد نُقل هذا التفسير عن بعض السلف.

والثاني: أن المراد بها تطهير النَّفْس والعمل، وهذا قول جمهور المفسرين من السلف: أن المراد بالثياب هاهنا: القلب، والمراد بالطهارة: إصلاح الأعمال والأخلاق[(٢)]؛ وهو ما اختاره المصنف هنا؛ بدلالة السياق في الآيات؛ فإنه جل وعلا قدَّم بتعظيمه فقال: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾، ثم قال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، ثم أعقبه بقوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ فكان المناسب بين الآيتين أن يكون معنى قوله عز وجل: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، أي: طهر أعمالك من الشرك؛ لأنه يناسب ما قبله وما بعده، فإن ما قبله فيه الإنذار وتعظيم الله جل وعلا بالتوحيد، وما بعده فيه تركٌ للرُّجْزِ وهجر للأصنام والبراءة منها، فالجميعُ في البراءة من الشرك، والنهي عنه، والدعوة والالتزام بالتوحيد[(٣)].

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٩٦-١٩٨). وينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٢/٩١٤).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (١/٨٦)، ط. مجمع الفقه الإسلامي.

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (١٩٩)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٨).

وهناك **قول ثالث** ذهب إليه جمع من المفسرين، وهو اختيار ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: أن الآية تعم الأعمال، واللباس؛ فيكون المعنى: طهر أعمالك من كل ما ينجسها، وطهر ثيابك التي تلبسها من كل نجاسة، فيكون مأموراً بتطهير الثياب والبدن والنفس [(١)].

قال المصنف: (**﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ الرجز: الأصنام، وهجرها: تركها، والبراءة منها وأهلها**): الرّجز: الأصنام؛ كما نُقل عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقل عن غيره من السلف أنها: الأوثان [(٢)]؛ فهي: اسمٌ عام لما يُعْبَدُ من دون الله، من صنم أو وثن، فيشمل: ما عُبِدَ من دون الله مما كان على هيئة صورة، وما لم يكن مصوراً على هيئة صورة.

والهجر أصله: الترك والمفارقة، فأمر الله عز وجل بالترك والمفارقة للأصنام والأوثان، وهذه الأمر بالهجر لا يختص بعبادة الأصنام، بل يعم كل ما يتخذ من الآلهة من دون الله؛ لأن العلة فيهما واحدة، وهي عبادة غير الله جل وعلا؛ أي: أُتْرك المعبودات من دون الله، ويلزم من ذلك أن يترك أهلها، ويتبرأ منها ومن أهلها؛ يعني: اتركها واترك أهلها، وتبرأ منها وأهلها [(٣)].

فهجر المعبودات من دون الله يقوم على أربعة أصول:

الأول: تركها وترك أهلها.

---

(١) اختيارات ابن تيمية في التفسير، د. إبراهيم بن صالح الحميضي (٦٤٥/٢)؛ وينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٩٢/١).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٦٤/٨)؛ وزاد المسير، لابن الجوزي (٣٦٠/٤).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٠-٢٠١)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٩).

والثـاني: فراقهـا وفراق أهلـهـا، وفي الفراق قـدرٌ زائـد على الترك؛ لأن المفارق مباعد، بخلاف التارك فإنه قد يترك ولكنه لا يفارق.

والثالث: البراءة منها ومن أهلها.

والرابع: عداوتها وعداوة أهلها، وفيه زيادة على سابقه بإظهار العداوة؛ لأن المتبرئ قد يُعادي وقد لا يعادي، ففي هذا اللفظ معنى زائد ليس في سابقه[1].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٤٩).

قال المصنف رحمه الله: **(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثلاث سنين، وبعدها: أُمر بالهجرة إلى الْمَدِينَةِ)**.

الشرح الإجمالي

وقد **(أخذ)** النبي ﷺ **(على هذا)** النهج في الإنذار عن الشرك، والدعوة إلى التوحيد: **(عشر سنين)**، وهو **(يدعو)** قومه، وعشيرته الأقربين **(إلى التوحيد)**، وينذر عن الشرك، ويأمر بالأخلاق والعفاف والصلة، **(وبعد)** السنوات **(العشر)** من بدء النبوة والرسالة، وهو في مكة **(عُرج به)**، يعني: صُعِد به بالمعراج - السلم الخاص الذي تصعد فيه الملائكة - **(إلى السماء)** السابعة، كلمَّا مر بسماء تلقاه مقربوها، حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم، ودنا من الجبار جل جلاله، وكلَّمه بلا واسطة، فأوحى إليه ما أوحى، **(وفرضت عليه الصلوات الخمس)**، وهو في السماء، **(وصلى في مكة)** الصلوات الخمس المفروضة: **(ثلاث سنين)** بعد أن عرج به، وفرضت عليه، **(وبعدها)**، أي: بعد السنة الثالثة عشر من بعثته: **(أمر بالهجرة)** من مكة **(إلى المدينة)**، فصلَّى في مكة السنة العاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة، من البعثة، ثم بعد ذلك أمر بالهجرة إلى المدينة؛ لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته، فاستقبله الأنصار في المدينة النبوية، وآووه ونصروه، حتى بلَّغ دين ربه فانتشر في الآفاق[1].

الشرح التفصيلي

قال المصنف - رحمه الله تعالى -: **(أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد)**: وأراد بهذا بيان أن صلب الدعوة وأساسها ومحور الخلاف مع المشركين

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٧٤-١٧٥)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٣٩)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٤).

هو دعوته ﷺ إلى عبادة الله وحده، فالمقصود أنه ﷺ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة، وهو يدعو إلى التوحيد؛ لأن الشرائع بتفاصيلها وفروعها إنما وقعت في الغالب والجملة في المدينة النبوية؛ وهذا يدل على أن حقيقة ما بُعث به النبي ﷺ، وهو المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين: الإنذار عن الشرك والدعوة إلى التوحيد؛ وهذا يدل على أن التوحيد من أوجب الواجبات، وأنه يُبدأ به قبل غيره[١]، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه لليمن: **(فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)**[٢]؛ وجَعْلُ المصنف -رحمه الله تعالى- الأمر يعود على عشر سنين، وهن: ثلاثة عشر من السنين؛ لأن السنين الأولى، وهي: الثلاث، كانت الدعوة فيهن خفية وسرية، وأما النذارة التي بمعنى التحذير الظاهر فكانت في السنين العشر فحسب.

قال المصنف: **(وبعد العشر عرج به إلى السماء)**: أي: بعد عشرٍ من السنين عرج بالنبي ﷺ إلى السماء؛ فالمصنف -رحمه الله تعالى- يقصد هنا العشرَ، ولا يقصد العشر بعد الثلاث التي هي دعوة في خفية؛ لأن الإسراء عند جمهور المؤرخين وأهل السير وقع في السنة العاشرة ثم بقي النبي ﷺ بعد الإسراء سنين، وكان بقاؤه في مكة ثلاثة عشر سنة، وقوله: (إلى السماء): المقصود به جنس السماء، أي: السماوات، فعُرج به حتى ارتفع في مستوى يسمع فيه صريف الأقلام، حتى إنه قرُب من ربه جل وعلا، وكلمَّه ربه جل وعلا بدون واسطة، ورأى عليه الصلاة والسلام تلك الليلة الحجاب الذي احتجب الله جل

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم (٨١)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم (١٤٥٨)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (٣١).

وعلا به عن خلقه فلا يرونه، كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سُئل هل رأيت ربك؟ -أي: ليلة المعراج- فقال: **(رأيت نورا)**، وفي رواية أخرى قال: **(نورٌ أنّا أراه)**[(١)]، يعني: ثَمَّ نور فكيف أراه؟ وهذا من الفضل العظيم له عليه الصلاة والسلام؛ أنه ارتفع من الأرض إلى ما بعد السماء السابعة، ورأى الجنة، ورأى النار في ليلة، ورجع، والسماء الواحدة لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة، وما بين السماء والسماء لا يقطعها القاطع إلا بمسيرة خمسمائة سنة، وهكذا إلى السماء السابعة، فالمعراج له عليه الصلاة والسلام مما يدل على عظم قدره عند ربه جل وعلا؛ لهذا قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[(٢)]، أي: في بعض الليل أُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به من هناك إلى السماء السابعة، ثم رجع إلى بيت المقدس، ثم رجع من بيت المقدس إلى مكة، وفراشه لم يبرد بعد، و لاشك أن هذا مما أكرم الله جل وعلا به نبيه عليه الصلاة والسلام[(٣)].

قال -رحمه الله تعالى-: **(وفرضت عليه الصلوات الخمس)**، أي: في وقت عروجه؛ وذلك لشرفها وعظيم مكانتها، فإن الله سبحانه وتعالى، اختص هذه الفريضة دون غيرها، بأن باشر فرضها سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ، ولم يجعل بينه وبين رسوله سفيراً أو رسولاً من الملائكة، وفُرضت عليه خمسين صلاة، ثم لم يزل يطلب من ربه التخفيف حتى صارت خمساً؛ وكانت الصلاة

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه»، وفي قوله: «رأيت نورا»، برقم (٢٩١) و (٢٩٢).

(٢) سورة الإسراء، الآية [١].

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٤- ٢٠٥).

في السنوات العشر التي قبل المعراج للسماء: صلاتين في اليوم والليلة، الأولى: في إقبال النهار، والأخرى: في إقبال الليل، وهما: الفجر، والمغرب؛ أما الصلوات الخمس فلم تُفرض إلا بعد ذلك [١]؛ وبعد فرض الصلوات الخمس في مكة كانت الرباعية تُصلى ركعتين؛ حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فأُقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر؛ ويدل لذلك ما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ ففرضت أربعا، وتركت صلاة السفر على الأولى)[٢].

قال المصنف: (**وصلَّى في مكة ثلاث سنين، وبعدها: أُمر بالهجرة إلى المدينة**): والمعنى: أنه بعد أن فُرضت عليه الصلوات الخمس، صلَّى في مكة ثلاث سنين الصلوات الخمس على النحو الذي نصليه [٣]؛ وبعد الثلاث عشرة سنة من بعثته أُمر بالهجرة من مكة إلى المدينة؛ والدليل على أن الهجرة بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين)[٤].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (وَالْهِجْرَةُ: الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ،

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: التاريخ، من أين أرخوا التاريخ، برقم (٣٩٣٥)؛ وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة المسافرين وقصرها، ولفظه: (فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأقرت صلاة السفر، وزيد في صلاة الحضر).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ، برقم (٣٩٠٢)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الفضائل، باب: كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة، برقم (٢٣٥١).

وَالْهِجْرَةُ: فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ: بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ).

الشرح الإجمالي

(و) تعريف **(الهجرة)** هي: **(الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)**، أي: ترك بلد الشرك والذهاب إلى بلد الإسلام؛ حفظاً للدين من الزوال أو النقصان؛ **(و)** لهذا كانت **(الهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)** لمن لم يتمكن من إظهار دينه في بلاد الكفر، وكان مستطيعاً للهجرة، **(وهي)**، أي: الهجرة **(باقية)** وواجبة، فلم تسقط عن هذه الأمة في أي زمن، بل وجوبها باق **(إلى أن تقوم الساعة)** ببداية علاماتها الكبرى، فإذا بدأت فلا تفيد الهجرة، كما أن التوبة لا تنفع [١].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– الهجرة، ومناسبة ذكر الهجرة مع الأصول الثلاثة؛ لبيان أن الهجرة من أبرز تكاليف الولاء والبراء [٢]؛ والهجرة في اللغة: مشتقة من الهجر ضد الوصل، وهو: الترك [٣]، وفي الشرع هي: ترك ما يكرهه الله ويأباه إلى ما يحبه ويرضاه [٤].

وهي ثلاثة أنواع:

الأول: هجرة عمل السوء بترك الكفر والمعاصي.

---

(١) ينظر: تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٧٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٨).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٦٨).

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (١٠٢٣)؛ والصحاح، للجوهري (٦٨٢/١).

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٨)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥١).

والثاني: هجرة أصحاب السوء بمجانبة من يُؤمر بهجره من الكفرة والمبتدعة والفسقة.

والثالث: هجرة بلد السوء بمفارقته والتحول عنه إلى غيره[1].

ومن هجرة البلد المأمور بها: الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ وهي الهجرة في الاصطلاح، وقد عرَّفها المصنف بأنها: (**الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام**)، ومن هذا التعريف يتبين أن البلاد تنقسم إلى قسمين من حيث الجملة: بلاد شرك؛ وبلاد إسلام، وهي التي يتكلم عنها الفقهاء بقولهم: دار الكفر، ودار الإسلام؛ وقد اختلف العلماء في تحديدهما، فقيل: إن دار الإسلام من كان أكثر أهلها مسلمين بغض النظر عن الحاكم؛ وقيل: إن دار الإسلام من يحكمها مسلم ولو كان أكثر أهل البلد كفاراً[2]؛ وذهب أكثر العلماء إلى أن دار الإسلام: هي البلاد التي تظهر فيها أحكام الإسلام، وتغلب فيها أحكام أهله؛ وأما دار الكفر: فهي البلاد التي تظهر فيها أحكام الكفر، وتغلب فيها أحكام أهله[3]، وهذا هو أجود ما قيل في بيان دار الكفر ودار الإسلام.

فبلد الشرك: هي كل بلد يظهر فيها الشرك، وتظهر فيها أحكامه، ويكون ذلك غالباً؛ فإذا ظهر الشرك في بلد، وصار غالباً كثيراً أكثر من غيره؛ بأن يكون

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥١).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين (١٠/٣٢٥).

(٣) ينظر: المبسوط، للسرخسي (١٠/١٤٤)؛ وبدائع الصنائع، للكاساني (٧/١٣٠)؛ والمحلى، لابن حزم (١١/٣٠٠)؛ والآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٢١٣).

منتشراً ظاهراً بينا غالباً للخير، فإن هذه الدار تسمى بلد شرك[١].

وبلد الإسلام: هي التي غلب عليها الإسلام ظهوراً وشيوعاً، بحيث يؤذن فيها للصلاة، وتقام فيها الجماعات، ويصام فيها رمضان ويعلن، وتظهر فيها الشعائر حتى وإن كان بعض سكانها غير مسلمين؛ أما إذا لم يكن حكم الإسلام عليها غالباً، فهي دار كفر، ولو كثر فيها المسلمون، والاعتبار بالمظهر والظاهر، ويدل لهذا أن النبي ﷺ كان إذا غزا قوماً أمسك حتى يطلع الفجر، فإن أَذَّنُوا امتنع من قتالهم، وإن لم يؤذِّنوا قاتلهم، ويخرج من ذلك ما تقام فيه هذه الشعائر على وجه محصور؛ كبلاد الكفار التي فيها أقليات مسلمة، فإنها لا تكون بلاد إسلام بما تقيمه الأقليات المسلمة فيها من شعائر الإسلام، فبلاد الإسلام هي البلاد التي تقام فيها هذه الشعائر على وجه عام شامل[٢]. ولا يلزم من كون دارٍ ما دار شرك أو دار إسلام، أن يكون هذا حُكماً على الأفراد الذين في داخل الدار، فالحكم عليها بأنها دار كفر، أو دار شرك هذا في الأغلب بظهور الشرك والكفر، ومن فيها يعامل كل بحسبه، خاصة في هذا الزمن، لأن ظهور الكفر، وظهور الشرك بكثير من الديار، ليس من واقع اختيار أهل تلك الديار، وإنما عن طريق تسلط الحكومات، أو نحو ذلك[٣].

وهناك من الدور ما يتعذر وصفه بكفرٍ أو إسلام، وهي الدور التي يختلط

---

(١) ينظر: فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١٨٨/٦)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٨-٢١٣).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين (٣٢٥/١٠)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٢٩)؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٦٨).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٠).

فيها المسلمون بالكفار اختلاطاً بحيث إنه لا يمكن أن يوصف المكان بدار كفر أو إسلام، وهذه الدار يعامل فيها المسلم بما يستحقه، ويعامل فيها الكافر بما يستحقه [١].

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: **(والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام)**: وهي فرض بقيدين، وهما:

الأول: أن لا يستطيع المسلم أو المسلمة إظهار دين الإسلام.

والثاني: أن يكون قادراً على الهجرة.

فالهجرة فريضة واجبة على كل من لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر إن كان قادراً على الهجرة؛ وسبب إيجاب الهجرة: أن المؤمن يجب عليه أن يُظهر دينه، معتزاً بذلك، مبينا للناس، مخبراً أنه يشهد شهادة الحق؛ لأن الشهادة لله بالتوحيد ولنبيه بالرسالة فيها إخبار غيره، وهذا الإخبار يكون بالقول والعمل، وإظهار الدين به: يكون إخبار غيره عن مضمون الشهادة ومعنى الشهادة، فلهذا كانت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبة إذا لم يستطع المسلم إظهار دينه؛ لأن إظهار الدين واجب في الأرض، وواجب على المسلم أن يظهر دينه، وأن لا يستخفي به، فإذا كان إظهاره لدينه غير ممكن في دار ما؛ فإنه يجب عليه أن يتركها و يهاجر [٢]؛ فالهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبة إذا اجتمع شرطان:

أولهما: عدم القدرة على إظهار الدين، أي: عدم التمكن من إظهار شعائر

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٤١).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٠٨، ٢١٣).

الدين التي لا يقوم الدين إلاّ بها؛ وعليه حمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (١)، أي: لم نستطع إظهار الدين، فالاستضعاف هنا بمعنى عدم استطاعة إظهار الدين، فكان الجواب: ﴿قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً﴾، فدل هذا على أنها واجبة، لأنه توعدها عليهم بجهنم، فدل على أنَّ من ترك الهجرة إذا لم يستطع إظهار الدين فهو آثم، وأن الهجرة واجبة عليه (٢).

والثاني: القدرة على الخروج من بلد الكفر، وأما غير القادر فيعذر لعجزه.

فالهجرة تكون واجبة في حق من لم يتمكن من إظهار دينه في بلاد الكفر، فيجب عليه أن يهاجر إن استطاع الهجرة؛ وأما من كان متمكناً من إظهار دينه في بلد الكفر فالهجرة في حقه مستحبة (٣).

والمستفاد من كلام أهل العلم أن الهجرة من بلد الكفر ثلاثة أضرب، والناس فيها ثلاثة أصناف (٤):

الصنف الأول: من تجب عليه الهجرة، وهو القادر عليها مع عدم إمكان إظهار دينه.

الصنف الثاني: من لا هجرة عليه وهو العاجز عن الهجرة إما لمرض أو إكراه على الإقامة بحيث لا يستطيع الخروج أو ضعف من النساء والولدان وشبههم فهؤلاء لا هجرة عليهم؛ وعليه أن يعتزل الكفار ما استطاع ويظهر دينه ويصبر

---

(١) سورة النساء، الآية [٩٧].

(٢) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٢).

(٣) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٢)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٥).

(٤) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٧١).

على أذاهم.

الصنف الثالث: من تستحب له الهجرة ولا تجب عليه كما تجب على الصنف الأول، وهذا في حق من يقدر على الهجرة لكنه متمكن من إظهار دينه، فهذا تستحب له الهجرة لأجل أن يتمكن من تكثير المسلمين والتخلص من الكفار ومخالطتهم، وقد لا تستحب إذا كان في بقائه بين أَظهرهم مصلحة دينية من دعوة إلى التوحيد والسنة وتحذير من الشرك والبدعة علاوة على إظهاره دينه[1]، فهذه ثلاثة أصناف هي أصناف الناس بالنسبة للهجرة.

وإظهار الدين: يحصل بإعلانه، وعدم التخفي به، فالمظهر لدينه: هو الذي يتمكن من إعلانه، ولا يُضطهد على ذلك، ولا يُخفيه. والألف واللام في (الدين) للعموم، فالدين يشمل جميع مراتبه الثلاثة: (الإسلام والإيمان والإحسان)، فمتى قدر الإنسان على إظهار هذه الأمور، وعدم إخفاء شيء منها، فهو المظهر لدينه، ومتى عجز عن إظهارها أو إظهار شيء منها، فهو عاجز عن إظهار دينه، فلو كان يقدر أن يصلي ويصوم، لكنه لا يقدر أن يُظهر توحيده وإيمانه وعقيدته، كان عاجزاً عن إظهار دينه[2].

ونص جماعة من أهل العلم: على أن إظهار الدين لا ينحصر في أداء شعائره الظاهرة؛ كالأذان والصلاة والصيام والحجاب وغيرها، بل لا بد أن يُظهر إبطال دين المشركين فيصرح ببطلان دينهم، فمن كان كذلك فإنه مظهر لدينه، فالذي يسكت عن دين المشركين وهو مقيم بين أظهرهم لا يبين بطلانه، لا

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/٩١).

(٢) الفتاوى السعدية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٠٦).

يكون قادراً على إظهار دينه[١]، فالرجل لا يكون مظهراً لدينه حتى يتبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم، ويصرح لهم: بأنهم كفار، وأنه عدوٌ لهم[٢].

فإظهار الدين يحصل بأمرين:

الأول: إعلان شعائره، وهو الجهر بشرائعه الظاهرة؛ كالأذان والصلاة والصيام.

والثاني: إبطال دين المشركين، ببيان ضلاله، والتصريح بعداوته، والبراءة منه، وآكده ما كان سببُ كفره، فالذي في بلاد وثنية لا يكفيه عيب دين النصارى المسيح الذي ألَّهوه، وإنما يعيب الأوثان[٣]؛ فإن الكفر له أنواع، وكل طائفة من طوائف الكفر فلا بد أن يشتهر عندها نوعٌ منه، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها، ويصرح لها بعداوته، والبراءة منه: فمن كان كُفره بالشرك، فإظهار الدين عنده: التصريح بالتوحيد أو النهي عن الشرك والتحذير منه؛ ومن كان كفره بجحد الرسالة، فإظهار الدين عنده: التصريح بأن محمداً رسول الله، والدعوة إلى اتباعه؛ ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم، فإظهار الدين عنده: التصريح بعداوته، والبراءة منه ومن المشركين، وبالجملة: فلا يكون مظهراً لدينه، إلا من صرَّح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه، وأظهر له عداوته لهذا الشيء

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥١)؛ وينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٩٥/٨)، و (٣٩٨/١٢-٤١٨).

(٢) سبيل النجاة والفكاك، حمد بن علي بن عتيق (٩٥)، تحقيق: الوليد بن عبدالرحمن الفريان، الناشر: دار طيبة، الرياض، ط. ١٤٠٩هـ.

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي.

الذي صار به كافراً وبراءته منه [١]. **قال الشيخ محمد بن إبراهيم** -رحمه الله تعالى-: «وإظهاره دينه ليس هو مجرد فعل الصلاة وسائر فروع الدين واجتناب محرماته من الربا والزنا وغير ذلك؛ إنما إظهار الدين: مجاهرته بالتوحيد، والبراءة مما عليه المشركون من الشرك بالله في العبادة، وغير ذلك من أنواع الكفر والضلال»[٢]، **وقال الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن حسن** -رحمه الله تعالى-: «ولا يكفي بغضهم بالقلب، بل لا بد من إظهار العداوة والبغضاء، قال تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ**﴾[٣]، فانظر إلى هذا البيان الذي ليس بعده بيان، حيث قال: ﴿**وَبَدَا بَيْنَنَا**﴾، أي: ظهر؛ هذا هو إظهار الدين، فلا بد من التصريح بالعداوة، وتكفيرهم جهاراً، والمفارقة بالبدن، ... ودعوى من أعمى الله بصيرته، وزعم: أن إظهار الدين، هو عدم منعهم ممن يتعبد، أو يدرس، دعوى باطلة؛ فزعمه مردود عقلاً وشرعاً»[٤]، **وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن**-رحمه الله تعالى-: «فغلطتم في إظهار الدين، وظننتم أنه مجرد الصلوات الخمس، والأذان والصوم وغير ذلك، وأنكم إذا جلستم في بعض المجالس الخاصة، قلتم: هؤلاء كفار، هؤلاء

---

(١) سبيل النجاة والفكاك، حمد بن علي بن عتيق (٩٢، ٩٣).

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (١/٩١).

(٣) سورة الممتحنة، الآية [٤].

(٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/٣٠٥).

مشركون، وليس معهم من الدين شيء، وأنهم يعلمون أنا نبغضهم، وأنا على طريقة الوهابية، وتظنون أن هذا هو إظهار الدين، فأبطلتم به وجوب الهجرة، فليس الأمر كما زعمتم، فإن الله سبحانه ذكر في كتابه المرادَ من إظهار الدين، وأنه ليس ما توهمتم، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾، إلى آخر السورة؛ فأمره أن يقول لهم: إنكم كافرون، وإنه بريء من معبوداتهم، وإنهم بريئون من عبادة الله، وهو قوله: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾، وقوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾: تصريح بالبراءة من دينهم الذي هو الشرك، وتمسك بدينه الذي هو الإسلام؛ فمن قال ذلك للمشركين ظاهراً، في مجالسهم ومحافلهم وغشاهم به، فقد أظهر دينه... فمن صرح لهم بذلك، فقد أظهر دينه وصرح بالعداوة؛ وهذا هو إظهار الدين، لا كما يظن الجهلة، من أنه إذا تركه الكفار، وخلوا بينه وبين أن يصلي، ويقرأ القرآن، ويشتغل بما شاء من النوافل، أنه يصير مظهراً لدينه. هذا غلط فاحش؛ فإن من يصرح بالعداوة للمشركين، والبراءة منهم، لا يتركونه بين أظهرهم، بل إما قتلوه، وإما أخرجوه إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، كما ذكره الله عن الكفار... وهل اشتدت العداوة بين الرسل وقومهم، إلا بعد التصريح بمسبة دينهم، وتسفيه أحلامهم، وعيب آلهتهم؟ وقال شيخ الإسلام والمسلمين، محيي ما اندرس من الملة والدين، محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، في ستة المواضع التي من السيرة النبوية: أنه لا يستقيم للإنسان إسلام، ولو وحد الله وترك الشرك، إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ

﴿مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[(١)]، انتهى. فصرحَّ الشيخ -رحمه الله- بأن الإسلام لا يستقيم إلا بالتصريح للمشركين بالعداوة والبغضاء. وتأمل ما استدل به على ذلك، تجد الأمر واضحاً بحمد الله»[(٢)].

وهناك قول آخر، بأن إظهار الدين: إعلانه دون اضطهاد، وهذا يحصل بإقامة شعائر الدين، وإظهار أصوله وشرائعه دون اضطهاد، فإذا كان المسلم يؤدي عباداته ويجهر بعقيدته ويدعو إليها، فهو مظهر لدينه، **ولا يلزمه تسفيه الكفار ومجاهرتهم بالعداوة علانية**؛ فإن ذلك يباعدهم عنه، لكن إن سألوا أخبرهم مع عدم ملازمة إظهار التسفيه[(٣)]؛ واستدلوا على ذلك بأن الصحابة رضي الله عنهم لما ذهبوا في الهجرة الأولى للحبشة، لم يَعْلَم أهل الحبشة أنهم يُسفهون دين النصارى، إلا بعد أن جاء كفار قريش في طلبهم[(٤)]؛ وقالوا: إن ضابط إظهار الدين وإقامته أن لا يُفتن المرء على دينه[(٥)]؛ كما نص عليه الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - في قوله: «ودلت سنة رسول الله ﷺ على أن فرض الهجرة على من أطاقها إنما هو على من **فُتِنَ عن دينه** بالبلد الذي يُسْلم بها؛ لأن رسول الله ﷺ أذن لقوم بمكة أن يقيموا بها بعد إسلامهم: منهم العباس

---

(١) سورة المجادلة، الآية [٢٢].

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٨/٤٣٣-٤٣٥).

(٣) ينظر: الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي (٧٩)، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط. الثانية: ١٤١٤هـ؛ وقواعد ومسائل في توحيد الألوهية، عبدالعزيز الريس (٩٤).

(٤) ينظر: الفتاوى السعدية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٠٧)؛ وشرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٩٩).

(٥) شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالعزيز الريس (٩٩).

بن عبد المطلب، وغيره؛ إذ لم يخافوا الفتنة، وكان يأمر جيوشه أن يقولوا لمن أسلم: إن هاجرتم فلكم ما للمهاجرين، وإن أقمتم فأنتم كأعراب؛ وليس يخيرهم إلا فيما يحل لهم»[١].

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: **(وهي باقية إلى أن تقوم الساعة)**: والإشارة هنا إلى الهجرة، يعني: أنها باقية إلى قرب قيام الساعة، وهو طلوع الشمس من مغربها؛ وذلك لما سيذكره من الدليل.

والمصنف تكلم هنا عن الهجرة من دار الكفر والشرك إلى دار الإسلام؛ وهناك هجرة أخرى من دار يكثر فيها المعاصي والبدع إلى دار ليس فيها معاصي وبدع أو تقل فيها المعاصي والبدع، وهذه الهجرة مستحبة، فالبلد إذا كثر فيها الكبائر والمعاصي، فإنه يستحب الانتقال منها إلى دار لا يكون فيها شيء من ذلك أو يقل فيها ذلك، وقد هاجر جمعٌ من أهل العلم من بغداد؛ لـمَّا علا فيها صوت أهل البدع وكثرت فيها المعاصي وظهرت، وتركوها إلى بلد أخرى، وبعض أهل العلم بقي لكي يكون قائماً بحق الله؛ بالدعوة وببيان العلم وبالإنكار وبنحو ذلك، وكثير من العلماء تركوا مصر لما تولت عليها الدولة العبيدية، وخرجوا إلى غيرها، وهذا قد يحمل على أنها من الهجرة المستحبة، أو من الهجرة الواجبة، بحسب الحال في ذلك الزمن[٢].

* * * * *

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَالدَّلِيلُ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

(١) كتاب: الأم، لمحمد بن إدريس الشافعي (٤/١٦٩)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ط. ١٤١٠هـ.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٣).

ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا﴾[(١)]، **وَقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ﴾[(٢)].

قال البغوي -رحمه الله تعالى-: «سبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة، لم يُهَاجِرُوا؛ نَادَاهُمُ الله بِاسْمِ الإِيمَانِ».

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ؛ قَوْلُهُ ﷺ: (لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مغربها) [(٣)].

الشرح الإجمالي

(والدليل) على وجوب الهجرة من القرآن: **(قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾) بقبض أرواحهم، وحالُ من تنزع أرواحهم أنهم من: (﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾) بالمقام في دار الشرك، (﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡ﴾)، أي: في ماذا كنتم أو في أي الفريقين كنتم، أفي المسلمين؟ أم في المشركين؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع، فـــاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك: (﴿قَالُواْ﴾)، أي: الذين

---

(١) سورة النساء، الآيات [٩٧ - ٩٩].

(٢) سورة العنكبوت، الآية [٥٦].

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١١١/٢٨)، برقم (١٦٩٠٦)، ط. الرسالة؛ وأخرجه أبو داود في سننه، برقم (٢٤٧٩)؛ والنسائي في "الكبرى" (٨٦٥٨)؛ وصححه الألباني في إرواء الغليل (٣٣/٥).

تركوا الهجرة: (﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾) عاجزين يستضعفنا أهل الشرك في الأرض، يعني: أرض مكة، (﴿قَالُوٓاْ﴾)، أي: قالت لهم الملائكة معاتبة لهم: (﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾)، وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فلم لا تهاجرون إلى المدينة وتخرجون من بين أهل الشرك؟ فلم يعذروا بترك الهجرة؛ قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾)، أي: بئس المصير إلى جهنم، وهذا فيه أن تارك الهجرة بعد ما وجبت عليه وهو قادر عليها أنه مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب، ثم استثنى الله أهل العذر منهم، فقال: (﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾)، أي: الضعفاء العاجزون عن الهجرة، (﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾) جمع وليد ووليده، والوليد: الغلام قبل أن يحتلم، (﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾)، أي :لا يستطيعون مفارقة المشركين، فلا يقدرون على حيلة، ولا على نفقة، ولا على قوة الخروج منها، (﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾)، أي: لا يعرفون طريقاً للخروج أو لا يعرفون طريق الخروج من مكة إلى المدينة؛ حيث كانت آنذاك بلد الإسلام، ولا يوجد بلد إسلام سواها، (﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾) ويتجاوز عنهم، (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾) للخطايا والأوزار[(١)]، (**و**) دليل آخر من القرآن على أن الهجرة واجبة على القادر عليها: (**قوله تعالى:** ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾) بي وبرسولي، وهم مقيمون في ديار الكفر ولم يهاجروا، وهم قادرون على الهجرة:

---

(١) ينظر: مختصر تفسير البغوي (١/ ١٩٢)، اختصره د. عبدالله الزيد؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٧٨).

هاجروا فـ(﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾) تسع جميع الخلائق، لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه، فهاجروا، وأظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة التي خلقتها وما عليها لكم، وخلقتكم عليها لعبادتي، **(قال)** أبو محمد الحسين بن مسعود **(البغوي -رحمه الله تعالى-)** في تفسيره[1]: **(سبب نزول هذه الآية)** كما قال مقاتل والكلبي: نزلت **(في)** ضعفاء **(المسلمين الذين)** أقاموا **(بمكة)**، و**(لم يهاجروا)** منها إلى المدينة، **(ناداهم الله باسم الإيمان)**، فدل على أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر، لكنه عاصٍ بتركها؛ **(والدليل على)** أن **(الهجرة)** باقية إلى قيام الساعة: **(من السنة قوله ﷺ)** في الحديث الذي رواه أبو داود عن معاوية رضي الله عنه: **(لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)**، أي: لا يسقط وجوب الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام حتى لا تقبل التوبة ممن تاب [2].

الشرح التفصيلي

استدل المصنف-رحمه الله تعالى- على وجوب الهجرة بدليلين من القران، كما استدل على أن الهجرة باقية إلى قيام الساعة بدليل من السنة؛ فقال مستدلاً: **(والدليل قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا

---

(١) (٦/٢٥١).

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر (٩/١٠٠)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٨٤).

يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُولَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾)، وهذا هو الدليل الأول من القرآن على وجوب الهجرة؛ فإنَّه لـمَّا لم يعد في الإمكان أن يُظهرَ المسلمون دينهم في مكة، وقد قامت بلد الإسلام في المدينة؛ صارت الهجرة متعينة وفرضاً من مكة إلى المدينة، وهذه الآية تدل على أن من تركوا الهجرة مع القدرة على ذلك فهم ظالمين لأنفسهم، ومأواهم جهنم وساءت مصيراً والعياذ بالله، واستثنت الآية الضعفاء العاجزين عن الهجرة من الرجال والنساء الذين لا يستطيعون مفارقة المشركين، فلا يقدرون على حيلة، ولا على نفقة، ولا على قوة للخروج، ولا يعرفون الطريق إلى الخروج والهجرة، فأولئك يتجاوز الله عنهم؛ لعذرهم بعدم الاستطاعة، والشاهد من الآية على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾، مع ما فيها من الوعيد على تركها[1]؛ **قال ابن كثير** -رحمه الله تعالى- في تفسيره: «نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو ظالم لنفسه، مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية»[2]؛ وروي أنه لما نزلت هذه الآية سمعها رجل من بني ليث، شيخ كبير مريض، يقال له جندع بن ضمرة، فقال: والله ما أبيت الليلة بمكة، أخرجوني، فخرجوا به يحملونه على سرير حتى أتوا به التنعيم فأدركه الموت، فصفق يمينه على شماله ثم قال: اللهم هذه لك وهذه لرسولك

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة (٢/ ٣٨٩).

أبايعك على ما بايعك عليه رسولك، فمات فبلغ خبره أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى أجراً، وضحك المشركون وقالوا: ما أدرك هذا ما طلب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾(١) »(٢).

ثم ساق المصنف دليلاً آخر من القرآن على وجوب الهجرة، **وهو قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾)**، فذكر سعة الأرض، وتعقيبه بالأمر بالعبادة بعدها يتضمن: الأمر بالهجرة من البلد الذي لا يقدر فيه على إقامة الدين إلى أرض الله الواسعة، فإذا كان الإنسان في أرض لم يتمكن من إظهار دينه فيها، فإن الله قد وسَّع له الأرض ليعبده فيها كما أمر، وأن يوحده في أرضه الواسعة (٣).

ثم ذكر المصنف كلام البغوي -رحمه الله تعالى- في سبب نزول الآية، حيث قال: (**سبب نزول هذه الآية: في المسلمين الذين بمكة، لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان**)، وكلام البغوي هذا لخصه المصنف مما حكاه البغوي عن جماعة من السلف؛ لأن ما ذكره عنه هو معنى ما نقله البغوي في تفسيره عن جماعة لا نصَّ لفظه (٤) فيكون المراد بقول المصنف: (قال البغوي)، أي: (ذكر

---

(١) سورة النساء، الآية [١٠٠].

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي (٢/٢٧٤).

(٣) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٢).

(٤) جاء في تفسير البغوي (٦/٢٥١): (قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة، إن أرضي -يعني المدينة- واسعة آمنة).

البغوي)؛ إلاَّ أنْ يكون المراد بسبب النزول ما يجري تفسيراً، فيكون تقدير الكلام: «تفسير الآية يتعلق بالمسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم باسم الإيمان»[١]؛ ففي هذه الآية تركوا الهجرة فناداهم الله باسم الإيمان؛ فدل على أن ترك الهجرة لا يسلب الإيمان، وأن قوله جل وعلا في الآية السابقة: ﴿**فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ إنما هو لأجل أنهم تركوا واجباً من الواجبات، وارتكبوا كبيرة من الكبائر، لكنه لا يُسلب منهم الإيمان بترك الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، فمعنى ذلك: أن ترك الهجرة ليس كفراً، وإنما هو معصية من المعاصي؛ لأنه نادى من ترك الهجرة باسم الإيمان[٢].

قال المصنف: (**والدليل على الهجرة من السنة قوله ﷺ: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)**)، والحديث شاهد لقول المصنف: (والهجرة فريضة، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة)؛ لأن انقطاع الهجرة عُلِّق بانقطاع التوبة، ولا تنقطع التوبة إلا بطلوع الشمس من مغربها إذا قامت الساعة[٣]؛ ففي هذا الحديث بيان أن التوبة لا تنقطع إلا إذا طلعت الشمس من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها فلا تنفع التوبة؛ لأنه ليس ثمَّ عمل ينفع العبد[٤]؛ فدلَّ الحديث على أن التوبة مادامت مقبولة فالهجرة واجبة بحالها، وأما قول النبي ﷺ: **(لا هجرة بعد**

---

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٦).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٢).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٦).

الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا)[١]، فالمراد: لا هجرة بعد فتح مكة منها إلى المدينة، حيث كانت مكة بعد فتحها بلد إسلام، وقد كانت الهجرة من مكة مأموراً بها لما كانت بلد كفر، ولما صارت دار إسلام انتهى وجوب الهجرة منها، أو استحباب الهجرة منها، وأما الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فهي مستمرة، فالهجرة المنفية في الحديث هي الهجرة المعهودة في زمانه ﷺ، وهي الهجرة من مكة إلى المدينة، وذلك أنه بالفتح تحولت مكة من كونها دار كفرٍ إلى دار إسلام[٢].

* * * * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، برقم (٢٧٨٣)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير، وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح، برقم (٨٦).

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٧٥)؛ وحاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٨٦).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: **(فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمَدِينَةِ: أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ؛ مِثْلِ: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ)**.

الشرح الإجمالي

(فلما) هاجر من مكة، و**(استقر بالمدينة)** وفشا التوحيد، وكثر أتباعه، وأقاموا الصلاة: **(أمر ببقية شرائع الإسلام)**، والأمرُ له أمرٌ لأمته كلها، **(مثل: الزكاة، والصوم، والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام)**؛ كصلاة العيدين، والكسوف، والاستسقاء، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وأداء الأمانات، وسائر مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال[(١)].

الشرح التفصيلي

بين المصنف -رحمه الله تعالى- بهذا ما تمَّ من الشرائع بعد استقرار النبي ﷺ بالمدينة، وقد ذكر فيما تقدم الهجرة إلى المدينة، وإنما بدأ بأحكام الهجرة وأدلتها؛ لأنها من أبرز تكاليف الولاء والبراء، والأمرُ بالشرائع جاء بعد بناء العقيدة؛ لأن التوحيد أساس الأعمال؛ ولهذا استمرت الدعوة في مكة في موضوع بناء العقيدة، ولم تأتِ الشرائع والتكاليف إلا بعد الهجرة إلى المدينة؛ إلا الصلاة فإنها لعظمها شرعت في مكة كما ذكر المصنف، فصلَّى النبي ﷺ قبل أن يهاجر ثلاثَ سنين[(٢)].

قال المصنف: **(فلما استقر في المدينة أُمر ببقية شرائع الإسلام)**؛ وهذا يدل على أن شرائع الإسلام الظاهرة إنما فرضت في المدينة، وأما في مكة فمكث عليه الصلاة والسلام، يدعو إلى التوحيد، وينهى عن الشرك عشر سنين، ثم فرضت الصلاة

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٨٧).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح الفوزان (١٧٩).

في السنة العاشرة، وأما بقية شعائر الإسلام الظاهرة، فإنما كانت في المدينة، حتى تحريم المحرمات من الزنا والخمر والربا ونحو ذلك، فإنما كان في المدينة؛ وهذا دليل على عظم شأن التوحيد في هذا الدين، والتوحيد مع أنه أمرٌ واحد، وهو الدعوة إلى توحيد الله والنهي والنذارة عن الشرك، فقد مكَثَ فيه عليه الصلاة والسلام عشر سنين، وهذا من أعظم الأدلة على أن شأن التوحيد في هذا الدين هو أعظم شيء، وأن غيره من أمور الإسلام الظاهرة، يليه بكثير في الاهتمام به في هذا الشرع، فالدعوة إنما تكون بتوحيد الله؛ لأن القلب إذا وحَّد الله جل وعلا: أحبَّ الله، وأحبَّ رسوله، فأطاع الله بعد ذلك وأطاع رسوله فرضاً، وترك الشرك، وأبغضه، وكذلك يُبغض كل ما لا يحبه الله جل وعلا ولا يرضاه، وهذا من مقتضيات التوحيد[1]، ولكن ينبغي أن يُفهم أن النبي ﷺ لم تنقطع دعوته إلى التوحيد إلى آخر حياته ﷺ، فإنه كان يدعو إلى التوحيد وهو في الرمق الأخير ﷺ، ومن ذلك أنه لعن اليهود والنصارى قبل وفاته بليالٍ، وقال: **(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)**[2]، وكثير مما كان يأمر به ﷺ من أمور التوحيد حصلت في المدينة لاسيما ما يتعلق بمكملات التوحيد، مع استمرار دعوته فيها إلى أصل التوحيد، وإلى إخلاص العبادة لله عز وجل، ولكن أتى الأمر بالشرائع في المدينة؛ لأن الذين سلَّموا له بالتوحيد احتاجوا إلى تكميله بالعمل الصالح، فدعاهم إلى ما أمره الله عز وجل أن يدعوهم إليه من شرائع

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة، برقم (٤٣٥)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد، على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، برقم (٢٢).

الإسلام (١).

وظاهر كلام المصنف -رحمه الله تعالى- أن الزكاة فرضت أصلاً وتفصيلاً في المدينة، والصواب من أقوال أهل العلم أن الزكاة فرضت أولاً في مكة، ومنها: بذل الماعون الذي جاء النهي عنه في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾(٢)، ومنها الصدقة، ومنها إعطاء الفقير، ونحو ذلك، وهذه الزكاة غير محدودة لا بقدر ولا بصفة، وإنما يصدق عليها اسم الزكاة؛ أما الزكاة على هذا النحو المُقدَّر الذي استقر فهذا فُرض في المدينة؛ فالمراد بالزكاة هنا: الزكاة التي فرضت في السنة الثانية من الهجرة على هذا النحو المقدر، بشروطها، وبأنصبائها، وقَدْر المُخرَج، وأوعية الزكاة، ونحو ذلك، فهذا فُرض في السنة الثانية من الهجرة؛ أما جنس الزكاة فقد فرض في مكة، وكان جنس الزكاة غير مقدر مثل الصلاة التي كانت في مكة، وهذا جاء في آخر سورة المزمل، قال جل وعلا في آخرها، وهي مكية: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾(٣)، فأمر بإيتاء الزكاة(٤).

والصيام فُرض في السنة الثانية من الهجرة؛ وأما الحج فمن أهل العلم من يقول أنه فُرض في السنة السادسة، وهي السنة التي نزل فيها قول الله تعالى:

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٧٦).

(٢) سورة الماعون، الآية [٧].

(٣) سورة المزمل، الآية [٢٠].

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٨)؛ وينظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٣٩)

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾[(١)] ؛ ومنهم من قال : إنه لم يفرض إلا في السنة التاسعة ، وهذا هو الصحيح ، فإن الحج فُرض متأخراً ، وذلك بعد فتح مكة ، فأُمر النبي ﷺ بالحج في سورة آل عمران ، وهي إنما نزلت في سنة الوفود أو في عام الوفود ، وهي السنة التاسعة ، والنبي عليه الصلاة والسلام ترك الحج تلك السنة ، وأَمر أبا بكر أن يحج بالناس ، وبعث معه عليا رضي الله عنهما ، ثم حج عليه الصلاة والسلام بعد ذلك في السنة العاشرة حجة يتيمة لم يحج بعدها[(٢)] ؛ والجهاد فُرض بعد الهجرة كما ذكر المصنف ، وقَبْلَها لم يأذن الله للمسلمين بالجهاد في مكة ولا فرَضَه عليهم ؛ لأنهم عاجزون ضعفاء ليس لهم شوكة يتمكنون بها من القتال ، فلما هاجروا إلى المدينة وقامت الدولة الإسلامية أُمروا بالجهاد[(٣)] ؛ والأذان شُرع في المدينة في السنة الأولى من الهجرة على القول الراجح ، وقد ورد أدلة تدل على أن الأذان شرع في مكة قبل الهجرة ؛ لكنها أحاديث معلولة كما قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى-[(٤)] ، وقد جزم ابن المنذر -رحمه الله تعالى- بأنه ﷺ كان يصلي في مكة بغير أذان ولا إقامة منذ فرضت الصلاة إلى أن هاجر إلى المدينة ، وكان يُصلي كذلك أول ما قدم المدينة إلى أن رأى عبدالله بن زيد رضي الله عنه النداء في المنام[(٥)] .

* * * * *

---

(١) سورة البقرة ، الآية [١٩٦].

(٢) شرح ثلاثة الأصول ، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢١٩) ؛ وينظر : شرح ثلاثة الأصول ، محمد بن صالح العثيمين (١٣٩)

(٣) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبدالله بن صالح الفوزان (١٨٢).

(٤) ينظر : فتح الباري (٧٨/٢) ؛ وحصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ، عبدالله بن صالح الفوزان (١٨٢).

(٥) الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف (١٤٢/٣).

قال المصنف رحمه الله: **(أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وبعدها تُوُفِّيَ صلاة الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَدِينُهُ بَاقٍ، وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ: التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ الله وَيَرْضَاهُ؛ وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ الله وَيَأْبَاهُ)**.

الشرح الإجمالي

(أخذ على هذا) البيان والتعليم، والدعوة إلى بقية الشرائع في المدينة **(عشر سنين)** توحى إليه فيها الشرائع، **(وبعدها)**، أي: بعد عشر سنين من مَقْدَمِه المدينة، **(توفي صلاة الله وسلامه عليه)** يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة، بعد ما أكمل الله به الدين وبلَّغ البلاغ المبين، **(ودينه)** وهو ما تضمنه الكتاب والسنة **(باق)** موجود مؤيد محفوظ إلى يوم القيامة، كاف لمن تمسك به، **(وهذا دينه)** عليه الصلاة والسلام، وهو ما سبق إيضاحه في هذه الرسالة: معرفة العبد ربه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، ومعرفة العبد نبيه ﷺ، **(لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرها منه)**؛ وهذا من صفاته ﷺ أنه دلَّ أمته على كل خير يقرب إلى الله جل جلاله، وحذَّرها من كل شر مما حدث في وقته، أو ما سيكون إلى يوم القيامة، **(والخير الذي دلها عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه؛ والشر الذي حذرها منه: الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه)**، وابتدأ فيما أمر به بالتوحيد؛ لأنه أعظم ما أُمر به من الخير، وابتدأ فيما نهى عنه بالشرك؛ لأنه أعلى ما يُحذر ويُخاف منه من الشر[1].

—

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٨٧)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٨٤)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٣).

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (وتوفي ﷺ ودينه باقٍ): وهذا فيه الإشارة إلى أن بقاء الدين ليس مرتبطاً بحياته ﷺ؛ وفيه أيضاً أنه ﷺ توفي، وهذا أمرٌ مجمع عليه، دلَّ عليه الكتاب والسنة، كما سيأتي بيانه بالأدلة التي سيذكرها المصنف -رحمه الله تعالى-، خلافاً لما يزعمه غلاة الصوفية الذين يقولون: إنه لم يمت ﷺ، وهذا كذبٌ وافتراء، وتكذيبٌ لما ثبت ثبوتاً قطعياً في كتاب الله عز وجل، وفي سنة النبي ﷺ وأجمعت عليه الأمة.

قال: (ودينه باقٍ)؛ لأنَّ رسالته ﷺ هي الرسالة الخاتمة العامة الباقية الخالدة، وليست لأقوام معينين، ولا لأزمنة خاصة؛ ولذلك تكفَّل الله سبحانه بحفظ القرآن الكريم، فقال عزَّ وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[1]، وهذا الحفظ يستلزم حفظ بيان هذا القرآن الكريم، وهو السنة المطهرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[2]، ولا يمكن حفظ الدين إلاّ بحفظ أهله، وهذا الحفظ يستلزم أيضًا بقاء حملة الكتاب والسنة الذين يبلغون ذلك للأمة إلى يوم القيامة، فهذا الدين محفوظ باقٍ ببقاء أهله إلى أن تقوم الساعة[3]، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتي أمر الله)**[4].

قال المصنف: **(لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه)**: قال أبو

(١) سورة الحجر، الآية [٩]

(٢) سورة القيامة، الآيات [١٧-١٩].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٧٦).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده، برقم: (١٦٨٨١)؛ والترمذي في الفتن، برقم: (٢٢٢٩)؛ وابن ماجه في كتاب: المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله ﷺ، برقم: (٧)؛ وصححه الألباني في الصحيحة (٤ / ١١٠ و ١٩٥٧).

ذر رضي الله عنه: (تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا عندنا منه علم)[١]؛ وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة فقال: (أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو أن نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو أن نستنجي برجيع أو بعظم)[٢].

قال المصنف: (**والخير الذي دلها عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه؛ والشر الذي حذرها منه: الشرك، وجميع ما يكرهه الله ويأباه**)، فبيَّن المصنف هنا بكلمات معدودات الخير الذي دل النبي ﷺ أمته عليه، فبدأ بأصل الدين الذي لا يصح إلا به، وهو التوحيد، ثم أعقبه ببقية المأمورات في قوله: (وجميع ما يحبه الله ويرضاه)، وهذا يشمل جميع المأمورات الواجبة والمستحبة؛ ثم انتقل إلى الشق الثاني من الدين، وهو المنهيات والمحرمات، وأعظمها الشرك، ويليه المعاصي، فكل المعاصي يكرهها الله عز وجل، ويأباها، أي: يمنعها، فجميع ما يكرهه فقد منع منه[٣].

* * * * *

قال المصنف رحمه الله: (بَعَثَهُ الله إلى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ

---

(١) أخرجه أحمد، برقم: (٢١٣٦١)؛ وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: العلم، برقم (٦٥)؛ وصححه الألباني، ينظر: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، لمحمد ناصر الدين الألباني (١٩٢/١)

(٢) أخرجه مسلم في كتاب: الطهارة، باب: الاستطابة، برقم (٥٧).

(٣) ينظر: تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (٩٩٣/٢).

الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، **وأَكْمَلَ الله بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[2]، **وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[3]).

الشرح الإجمالي

كانت الأنبياء تبعث لأقوامها خاصة، أما نبينا محمداً ﷺ فقد **(بعثه الله)** عز وجل **(إلى الناس كافة)**، فلا يسع أحد الخروج عن شريعته، **(وافترض الله طاعته على جميع الثقلين)**، وهما: **(الجن والإنس)**، **(والدليل)** على أنه مبعوث إلى الناس كافة **(قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾**)** العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم؛ **(وأكمل الله به الدين)**، أي: أكمل الله برسالته الدين، فكل من زاد في دين الله تعالى فقد افترى على الله كذباً، **(والدليل)** على أن هذا الدين كامل في شرعه وأحكامه **(قوله تعالى:** ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾**)**؛ وهذا من أكبر نعم الله على هذه الأمة؛ حيث أكمل لها دينها، فلا يحتاجون إلى دين سواه، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولمَّا أكمل الله الدين للنبي ﷺ مات، **(والدليل على موته ﷺ)** من القرآن **(قوله تعالى:** ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾**)**، وقد مات، وغُسِّل،

---

(١) سورة الأعراف، الآية [١٥٨].

(٢) سورة المائدة، الآية [٣].

(٣) سورة الزمر، الآيتان [٣٠-٣١].

وكُفِّن، وصُلِّي عليه، ودُفن ﷺ بالمدينة سنة ١١هـ، وجميع الخلق ميتون مثله[١].

—

الشرح التفصيلي

قال المصنف: (بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس): فكل الناس يجب عليهم الإيمان بالنبي ﷺ سواء كانوا من أهل الكتاب أو من غيرهم، فالواجب على كل من سمع بالنبي ﷺ أن يؤمن به، ولا يسعه إلا ذلك؛ فإن النبي ﷺ قال: **(والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار)**[٢].

ثم ذكر المصنف الدليل على أن الرسول ﷺ مبعوث إلى الإنس، **وهو قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾؛ وهذا عمومٌ ظاهر في بعثته إلى الناس جميعاً، فقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد لبعثته إلى الناس كافة. واسم الناس مأخوذ من (النَّوس) الذي هو الحركة والاضطراب، فيدخل في جملة (الناس) الجن والإنس معاً[٣]؛ ويوجد دليل خاص يدل على أنه ﷺ مبعوث إلى الجن، وهي آية الأحقاف، وفيها أن الله صرف إليه نفراً من الجن، وكان مما قالوا لما رجعوا إلى قومهم: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٨٩)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام، رقم (٢٤٠).

(٣) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مادة (نوس)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٤).

﴿مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[(١)] ، فلم يكن هذا منهم إلا لـمَّا علموا أنهم مخاطبون بهذه الرسالة [(٢)].

قال المصنف: (وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾): وهذه الآية دليل على كمال الدين وحياً من الله، وتبليغاً من رسوله؛ لأن الله جل وعلا أخبر في هذه الآية بأنه قد أكمل الدين، وإنما كمُلَ بما بلَّغه، إذ الدين لم يُعرف إلا بتبليغه ﷺ، فعُلم من ذلك أنه قد بلَّغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده[(٣)]، وقد نزلت هذه الآية الكريمة يوم عرفة، والنبي ﷺ واقف يخطب في حجة الوداع، وكان نزولها قبل وفاته ﷺ بواحد وثمانين يوماً؛ وهي شهادة من الله تعالى لنبيه ﷺ على تبليغه لما أرسله به أتم تبليغ وأكمله، وبذلك جعله الله خاتم النبيين؛ لأن الخلق بعد هذا لن يحتاجوا إلى نبي غير نبيهم ﷺ ليكمل لهم دينهم؛ كما أنهم لا يحتاجون إلى دين آخر؛ وذلك لكمال دينهم[(٤)].

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «قد تمم الله سبحانه الدين بنبيه ﷺ، وأكمله به، ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه، ولا رأي، ولا منام، ولا كشوف»[(٥)]؛ ومن الأدلة على إكمال الدين حديث العرباض بن

---

(١) سورة المائدة، الآية [٣].

(٢) سورة الأحقاف، الآية [٣١].

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٥/١٥٥، ١٥٦).

(٤) حقوق النبي ﷺ على أمته، أ.د. محمد بن خليفه التميمي (١١١).

(٥) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٣/٨٢٦)، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله.

سارية أن النبي ﷺ قال: **(قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)**[(١)]؛ ولكمال هذا الدين وتمامه أخبر النبي ﷺ أن كل من فعل ما لم يأمر به، وزاد في دين الله ما لم يأت به الشرع، فإن عمله باطل ومردود عليه؛ لكمال هذا الدين، قال عليه الصلاة والسلام: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)**[(٢)].

قال المصنف: **(والدليل على موته ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾)**: وهذه الآية تدل على موت الرسول عليه الصلاة والسلام، والذين يدّعون أنه عليه الصلاة والسلام حي لم يمت، وأن روحه تحضر، وهو يحضر، وينتقل، ونحو ذلك، هؤلاء مكذبون للقرآن؛ لأن الله جل وعلا قال لنبيه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ يعني: ستموت، ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ يعني: سيموتون؛ وقال جل وعلا في الآية الأخرى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[(٣)]، لكن هو بعد موته في حياة برزخية، هي أكمل أنواع الحياة البرزخية، فحياته أكمل من حياة الشهداء؛ وأما الحياة الجسمانية فلا ريب أنه

(١) أخرجه أحمد في مسنده، برقم (١٧١٤٢)؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك: (١/٩٦)، قال الألباني: «هذا إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات معروفون غير عبد الرحمن بن عمرو، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وروى عن جماعة من الثقات، وصحح له الترمذي وابن حبان والحاكم كما في "التهذيب"» "الصحيحة": رقم (٩٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، برقم (٢٦٩٧)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم (١٧).

(٣) سورة آل عمران، الآية [١٤٤].

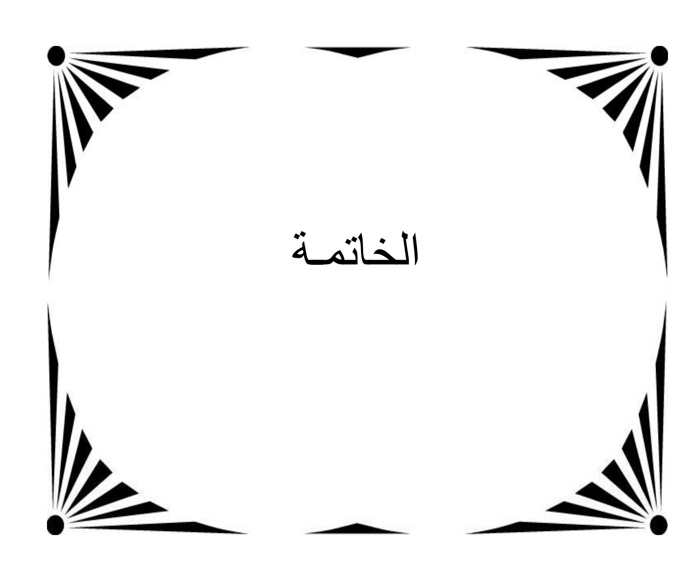
مات ﷺ، أي: أن روحه فارقت جسده؛ لانتهاء أجله عليه الصلاة والسلام، وغُسل وكُفن وصُلي عليه، ودفن في ضريحه بالمدينة صلوات الله وسلامه عليه، وهو بالرفيق الأعلى بالجنة، وعند الله جل وعلا بأعلى المقامات عليه الصلاة والسلام، وجسده الشريف لا تأكله الأرض، طري باق، وأما سائر الناس فتبلى أجسامهم، ولا يبقى إلا عجم الذنب[١]، فالأنبياء هم الذين حرَّم الله على الأرض أن تأكل أجسادهم، وأما بقية الناس فإن الجسد يكون تراباً، ولا يبقى منه إلا عظم صغير، وهو عجم الذنب: (العُصعُص)، وهو آخر فقرة في العمود الفقري، لا تأكله الأرض، ولا يبلى، منه خُلق ابن آدم، ومنه يركب كما في الحديث[٢].

* * * * *

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٠)؛ وشرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٢٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٠١).

(٢) الإعانة على تقريب الشرح والإبانة، لابن بطة العكبري، تأليف: عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٥٧٥/٢)، ط. الثانية: ١٤٣٧هـ.


الخاتمـة

[الخاتمة]

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ **[طه: ٥٥]، وقَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧-١٨].

وَبَعْدَ الْبَعْثِ: مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ(١)**؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، **وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

وَأَرْسَلَ الله جَمِيعَ الرُّسُلِ: مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، **وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ [لا نبي بعده؛ والدليل قوله تعالى:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾]**(٢)، وَالدَّلِيلُ: عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عليه السلام**(٣) **قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى

---

(١) في (د): زيادة: (إن خيراً فخير، وإن شراً فشر).

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من (خ، ص)، وليست موجودة في نسخة الأصل. [الأحزاب: ٤٠].

(٣) في (ص): (والدليل على أن نوحاً أول الرسل).

كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وَافْتَرَضَ الله عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِالله [(١)].

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله تعالى-: «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ».

وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَةٌ[(٢)]، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَهَذَا: مَعْنَى: (لا اله إلا الله).

وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله[(٣)]).

وَالله أعلم، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ.

* * * * *

---

(١) في (خ): (: أن يكفروا بالطاغوت، ويؤمنوا بالله تعالى).

(٢) في (ص): (كثيرون).

(٣) في (خ): زيادة: (عز وجل).

قال المصنف رحمه الله: (**وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾[(١)]، وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾ [(٢)]**).

الشرح الإجمالي

(**والناس إذا ماتوا يُبْعَثُون**) ليجازي الله كلاً بعمله، وليقتص بعضهم من بعض، حتى البهائم، (**والدليل**) على أن الناس يبعثون بعد الموت (**قوله تعالى:** ﴿مِنۡهَا﴾)، أي: من الأرض، (﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾)، أي: مبدؤكم؛ فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، (﴿وَفِيهَا﴾)، أي: في الأرض، (﴿نُعِيدُكُمۡ﴾) إذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها، (﴿وَمِنۡهَا﴾)، أي: من الأرض (﴿نُخۡرِجُكُمۡ﴾) يوم البعث والحساب ﴿تَارَةً﴾، أي: مرة (﴿أُخۡرَىٰ﴾)؛ ودليل آخر على أن الناس يبعثون بعد موتهم: (**قوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾)، والمقصود به: مبدأ خلق آدم وذريته من الأرض، (﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا﴾)، أي: في الأرض إذا متم، (﴿وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا﴾) من الأرض بعد البعث أحياءً كما بدأكم أول مرة[(٣)].

الشرح التفصيلي

انتهى المصنف -رحمه الله تعالى- من الكلام على الأصل الثالث من الأصول الثلاثة التي يجب على كل مسلم تعلمها، وهو معرفة العبد نبيه ﷺ،

---

(١) سورة طه، الآية [٥٥].

(٢) سورة نوح، الآيتان [١٧-١٨].

(٣) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩١)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٩٤).

وختم هذه الرسالة بذكر مسائل مهمة، فختم بالكلام على: البعث، والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومسألة الكفر بالطاغوت وتعريفه، فقال: لما ذكر موته عليه الصلاة والسلام: **(والناس إذا ماتوا يبعثون)**: والإيمان بالبعث من جملة الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث، بل إن الإيمان بالبعث هو معظم الإيمان باليوم الآخر، وهو الذي كان ينكره أهل الجاهلية؛ ولهذا جاء في بعض روايات الحديث لما سئل عن الإيمان قال: **(أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن بالقدر كله)**[1]، وخص المصنف هنا البعث بالذكر، مع أن مناسبته هي في ذكر اليوم الآخر؛ وهي المرتبة الثانية من الأصل الثاني من الأصول الثلاثة التي سبقت[2]؛ وذلك لسبب، وهو: أنه كَثُرَ في وقت المصنف إنكار البعث والتكذيب له، ولذلك نصَّ عليه، ودلَّل، وأعقب ذلك بذِكر حكم من كذَّب بالبعث، فنص هنا على هذا؛ لأجل الاهتمام بالمسألة ووضعها في هذا الموضع المناسب، لأنه ذَكَر وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[3]؛ فناسب أن يُقرر البعثَ بعد الموت لجميع الناس[4].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، برقم (٥٠)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الإسلام ما هو وبيان خصاله، برقم (٧).

(٢) ينظر: ص(٣٦٣).

(٣) سورة الزمر، الآية [٣١].

(٤) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٢٨).

والبعث: إحياء الله تعالى الموتى، وعودة الأرواح إلى الأجساد بعد نفخة القيام، حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة بلا نعال، عُراة بلا ثياب، غُرلاً بلا ختان[1].

والبعث الذي آمن به الرسل، ودعوا أقوامهم إلى الإيمان به، هو: بعث الأرواح والأجساد، خلافاً لما قالته الفلاسفة: بأن البعث إنما هو للأرواح فقط، وهذا القول كفرٌ بما أنزله الله على رسله، لأن الذي أنزله على رسله أن البعث للأرواح والأجساد معاً[2].

قال المصنف: **(والدليل قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾):** فاستدل المصنف على الإيمان بالبعث بهاتين الآيتين، ووجه الدلالة فيهما على المقصود أنه ذُكِرَ فيهما الإخراج من الأرض، وهو البعث[3].

* * * * *

---

(١) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد بن صالح العثيمين (٣٩٥).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، خالد بن عبدالله المصلح (٨٠).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٤).

قال المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَبَعْدَ الْبَعْثِ: مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(و) الخلق **(بعد البعث)**، وقيامهم من قبورهم **(محاسبون)** على دقيق الأعمال وجليلها، صغيرها وكبيرها، وكل شيء مكتوب في كتاب ينشر في الحشر، **(و)** بعد هذا الحساب؛ فإن جميع الخلق **(مجزيون بأعمالهم)** إن كانت خيراً فخير، وإن كانت شراً فشر، **(والدليل)** على أن الخلق بعد البعث يحاسبون على أعمالهم: **(قوله تعالى:** ﴿لِيَجْزِيَ﴾**)**، أي: سيجازي الله **(**﴿ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ﴾**)** العمل من الشرك فما دونه، يجازيهم، **(**﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾**)** من إساءة، **(**﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾**)** في عبادة ربهم ووحدوه، وأحسنوا إلى خلقه، وأخلصوا له الأعمال، سوف يثيبهم على أعمالهم، **(**﴿بِٱلْحُسْنَى﴾**)**، وهي: الجنة، وهذا من حكمة الله العظيمة في بعث الناس ومحاسبتهم، فلو لم يكن هناك جزاء ولا حساب؛ لَظَلَم الناسُ بعضهم بعضاً، وسَلَبَ بعضهم مال بعض، وعمَّت الفوضى في الحياة[2].

الشرح التفصيلي

ذكر المصنف أمراً آخر يجب الإيمان به يتعلق باليوم الآخر، وهو الإيمان بالحساب والجزاء، فقال: **(وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم)**، فالبعث له غاية، وهو: الحساب والجزاء؛ فإن الإيمان بالبعث معناه: الإيمان بيوم يرجع

---

(١) سورة النجم، الآية [٣١].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٩٥).

فيه الناس إلى الله جل وعلا فيُحاسبون، فحقيقة الإيمان بالبعث هو الإيمان بالحساب، فالحساب هو المقصود من الإيمان باليوم الآخر [١].

و**الحساب** في الشرع هو: عدُّ أعمال العبد يوم القيامة، بإيقاف الله تعالى العباد على أعمالهم التي عملوها وما كانوا عليه في الدنيا؛ وأما **الجزاء** بمعنى المجازاة، فمعناه: بعد أن يُقرَرَ العبد على أعماله، ويحاسب: يجازى المحسن على أعماله الصالحة بالثواب عليها بالنعيم المقيم، وداره الجنة، ويجازى المسيء على أعماله السيئة بالعذاب الأليم، وداره النار، والعياذ بالله [٢].

قال المصنف: **(والدليل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾)**، وهذه الآية دليل على وقوع الحساب، فالآية تدل بمنطوقها على الجزاء، وتدل بمفهومها على الحساب؛ لتوقف الجزاء عليه [٣].

وقول المصنف: **(وبعد البعث: محاسبون)**: ظاهره العموم، ولكن دلت الأدلة على أن هناك جنساً من الخلق استثنوا من الحساب، ومنهم: السبعون ألف الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، كما ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **(عرضت علي الأمم، فرأيت النبي، ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم،**

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، تحقيق وعناية: عادل رفاعي (٢/٢٤٢).

(٢) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٤)؛ وحصول المأمول شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٩٠).

(٣) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٥).

فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب)[١]؛ وإذا ثبت أن طائفة من أتباع الأنبياء يدخلون الجنة بغير حساب؛ فكيف بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ وعليه فالأنبياء لا حساب عليهم، وكذلك أطفال المؤمنين، وكذلك العشرة المبشرين بالجنة، وهذا في حساب المناقشة[٢].

فالحساب له درجتان[٣]:

أحدهما: الحساب اليسير، وهو: عرض الأعمال على العامل وتعريفه بها، وفيه تُعرض أعمال العبد عليه، ويُقرَّر بها، وصفته: أن يخلو به الله جل وعلا، ويقرره بذنوبه، فحساب المؤمن الذي غفر الله له ذنوبه إنما هو عرض أعماله عليه، وهذا ليس لكل الناس وإنما للمؤمنين، وليس كل المؤمنين بل المؤمن الذي شاء الله أن يستر ذنوبه ويتجاوز عنه، يحاسبه محاسبة سرية بينه وبينه.

والآخر: الحساب العسير، ويراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذا يتضمن المناقشة، وفيه يُناقش العبد، وتُستقصى عليه أعماله، ولا يناقش اللهُ أحداً يوم القيامة إلا عذَّبه؛ كما في الحديث عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(من نوقش الحساب عُذِّب)**، قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الطب، باب: من لم يرق، برقم (٥٧٥٢)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، برقم (٣٧٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية، محمد بن أحمد السفاريني (٣/٦٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٠٥).

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال: **(ذلك العرض)**[(١)].

وقد أجمل القرطبي -رحمه الله تعالى- الجواب عن هذه الأصناف بالنسبة للحساب، فقسَّمهم إلى ثلاث فرق فقال: «فرقة: لا يحاسبون أصلاً، وفرقة: تحاسب حساباً يسيراً، وهما من المؤمنين؛ وفرقة: تحاسب حساباً شديداً، يكون منها مسلم وكافر»[(٢)].

والله جل جلاله يحاسب الخلق في ساعة واحدة لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا[(٣)]، وأدلة هذا كثيرة في الكتاب، والسنة، وقد تنازع أهل السنة في الكفار هل يحاسبون أم لا؟ وفصل الخطاب إثبات الحساب، بمعنى: عد الأعمال، وإحصائها، وعرضها عليهم، لا بمعنى إثبات حسنات نافعة لهم في ثواب يوم القيامة تقابل سيئاتهم[(٤)]؛ فالحساب قد يراد به: الإحاطة بالأعمال وكتابتها في الصحف، وعرضها على الكفار، وتوبيخهم على ما عملوه، وزيادة العذاب ونقصه بزيادة الكفر ونقصه، فهذا الضرب من الحساب ثابت بالاتفاق؛ وقد يراد بالحساب: وزن الحسنات بالسيئات ليتبين أيهما أرجح: فالكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ إن أعماله كلها حابطة، وإنما توزن؛ لتظهر خفة موازينه، لا ليتبين رجحان حسنات له؛ وقد يراد بالحساب أن الله:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب، برقم (٦٥٣٦)؛ وأخرجه مسلم في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إثبات الحساب، برقم (٧٩)، والآية [الانشقاق: ٨].

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٦٧٦/١)، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض.

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (١٢٩/٤)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٤) المصدر السابق؛ ومجموع الفتاوى (٣٠٥/٤).

يكلمهم، فالقرآن والحديث يدلان على أن الله يكلمهم تكليم توبيخ وتقريع وتبكيت، لا تكليم تقريب وتكريم ورحمة[(١)]، وفائدة حسابهم: بيان تفاوتهم في العقاب، فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلت سيئاته، ومن كان له حسنات خفف عنه العذاب؛ كما أن أبا طالب أخف عذاباً من أبي لهب، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾[(٣)]، والنار دركات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أشد عذاباً من بعض، لكثرة سيئاته، وقلة حسناته؛ كان الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخول الجنة[(٤)].

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٤٨٧).

(٢) سورة النحل، الآية [٨٨].

(٣) سورة التوبة، الآية [٣٧].

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٠٦).

قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[1]).

الشرح الإجمالي

(**ومن كذَّب بالبعث كفرَ**)؛ لتكذيبه الله ورسوله وإجماع المسلمين، (**والدليل**) على كفر من أنكر البعث: (**قوله تعالى:** ﴿زَعَمَ﴾)، أي: ادَّعى وظن (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾)؛ ضلالاً منهم، (﴿أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾) للحساب والجزاء، وقد حكم الله بكفرهم، لإنكارهم البعث، فدل على أن إنكار البعث كفر، لهذا قال الله جل وعلا لنبيه ﷺ: يا أيها الرسول: (﴿قُلۡ﴾) لمنكري البعث: (﴿بَلَىٰ﴾) ستبعثون، واحلف لهم يميناً بالله، قائلاً فيها: (﴿بَلَىٰ وَرَبِّي﴾)، وخالقي، (﴿لَتُبۡعَثُنَّ﴾) يوم القيامة للحساب، (﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾)، وتجازون عليها؛ (﴿وَذَٰلِكَ﴾)، أي: البعث بعد الموت (﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾) سهل لا يعجزه، فهو سبحانه على كل شيء قدير، فالذي قَدِرَ على النشأة الأولى، قادر على الإنشاء مرة أخرى[2].

الشرح التفصيلي

لما قرَّر المصنف -رحمه الله تعالى- البعث، ذكَرَ حكم من أنكر البعث، فقال: (**ومن كذَّب بالبعث كفر**)؛ لأنه مكذب لله جل وعلا، حيث إن القرآن دلَّ في آيات كثيرة على ثبوت البعث، فالذي يُكَذِّبُ بالبعث مُكَذبٌ للقرآن،

---

(١) سورة التغابن، الآية [٧].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٢)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (١٩٧).

ومن كذَّب القرآن فهو مكذب لله تعالى، فيُحْكَمُ بكفره[(١)].

قال المصنف: (**والدليل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾**)، فإنكار البعث من دعاوى الكفار التي صيرتهم كفاراً، فمن انتحلها فهو كافر مثلهم[(٢)]، والشاهد من الآية قوله سبحانه وتعالى: ﴿**زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ**﴾؛ فوصف الذين يزعمون أنهم لن يبعثوا بأنهم من الذين كفروا[(٣)]، وأحد أسباب الإنكار بالبعث: هو ضعف الإيمان بقدرة الله عز وجل، والله عز وجل يقرر البعث ببيان كمال قدرته، وكمال علمه، وكمال حكمته، فمن آمن بكمال قدرة الله، وكمال علمه جل وعلا، وكمال حكمته، فلا يمكن أن يقع في قلبه إنكار البعث؛ ولذلك قال هنا في تقرير البعث: ﴿**وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ**﴾، فهو جلّ وعلا على كل شيء قدير[(٤)].

وقد جاء في القرآن براهين تدل على وقوع البعث، وخلاصة تلك الأدلة الدالة على وقوع البعث كما يلي:

الدليل الأول: إخبار العليم الخبير بوقوع يوم القيامة، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وجاء هذا الإخبار في القرآن الكريم بأساليب متنوعة ليكون أوقع في النفوس وأقرب إلى القبول.

الدليل الثاني: أن القادر على الخلق الأول قادر على الخلق الثاني، وقد

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٩٢).

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٥).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٢٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، د. خالد بن عبدالله المصلح (٨١).

استقر في أفهام الناس وتصورهم أن الإعادة أهون من البدء، والبدء والإعادة عند الله تعالى سواء.

الدليل الثالث: أن القادر على خلق الأعظم قادر على خلق ما دونه؛ فالذي خلق السموات والأرض قادرٌ على خلق مادونها.

الدليل الرابع: قدرة الله جل وعلا على تحويل الخلق من حال إلى حال، فهو يميت ويحيى، ويخلق ويفني، وهذه الأرض تكون هامدة لا نبات فيها فينـزل الله المطر فإذا هي خضراء تهتز، وقد أشار القرآن إلى هذا المعنى في كثير من الآيات، وهو أن القادر على تحويل الشيء من حال إلى حال قادر على بعث الناس [(١)].

* * * * *

(١) ينظر: حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٩٣).

قال المصنف رحمه الله: (**وَأَرْسَلَ الله جَمِيعَ الرُّسُلِ: مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾(١)، **وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ لا نبي بعده؛ والدليل قوله تعالى:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾(٢)، **وَالدَّلِيلُ: عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ عليه السلام قَوْلُهُ تَعَالَى:** ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(٣).

وكل أمة بعث الله إليهم رسولاً من نوح إلى محمد، يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الله وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾(٤)).

الشرح الإجمالي

(**وأرسل الله جميع الرسل**) من أولهم إلى آخرهم، (**مبشرين**) مَنْ وحدَّ الله بالجنة، (**ومنذرين**) مَنْ أشرك بالله بالخلود في النار؛ (**والدليل**) على أن الله بعث رسلاً وأرسلهم: (**قوله تعالى:** (﴿رُّسُلًا﴾) أرسلناهم إلى الناس، (﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾)؛ قطعاً لدابر حجج الناس يوم القيامة؛ (﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾)، فانقطعت حجة الخلق على الله بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ولم يبق للمعتذر عذر، (**و**) هؤلاء الرسل (**أولهم**) رسولاً إلى أهل الأرض هو:

---

(١) سورة النساء، الآية [١٦٥].

(٢) سورة الأحزاب، الآية [٤٠].

(٣) سورة النساء، الآية [١٦٣].

(٤) سورة النحل، الآية [٣٦].

(**نوح عليه السلام**)، (**وآخرهم**) رسالة ونبوة هو: (**محمد ﷺ**)، وهو أفضلهم، وأكثرهم تابعاً؛ (**وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**)، وآخرهم مبعثاً، ورسالته خاتمة الرسالات، فـ(**لا نبي بعده**)، وإذا كان لا نبي بعده، فلا رسول بالطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة؛ (**والدليل**) من القرآن على أن آخرهم هو محمد ﷺ: (**قوله تعالى:** ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾)، والآية نص صريح واضح على ختم النبوة بمحمد ﷺ، فلا نبي بعده ولا رسول، (**والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام**) من القرآن: (**قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾) يا محمد، (﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ﴾) أول الرسل (**نوح**) عليه السلام، (﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾)، أي: من بعد نوح، (**وكل أمة**) وجماعة (**بعث الله إليها رسولاً**) يدعوهم إلى التوحيد، ويحذرهم من الشرك بدءاً (**من نوح**) عليه السلام (**إلى محمد ﷺ**) (**يأمرهم بعبادة الله وحده**) لا شريك له، (**وينهاهم عن عبادة الطاغوت**)، فدعوة الرسل كلهم إلى الأمر بعبادة الله، وترك عبادة ما سواه؛ (**والدليل قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ﴾) وقوم (﴿رَّسُولًا﴾) يأمرهم بتوحيد الله قائلاً لهم: (﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) وأخلصوا له العبادة، (﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾)؛ بالكفر به[1].

—

الشرح التفصيلي

بعد ما ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– بعض أصول الإيمان، وهي: الإيمان بالبعث والحساب والجزاء؛ ذكرَ هنا أصلاً آخر من أصول الإيمان، وهو: الإيمان بالرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام؛ لتعلُّقها بالأصل الثالث؛ إذ إنَّ

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٣)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د.عبدالمحسن القاسم (١٩٨)؛ وحقوق النبي ﷺ على أمته، أ.د. محمد بن خليفة التميمي (٩٩).

التصديق والإيمان برسول من الرسل يقتضي الإيمان والتصديق بجميع الرسل[(١)].

قال المصنف: **(وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾)**، فبَعْثُ الرسل عليهم الصلاة والسلام يتضمن أمرين:

الأول: البشارة لمن أطاعهم بالفلاح في الدنيا والآخرة.

والثاني: النذارة لمن عصاهم من الخسران في الدنيا والآخرة.

والله جل وعلا أرسل الرسل؛ لقطع العذر، وإقامة الحجة، فهم مرسلون ليبشروا من أطاعهم بوعد الله وثوابه وكرامته؛ وينذروا من عصاهم بالعقاب[(٢)].

قال المصنف: **(وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد ﷺ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّين...).**

ذكر المصنف هنا مسألتين:

الأولى: أن أول الرسل هو نوح عليه الصلاة والسلام؛ **والثانية**: أن آخرهم هو محمد ﷺ، وهو خاتم النبيين لا نبي بعده؛ ثم قدَّم دليل المسألة الثانية لجلالتها، وهو: **قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾**؛ ثم ذكر دليل المسألة الأولى، فقال: **(والدليل على أن أولهم نوح قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾)**، وهذا وحي خاص، وهو وحي الرسالة، والمراد بالنبيين هنا المرسلون[(٣)]؛ ووجه الاستدلال على ما ذكره المصنف من أولية نوح عليه الصلاة والسلام بالرسالة: هو أن ابتداء

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٤٦).

(٢) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٤٦)؛ وتعليقات على ثلاثة الأصول، صالح ابن عبدالله العصيمي (٥٦).

(٣) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٠).

الإيحاء كان إلى نوح بتقديمه على غيره بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾، فقدم نوح على غيره من النبيين؛ لتقرير أنه مُقدَّم بالإيحاء إليه بالرسالة، ولو كان هناك رسول قبل نوح لذُكر، ففُهم من ذلك أنه لم يكن رسول قبل نوح، والإيحاء الذي قُدم فيه نوح عليه الصلاة والسلام هو إيحاء الرسالة؛ أما إيحاء النبوة فقد تقدمه فيه آدم عليه الصلاة والسلام بلا خلاف، فيكون المقصود بالإيحاء في هذه الآية هو إيحاء الإرسال[1]، وأما آدم عليه السلام فالصحيح أنه نبي وليس برسول، وأيضاً فإنه لم يُرْسَل إلى أحدٍ، وإنما علَّم أبناءه التوحيد، وكانوا على الفطرة، وإنما جاءت الرسل لما حصل الشرك؛ كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **(كان بين آدم، ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة)**[2]؛ ومن الأدلة على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ﴾[3]؛ فذكر الله تعالى أنه أرسل نوحاً وإبراهيم عليهما السلام، وأن النبوة والكتاب كانا في ذريتهما، وهذا يدل على أنه لا رسول قبل نوح عليه السلام، ومن الأدلة من السنة: حديث الشفاعة: **(يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم، فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا**

---

(١) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٦)؛ وحصول المأمول شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٩٧).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب: التفسير، تفسير سورة حم عسق بسم الله الرحمن الرحيم، برقم (٣٦٥٤)، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

(٣) سورة الحديد، الآية [٢٦].

نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض)[١]، وهذا دليل صريح على أن نوحًا – عليه الصلاة والسلام– أول الرسل؛ فإن آدم – عليه الصلاة والسلام – وصَفَهُ بأنه أول رسولٌ إلى الأرض، وبه يُعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام قبل نوح، بل الذي يظهر أن إدريس عليه الصلاة والسلام من أنبياء بني إسرائيل[٢]؛ فهذا القول باطل؛ لأنه يستلزم أن هناك رسول قبل نوح، وهو مخالف للقرآن[٣].

ولما قرّر المصنف أن الرسل مبشرون ومنذرون بيَّن هنا عموم بعثهم في الأمم، فقال: **(وكل أمة بعث الله إليها رسولاً من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾)**: فكل أمة بعث الله إليهم رسولاً بداية بنوح عليه الصلاة والسلام؛ لأنه أول الرسل، وأمته هي أول الأمم وقوعاً في الشرك، وختاماً بمحمد عليه الصلاة والسلام؛ لأنه هو آخر الرسل، وأمته هي آخر الأمم[٤]؛ ولَّما ذكر إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام أردف ذلك بذِكر السبب من إرسالهم، وهو: عبادة الله وحده، والكفر بالطاغوت، وهذا الدليل وغيره من الأدلة تدل على أن الرسل اتفقوا في الدعوة إلى التوحيد، وأن دعوتهم واحدة، وهي: الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك؛ فدعوة الأنبياء والرسل عليهم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، برقم (٤٤٧٦).

(٢) حصول المأمول شرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (١٩٧).

(٣) شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، المتن والشرح للشيخ محمد بن صالح العثيمين (٣٤٦).

(٤) تنبيه العقول إلى كنوز ثلاثة الأصول، د. عبدالرحمن الشمسان (١٠٩٢/٢).

الصلاة والسلام تجتمع في أصلين عظيمين:

أحدهما: الأمر بعبادة الله وحده المتضمن للنهي عن الشرك، وهذا مذكور في قوله: (أن اعبدوا الله)، وعبادة الله سبق تفسيرها مفصلاً في الأصل الأول وهو: معرفة العبد ربه.

والآخر: الأمر باجتناب الطاغوت والكفر به المتضمن النهي عن عبادته، وهذا مذكور في قوله: (واجتنبوا الطاغوت)[1].

والخلاصة مما سبق: أنه لا بدَّ للعبد أن يؤمن بأنَّ الله جلَّ وعلا بَعثَ رُسلاً، وهذا له جهات:

الجهة الأولى: أنَّ الله جلَّ وعلا بعث في كلِّ أمَّةٍ رسولاً؛ ليكون حجَّةً عليهم، ولا يكون للناس حجَّة على الله بعد الرسل.

الجهة الثانية: أنهم مُبشِّرون من أجابهم إلى ما دعوا إليه -من عبادة الله وحده وترك ما سواه- برضوان الله وكرامته، ومُنذِرون ومُحذِّرون من عصاهم غضب الله وسخطه.

الجهة الثالثة: أن أولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم.

الجهة الرابعة: أن الله جلَّ وعلا بعثهم جميعًا لعبادته وحده دون ما سواه، والكفر بالطاغوت[2].

قال المصنف رحمه الله: **(وَافْتَرَضَ الله عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ: الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ، وَالإِيمَانَ بِالله. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله تعالى- : «مَعْنَى الطَّاغُوتِ: مَا تَجَاوَزَ**

(١) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٦٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن سعد أبا حسين (٢٨٣).

بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ»[(١)]).

الشرح الإجمالي

(وافترض الله) وأوجب بالدليل المتقدم **(على جميع العباد)** المكلفين: **(الكفر بالطاغوت)**، والتبرؤ من الآلهة، **(والإيمان بالله)**، أي: إفراده بالعبادة وحده دون سواه، و**(قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-)** في بيان **(معنى الطاغوت)** هو: **(ما تجاوز به العبد حده)**، أي: الذي تجاوز به العبد قَدْرَه الذي ينبغي له في الشرع، سواء كان هذا الطغيان، أو التعدي والتجاوز من **(معبود)** مع الله تعالى، بأي نوع من أنواع العبادة، فمن صُرف له شيء من أنواع العبادة، وهو مقر بذلك وراض به فإنه طاغوت؛ **(أو)** من **(متبوع)** في معاصي الله جل وعلا؛ **(أو)** من **(مطاع)** من دون الله في التحليل والتحريم، بأن يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله [(٢)].

الشرح التفصيلي

هذا هو المقطع الأخير من هذه الرسالة المباركة -ثلاثة الأصول- للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأجزل له الأجر والمثوبة-، حيث ذكر المصنف أن الله: **(افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله)**، ومعنى افترض، أي: أوجب سبحانه وتعالى على العباد جميعهم، فالعباد هنا يصدق أو يندرج تحته كل عباد الله جل وعلا ممن وُجِّه إليه الخطاب، وكُلِّف من الجن والإنس، فافترض الله عز وجل على جميع عباده الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، وأراد المصنف بهذا بيان أن التوحيد لا

---

(١) ينظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين (١٠٣/١).

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠٣).

يتم إلا بعبادة الله وحده لا شريك له، واجتناب الطاغوت[(١)]، وبدأ المصنف -رحمه الله تعالى- بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله؛ لأن الله سبحانه وتعالى بدأ بهما في قوله جل وعلا: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٢)]، فابتدأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله، لأن الكفر بالطاغوت تخلية القلب وتخليصه وتصفيته من كل شر، ويعقب ذلك التحلية بالإيمان بالله عز وجل، فلا يستقيم الإيمان بالله عز وجل إلا إذا صفا القلب وخلص من كل شائبة وكفر، فإذا خُلِّص ونُقِّي تفرغت طاقته، وتوفرت همته على الإيمان بالله، فيجب على العبد أن يحرص على هذين المعنيين: الكفر بالطاغوت، وهو: تخلية القلب من كل شائبة شرك دقيق أو جليل؛ ثم الإيمان بالله، وهو: أن يعمر قلبه بكل ما يزينه، ويجمله ويحقق عبوديته لله عز وجل، ويحقق فيه وصفي السلامة والإنابة، فالسلامة والإنابة عليهما عَلَّق الله عز وجل النجاة يوم القيامة، فمن جاء بقلب سليم، ومن جاء بقلب منيب حصل له فوز الدنيا والآخرة[(٣)].

والكفر بالطاغوت هو: البراءة من كل ما يُعبد من دون الله، **والإيمان بالله هو:** الإيمان بربوبيته وإلهيته[(٤)]؛ فصفة الكفر بالطاغوت: «أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم»[(٥)]، ومعنى الإيمان بالله: «أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتُخْلِص جميع

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٥٠).

(٢) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٨٥).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٤٨).

(٥) الدرر السنية (١/١٦١).

أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم»[١]، قال المصنف في بعض رسائله: (والكفر بالطاغوت: أن تبرأ من كل ما يُعتقد فيه غير الله، من جني، أو إنسي، أو شجر، أو حجر، أو غير ذلك؛ وتشهد عليه بالكفر والضلال، وتبغضه، ولو كان أنه أبوك أو أخوك؛ فأما من قال: أنا لا أعبد إلا الله، وأنا لا أتعرض السادة، والقباب على القبور، وأمثال ذلك، فهذا كاذب في قول: لا إله إلا الله، ولم يؤمن بالله، ولم يكفر بالطاغوت)[٢]؛ فالطاغوت هو الشيطان، وما زيَّنه من عبادة الأوثان؛ والكُفْرُ بالشيطان يحصل: بالبراءة منه، ومعصيته في كل ما أمر به ونهى عنه؛ وكذلك الأوثان يكفر بها المؤمنون، ويتبرؤون من عبادتها مع وجودها، ومن عبادة المشركين لها، فنفي الأوثان، الذي دلت عليه كلمة الإخلاص، يحصل بتركها، والرغبة عنها، والبراءة منها، والكفر بها وبمن يعبدها، واعتزالها واعتزال عابديها، وبغضها وعداوتها [٣].

ولما ذكر المصنف هنا الطاغوت؛ كان مناسباً لأهميته أن يذكر معنى الطاغوت اصطلاحاً[٤]؛ فقال: **(قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: معنى الطاغوت: ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود، أو متبوع، أو مطاع)**؛ قال: (ما تجاوز به العبد حدَّه)، والضمير في قوله: (حدَّه) يعود على العبد، وحدُّ العبد أن يكون عبداً،

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق (٢/١٢١).

(٣) المصدر السابق (١١/٢٦٩).

(٤) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٢).

ولا يجوز أن يخرج عن هذا الحد، فلا يكون رباً، ويأمر كما يأمر الله جل وعلا [١]؛ ويمكن أن يعود الضمير في قوله: (حدَّه) على الحد الشرعي له، فالشرع حدَّ للأشياء حدوداً، وبيَّن علاقة المسلم بها، فإذا تجاوز العبد بشيء ما حدَّه الشرع، فذلك الشيء طاغوت، فالطاغوت: اسم لكل ما تجاوز به العبد حدَّه [٢].

قال: **(من معبود، أو متبوع، أو مطاع)**؛ فجعل التجاوز في ثلاثة أمور: في العبادة، وفي الاتباع، وفي الطاعة [٣]، وقوله: (من معبود)، (من): هذه بيانية لما يقع فيه التجاوز، يعني: سواء كان التجاوز في عبادةٍ بصرفها إلى غير الله، أو متبوعٍ باتباعه على ضلالة، أو مطاعٍ بطاعته فيما لا يجوز طاعته فيه [٤]، فمن صُرِفَ له شيءٌ من أنواع العبادة، وهو مقرٌّ بذلك وراض به، فإنه طاغوت؛ لأنه تجاوز حدَّه، وقدره في الشرع؛ لأن حدَّه في الشرع أن يكون عابدًا لله تعالى لا أن يكون معبودًا؛ فإذا رضي أن يكون معبودًا فقد تجاوز حده، فإذا عَبد أحدٌ غيرَ الله جلَّ وعلا، أو اتبعه وأطاعه، وتجاوز في ذلك الحدَّ الذي أُذن به شرعاً؛ فإنَّ ذلك الغير يكون طاغوتًا بالنسبة للعابد أو المتبع أو المطيع، ولا يكون طاغوتًا على وجه الإطلاق إلا إذا كان ذلك المعبود أو المتبوع أو المطاع راضيًا بذلك، لأنَّ من الناس من يعبد محمدًا ﷺ، أو يعبد عيسى عليه السلام، أو يعبد رجلاً صالحًا، وهؤلاء لا يرضون بذلك بل ينهون عنه، ويتبرأون منه، والمتبرئ من

---

(١) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢١٦).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٢).

(٣) المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (١٠٦).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٨٦).

الشيء ليس من أهله ؛ فالذي لا يرضى بعبادته فإنه ليس بمذموم [١]، فمراده بـــ (المعبود والمتبوع والمطاع)، أي: غير الصالحين، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عُبدوا أو اتُبعوا أو أُطيعوا [٢]، والأمراء يُطاعون شرعاً أو قدراً، فيُطاعون شرعاً إذا أَمروا بما لا يخالف أَمرَ الله ورسوله، وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة لله-عز وجل-؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [٣]؛ وأما طاعة الأمراء قَدَراً فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان؛ لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان، وهذه هي الطاعة النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضاً؛ وقد تكون الطاعة بوازع السلطان، بحيث يكون قوياً يخشى الناس منه ويهابونه؛ لأنه ينكل بمن خالف أمره [٤]؛ لكن من كان له سلطان على الناس وغلا فيه الناس؛ حتى جعلوا طاعته لازمة كطاعة الله ﷻ، وطاعة الرسول ﷺ، فقد تجاوز الإنسان بهذا المطاع حدَّه [٥]، فحدُّ أي مخلوق أن يكون مؤمناً لله، مُطيعاً لله، وعابداً لله، ومتبعاً دينه؛ فإذا تجاوز العبد حده، ورضي بأن يُعبد صار طاغوتاً؛ وكذلك المتبوع إذا رضي أن يُتَّبع بالباطل صار طاغوتاً؛ وكذلك إذا رضي أن يُطاع في

---

(١) ينظر: شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٢).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٥١).

(٣) سورة النساء، الآية [٥٩].

(٤) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٥١).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٤٨).

معاصي الله صار طاغوتاً[١]؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى رسوله إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته[٢]؛ وحاصله: أن الطاغوت ثلاثة أنواع: طاغوت حكم، وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة ومتابعة[٣].

والمصنف -رحمه الله تعالى- لم يبين معنى الإيمان بالله؛ لأنه تقدم بيان معنى الإيمان بالله بياناً واضحاً شافياً بالأدلة؛ لكن لما كان الكفر بالطاغوت -الذي افترض الله جل وعلا على العباد الكفر به- يحتاج إلى بيانٍ، فإنه خصه ببيانٍ وافٍ واضح[٤]، والطاغوت في الأصل مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحد في كل شيء[٥]، وهو الظلم والبغي.

أما من حيث المعنى الاصطلاحي فإن الطاغوت له معنيان:

أحدهما خاص: وهو الشيطان، وهو المراد في القرآن عند الإطلاق؛ فإذا أُطلق الطاغوت في القرآن كان هو المراد.

والآخر عام: وهو المراد في القرآن إذا كان الفعل المذكور معه على صيغة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة ، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢١٦).

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٠٣-١٠٤).

(٣) الدرر السنية (١٠/٥٠٣).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٨٥).

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٢/١٧٥٣).

الجمع لقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[(١)(٢)].

وقد فُسِّر الطاغوت في كلام السلف بمعانٍ عديدة، ولم يرد في كتاب الله عز وجل إلا ذمّه، والأمرُ بالكفر به؛ حيث جاء ذكره، وقد جُمعت هذه التفاسير بما قاله ابن القيم -رحمه الله تعالى- في حده؛ وقد عرَّف جماعة من العلماء الطاغوت بتعاريف أُخر، **فقال شيخ الإسلام** -رحمه الله تعالى- في تعريفه: «والطاغوت: وهو كل ما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»[(٣)]، وقال: «والطاغوت: كل مُعظم ومتعظم بِغَيْر طَاعَة الله وَرَسُوله من إِنسان أَو شيطان أَو شيء من الأوثان»[(٤)]، وعرّفه أيضاً في موضع آخر فقال: «الطاغوت اسم جنس يدخل فيه الشيطان، والوثن، والكهان، والدرهم والدينار، وغير ذلك»[(٥)]؛ وهناك تعاريف أخرى[(٦)]؛ والحاصل من مجموع كلامهم -رحمهم الله تعالى-: أن اسم الطاغوت يشمل: كل معبود من دون الله، وكل رأس في الضلال، يدعو إلى الباطل، ويحسنه، ويشمل أيضاً: كل من نصَبَه الناس للحكم بينهم بأحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله؛ ويشمل أيضاً: الكاهن، والساحر، وسدنة الأوثان، الداعين إلى عبادة المقبورين وغيرهم، وأصل هذه الأنواع كلها،

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٧].

(٢) تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٨).

(٣) مختصر منهاج السنة النبوية، للشيخ: عبد الله بن محمد الغنيمان (١/ ١١٩).

(٤) جامع الرسائل، المحقق: د. محمد رشاد سالم (٢/ ٣٧٣).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٦٥).

(٦) الدرر السنية (٢/ ٣٠٠).

وأعظمها: الشيطان، فهو: الطاغوت الأكبر [١]؛ فالطاغوت: عام في كل ما عُبد من دون الله، فكل ما عبد من دون الله، ورضي بالعبادة، من معبود، أو متبوع، أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله، فهو طاغوت [٢].

* * * * *

(١) الدرر السنية (٢/٣٠١).

(٢) المصدر السابق (١/١٦١).

قال المصنف رحمه الله: **(وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرَة، وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ الله، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله)**.

الشرح الإجمالي

(و) إذا عرفت حد الطاغوت تبين لك أن **(الطواغيت)** من الخلق **(كثيرة)** جداً، **(ورؤوسهم)** بالاستقراء والتأمل **(خمسة)**: أولهم: **(إبليس)** الشيطان الرجيم، وهو رأسهم الأكبر، فهو أول الطواغيت، وقد **(لعنه الله)** فهو مطرود مبعد عن رحمة الله، **(و)** الثاني: **(من عُبِد وهو راض)** بأي نوع من أنواع تلك العبادة، سواء عبد في حياته، أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك، **(و)** الثالث من الطواغيت: **(من دعا الناس إلى عبادة نفسه)**؛ فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه، وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت، **(و)** الرابع من الطواغيت: **(من ادعى شيئاً من علم الغيب)**؛ كما يزعمه الكهان ونحوهم، **(و)** الخامس من الطواغيت: **(من حكم بغير ما أنزل الله)** [(١)].

الشرح التفصيلي

الطواغيت جمع طاغوت، والطاغوت يطلق على الجمع والمفرد، وجمَعَه هنا باعتبار أجناسه، فأجناس ما يحصل به الطغيان كثيرة، وليست نوعاً واحداً كما بين المصنف -رحمه الله تعالى- ؛ والطاغوت يطلق على كل مجاوز للشرع، ولو لم تكن مجاوزته كفراً، فما يحصل به الطغيان والطاغوت ليس على درجةٍ واحدة، فمنه ما هو كفر، ومنه ما هو شرك، ومنه ما هو معصية، ومنه ما هو

---

(١) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٨)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠٤)؛ وشرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين (١٥١).

بدعة، فما يحصل به الطغيان على درجات وليس على درجة واحدة [١].

قال المصنف: **(والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة)**، والرؤوس جمع رأس، وهو في كل شيء أعلاه، والرؤوس أعظمهم شراً وأشدهم خطراً، فقوله: (ورؤوسهم خمسة)، أي: أعلى ما يحصل به الطغيان ويصدق عليه وصف الطاغوت خمسة أمور؛ وقد بين المصنف -رحمه الله تعالى- أول هذه الرؤوس الخمسة بقوله: **(إبليس لعنه الله)**، وإبليس اللعين هو طاغوت الطواغيت، وهو أصْلُ ما بعده من الطواغيت والشرور، وهو أول الطواغيت؛ لأنه عُبد؛ ولأنه متبوع؛ ولأنه مطاع وهو راض بذلك، وقد ورد تفسير الطاغوت بأنه الشيطان عن ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره من السلف[٢]؛ وينبغي أن يُقال: اللعين ولا نقول: لعنه الله؛ لأننا لم نُتَعبد بالدعاء عليه، وإنما تُعبدنا بالاستعاذة بالله من شره في مواضع كثيرة: في افتتاح الصلاة، وقبل تلاوة القرآن، وعند دخول الخلاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وفي مواضع كثيرة ذكرتها النصوص[٣].

قال المصنف-رحمه الله تعالى- في عد الرأس الثاني من الطواغيت: **(ومن عبد وهو راضٍ)**، وهذا القيد مهم؛ للاحتراز من الأنبياء والملائكة، فإن بعض المشركين يعبدهم ولكنهم غير راضين بذلك، بل يتبرؤون من عابديهم[٤]، فكل

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد المصلح (٨٦).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٤).

(٣) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٤٩).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن البراك (٤٩).

من صُرفت له العبادة بطلب منه أو بغير طلب منه، وهو راضٍ عن هذه العبادة، فإنه طاغوت؛ لأنه مما يحصل به التجاوز، وذلك أن العبد لا يصلح أن يكون رباً، ولا يصلح أن تصرف إليه العبادة، فمن صرف إلى غير الله عز وجل شيئاً من العبادة فقد تجاوز به الحد وطغى فيه، فلذلك كان طاغوتاً، وهذا يشمل كل معبود من دون الله، فكل من عبد من دون الله وهو راضٍ فإنه طاغوت، لأنه تجاوز بالعبد عن حده، وعن قدره الذي يناسبه، قال ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: «فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك: طاغوت؛ ولهذا سمى النبي ﷺ الأصنام طواغيت في الحديث الصحيح لما قال: **(ويتبع من يعبد الطواغيت الطواغيت)**، والمطاع في معصية الله، والمطاع في اتباع غير الهدى ودين الحق - سواء كان مقبولا خبره المخالف لكتاب الله أو مطاعاً أمره المخالف لأمر الله - هو طاغوت؛ ولهذا سُمي من تحوكم إليه من حاكمٍ بغير كتاب الله طاغوت، وسَمَّى اللهُ فرعون وعاداً طغاة»(١).

قال المصنف-رحمه الله تعالى- في عدِّ ثالث الطواغيت: **(ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه)**، أي: سواء أطاعوه أم لم يطيعوه، فإنه طاغوت؛ لأنه تجاوز بنفسه عن حده، وهو العبودية إلى أن يكون معبوداً، وهذا أعظم من الذي يُعبد وهو ساكت لم يدعُ إلى عبادة نفسه، ويرضى بذلك، فهذا طاغوت، والأعظم منه أن يدعو إلى عبادة نفسه(٢).

والرابع من الطواغيت: **(من ادعى شيئاً من علم الغيب)**، والغيب الذي يعد

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٠).

(٢) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٤)؛ وينظر: المحصول من شرح ثلاثة الأصول، عبدالله بن محمد الغنيمان (٢١٧).

مدعيه طاغوتاً هو الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله جل جلاله، ومفاتحه خمسة: وهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾(١)، فمن ادعى علم شيء من هذه الأمور فإنه كافر بالقرآن العظيم؛ فكل من ادعى علم الغيب فقد تجاوز حدَّه وطغى، فيكون طاغوتاً؛ ولهذا فسَّر جماعة من السلف الطاغوت في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾(٢) بالكاهن، وهو الذي يُخبر عن المغيّبات في المستقبل، فمن أخبر عن المغيبات في المستقبل؛ فيكون طاغوتاً بتفسير السلف(٣)؛ وأما الغيب النسبي الذي يعلمه أحد من الخلق دون آخر فليس هذا مقصوداً في قول المصنف: **(ومن ادّعى شيئاً من علم الغيب)**(٤)، فهذا قد يعلمه بعض الناس، وهو كل ما غاب عنا مما علِمَه غيرنا فهو غيبٌ بالنسبة لنا، وعِلْمٌ بالنسبة لمن علمه.

وخامس وآخر ما ذكره -رحمه الله تعالى- من رؤوس الطواغيت هو قوله: **(ومن حكم بغير ما أنزل الله)** فهو طاغوت؛ لأنه تجاوز بهذا الحكم حده، ومن أطاعه في ذلك ووافقه في ذلك فقد غلا فيه وتجاوز به حده(٥)، فمن حاكم

---

(١) سورة لقمان، الآية [٣٤].

(٢) سورة النساء، الآية [٦٠].

(٣) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٨٦).

(٤) ينظر: تعليقات على ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالله العصيمي (٥٨).

(٥) شرح الأصول الثلاثة، عبدالرحمن بن ناصر البراك (٤٩).

خصمه إِلى غير الله ورسوله فقد حاكم إِلى الطاغوت، وقد أُمر أن يكفر به، ولا يكفر العبدُ بالطاغوت حتى يجعل الحكم لله وحده؛ كما هو كذلك في نفس الأَمر[(١)]، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله أنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم يدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرَّم، وتحليل ما أحلَّ الله اتباعاً لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركاً.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب[(٢)].

* * * * *

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن القيم، فصل: في الغنى العالي (٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٧٠، ٧١)؛ وفي الأصل: (بتحريم الحلال وتحليل الحرام)، ولا يستقيم مع السياق فلعله خطأ من الناسخ، ولعل الصواب ما أُثبت، والله أعلم. ينظر: صيانة مجموع الفتاوى من السقط والتحريف، ناصر الفهد (٥٩)، الناشر: أضواء السلف.

قال المصنف رحمه الله: **(والدَّليلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١)، وَهَذَا: مَعْنَى: (لا اله إلا الله).**

الشرح الإجمالي

(والدليل) على أن الله تعالى افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله: **(قوله تعالى:** ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾**)**، والرشد: هو دين النبي ﷺ، والغي: الكفر، أي: وضَحَ الإيمان من الكفر، ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ فقد حقق ركني التوحيد، ومن حقق ركني التوحيد، وهما: الكفر بالطاغوت والإيمان بالله: ﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾، أي: فقد استمسك بالعقد المحكم الذي لا ينفك ولا ينفصم، وهو: كلمة التوحيد؛ ولهذا قال: **(وهذا معنى لا إله إلا الله)**، أي: أن الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، هو: معنى لا إله إلا الله، المتضمنة للنفي والإثبات، فنفيها: هو الكفر بالطاغوت، وإثباتها: هو الإيمان بالله (٢).

الشرح التفصيلي

بعد أن فرغ المصنف -رحمه الله تعالى- من ذكر الرؤوس الخمسة للطواغيت أعاذنا الله منها، ومن الطغيان دقيقه وجليله: ذكر الدليل على ما تقدم، فقال: **(والدليل قوله تعالى:** ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ

---

(١) سورة البقرة، الآية [٢٥٦].

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠٦)؛ وشرح الأصول الثلاثة، عبدالعزيز الراجحي (١٠٧).

﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾)، أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام؛ فإنه بيّنٌ واضح جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج أن يُكْرَه أحدٌ على الدخول فيه، فمن هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونوَّر بصيرته دخل على بيِّنة؛ ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً [(١)]، ودلالة الآية ظاهرة على أن الله افترض على عباده الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، والمصنف -رحمه الله تعالى- إنما ذكر هنا الدليل على أن الله تعالى افترض على العباد الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله؛ أما تعريف الطاغوت، وذكر أنواع الطواغيت، فإن المصنف لم يستدل عليه هنا [(٢)]، وقد استدل عليه في رسائل أخرى [(٣)].

قال -رحمه الله تعالى-: **(وهذا معنى قول: لا إله إلاّ الله)**، أي: أن هذه الآية متضمنة للنفي والإثبات، فإن معنى **(لا إله)**: هو الكفر بالطاغوت؛ لأنه ينفي العبادة عن كل معبود، و(إلاّ الله): إثباتٌ لجميع أنواع العبادة لله وحده، وهذا هو الإيمان بالله عز وجل [(٤)].

* * * * *

---

(١) حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (٩٩).

(٢) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبدالله الفوزان (٢٠٤).

(٣) ينظر: الدرر السنية (١/١٦٢).

(٤) ينظر: شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩١)؛ وشرح الأصول الثلاثة، حمد بن عبدالله الحمد (٢٦).

قال المصنف رحمه الله: (وَفِي الْحَدِيثِ: "رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله"[1]، وَالله أعلم، وَصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمَ).

الشرح الإجمالي

(**وفي الحديث**) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه: (**رأس الأمر**)، والأمر هو الدين، يعني: رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو (**الإسلام**): الذي هو: معنى لا إله إلا الله، المتضمن للكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، (**وعموده**)، أي: عمود الدين الذي لا يقوم إلا به: (**الصلاة**) التي هي أوجب الواجبات بعد التوحيد، (**وذروة سنامه**)، أي: أعلاه وأرفعه: (**الجهاد في سبيل الله**)، وختم المصنف -رحمه الله تعالى- هذه الرسالة العظيمة بردِّ العلم إلى مَنْ أحاط بكل شيء علماً فقال: (**والله أعلم**)، ثم صلَّى على خير خلقه بقوله: (**وصلى الله**)، أي: اللهم اثن (**على**) نبينا (**محمد**) في الملأ الأعلى، (**و**) اثن أيضاً (**على آله**)، وهم أتباعه على ملته، (**وصحبه**)، أي: صحابته الكرام، (**وسلم**) عليهم، أي: اجعلهم سالمين من الآفات والشرور والمكاره[2].

الشرح التفصيلي

قال المصنف -رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته- في ختام هذه الرسالة المباركة: **(وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب: الفتن، برقم: (٣٩٧٣)؛ والترمذي في كتاب: الإيمان، برقم: (٢٦١٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم (٢٤٠٨)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

(٢) ينظر: حاشية ثلاثة الأصول، عبدالرحمن بن قاسم (١٠٠)؛ وتيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول، د. عبدالمحسن القاسم (٢٠٨).

سبيل الله")، وإيراد المصنف لهذا الحديث يحتمل فيما يظهر أحد أمرين [(١)] :

الأول: أن يكون دليلاً على الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت، فالإسلام يراد به هنا: الشهادتان، وقد جاء تفسيره في رواية أخرى بالشهادتين [(٢)]، فمن لم يُقرَّ بهما باطناً وظاهراً فليس من الإسلام في شيء[(٣)]؛ ففيه دليل على ما تقدم في قوله: (وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله)؛ لأن شهادة أن لا إله إلاّ الله هي: الإيمان بالله تعالى، والكفر بالطاغوت، فيكون المصنف -رحمه الله تعالى- أراد بهذا الحديث الاستدلال على أن لكل شيء رأساً، وأن رأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ هو الإسلام، فمن انتسب إلى ما جاء به النبي ﷺ، وادعى أنه من أمة الإجابة، وقد فُقد منه رأس الأمر وأساسه، وحقيقته، وهو: الإسلام، المتضمن: الإيمان بالله وإفراده بالعبادة، والكفر بالطاغوت، فلا وجود لما يدعيه، لفقد حقيقة الانتساب، وهذا يؤكد أهمية التوحيد، وأنه عظيم كبير، وهو ما أرداه المصنف -رحمه الله تعالى- من هذه الرسالة جُمْلةً [(٤)].

الثاني: يحتمل أن يكون المصنف إنما أراد ختم الرسالة بهذا الحديث؛ لما

---

(١) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩٢).

(٢) جاء في رواية عند أحمد في المسند، برقم (٢٢١٢٢): أن النبي ﷺ قال: **(إن رأس هذا الأمر: أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وإن قوام هذا الأمر: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإن ذروة السنام منه: الجهاد في سبيل الله).**

(٣) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (٢/١٤٥)، شرح الحديث: رقم (٢٩).

(٤) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩٢)؛ وينظر: إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول، عبدالله بن صالح القصير (١٣٧).

تضمنه من المعاني العظيمة، وهي: بيانُ رأس الأمر، وبيانٌ بما يقوم، وبيانٌ بما يبلغ الغاية، وهذا دليلٌ وبراعة اختتام؛ أنه لا يكفي في تحقيق التوحيد والفوز بهذه الأصول مجرد القول، بل لابد من العمل أولاً، ولابد من بلوغ العمل غايته، فالشهادتان اللتان هما الإقرار لله بالألوهية، وللنبي ﷺ بالرسالة، لابد أن ينضاف إليهما المحافظة على الأعمال الصالحة، وذكَرَ أشرفها وأعلاها، وهي الصلاة، فالعمود ما يقوم عليه البناء، وبالصلاة يقوم بناء الدين؛ لأن الصلاة ركن الإيمان العملي الذي يحصل به الامتثال لمقتضيات الإيمان العملية، فالإيمان: قول واعتقاد وعمل، والعمل عموده الصلاة، فإذا ذهبت الصلاة فلا قيام في ذلك[(١)]، فخَتَم هذه الرسالة ببيان ما يثبت به الدين، وعلى ماذا يقوم، وبماذا يحفظ، فيثبت الدين بالشهادتين، ويقوم بالصلاة، ويحفظ بالجهاد [(٢)].

وبهذا تكون قد تمت الأصول الثلاثة التي تضمّنتها هذه الرسالة المباركة، للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن أمة الإسلام خير الجزاء وأوفاه-؛ وقد ختم المصنف، هذه الرسالة الجليلة كغيره، برد العلم إلى من هو بكل شيء محيط علماً، وسأله أن يثني على نبيه وآله وصحبه.

وإلى هنا انتهى ما يسَّر الله جل وعلا، وأعان بتوفيقه على جمعه من الشروح على هذه الرسالة المهمة المفيدة، فله الحمد أولاً وآخرا، وظاهراً وباطنا، سائلين الله تعالى أن يكتب الأجر لمؤلفها، ومَنْ شرحها، وقرأها عاملاً بما فيها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ونسأله جل جلاله أن يعصمنا من الشرك كله،

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (٢٣٨).

(٢) شرح الأصول الثلاثة، د. خالد بن عبدالله المصلح (٩٤).

وأن يميتنا على شهادة التوحيد الخالصة، وأن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الوجه الثاني: معرفة عمره، ونبوته ورسالته، وبلده، ومهاجره ...	٣٩٦
الوجه الثالث: معرفة أن الله بعثه بالنذارة عن الشرك والدعوة للتوحيد، ودليل ذلك	٤٠٢
الوجه الرابع: معرفة مدة دعوته للتوحيد، والمعراج، وفرض الصلوات الخمس، والهجرة للمدينة	٤٠٩
الوجه الخامس: تعريف الهجرة، وحكمها، ودليل بقائها	٤١٣
الوجه السادس: معرفة ما تم من شرائع الإسلام بعد استقرار النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة	٤٣١
الوجه السابع: معرفة وفاته عليه الصلاة والسلام، وبقاء دينه، ومعرفة الخير الذي دلَّ أمته عليه، والشر الذي حذَّرها منه	٤٣٥
الوجه الثامن: معرفة أنه بُعث للناس كافة، ودليله، وأن الله أكمل به الدين، ودليله، ودليل موته عليه الصلاة والسلام	٤٣٨
الخاتمة	٤٤٣-٤٨٨
فصل في: [البعث وحكم من أنكره]	٤٤٥
- الإيمان بالبعث، ودليله	٤٤٧
- الإيمان بالحساب والجزاء بعد البعث، ودليله	٤٥٠
- من كذَّب بالبعث كفر، والدليل عليه	٤٥٥
فصل في: [أن جميع الرسل مبشِّرون ومنذِرون]	٤٥٨
- دليل أن الله أرسل جميع الرسل: مبشرين ومنذرين	٤٦٠

❊ ❊ ❊ ❊ ❊